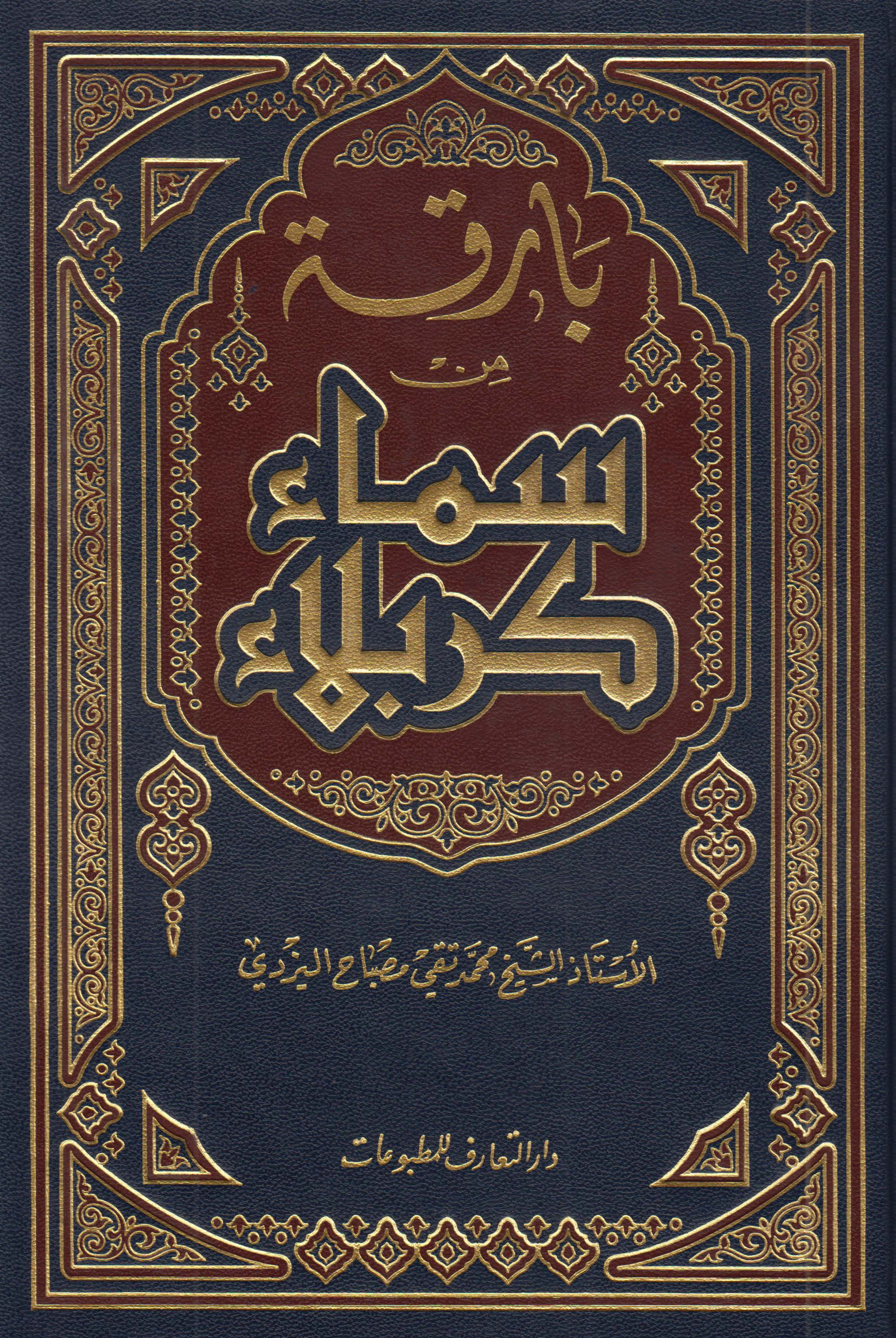
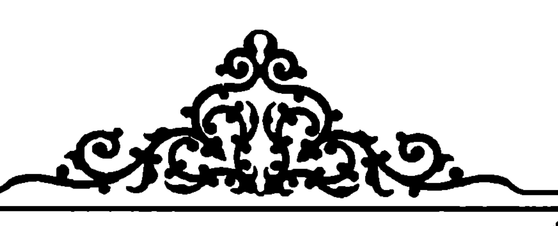

بارقة
من
سماء كربلاء
الأستاذ الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي
دار التعارف للمطبوعات

بارقة من سماء كربلاء



بارقة من سماءِ كربلاءِ

محاضرات

الأُستاذ الشيخ محمدتقي مصباح يزدي

ترجمة:

محمد عبدالمنعم الخاقاني

دار التعارف للمطبوعات






الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



دار التعارف للمطبوعات

لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - بناية الحسنين

ص.ب: ٦٤٣ - ١١ - ٨٦٠١ - ١١

هاتف: ٢٧١٩٠٧ - ٢٧١٩٠٨ ١ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٢٧١٩٠٨ ١ ٠٠٩٦١

موبايل: ٨٢٣٦٢٠ ٣ ٠٠٩٦١

الفهرس

شبهات حول عاشوراء وإحيائها(۱)

شبهات حول عاشوراء وإحيائها (۲)

الأرضيّة لنهضة عاشوراء (۱)

الأرضيّة لنهضة عاشوراء (٢)

الأرضيّة لنهضة عاشوراء (٣)

الأرضيّة لنهضة عاشوراء (٤)

الهدف من نهضة عاشوراء (١)

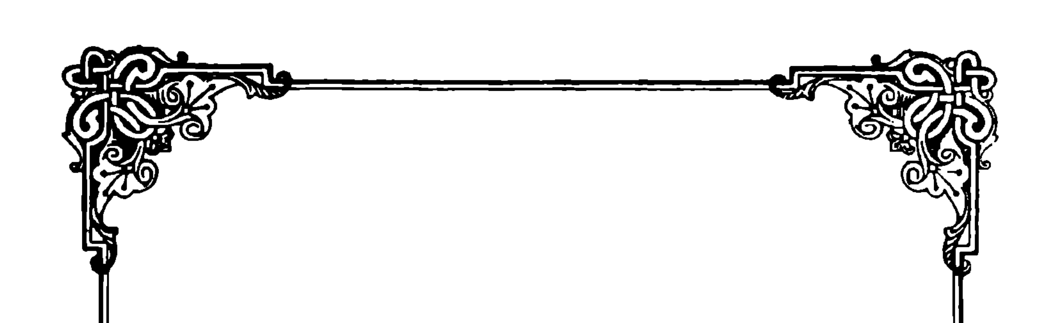
الهدف من نهضة عاشوراء(٢)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢)

واجبات الحكومة والناس في الظروف الحاضرة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن



شبهات حول عاشوراءِ وإحيائها(١)

ـ لماذا لابدّ من تخليد حادثة عاشوراء؟

ـ لماذا لا نكتفي بالبحث والنقاش في احياء عاشوراء؟

ـ لماذا لابدّ من اقامة العزاء في ذكرىٰ واقعة عاشوراء؟

ـ لماذا لابدّ من صبّ اللعن علىٰ اعداء الامام الحسين عليه‌السلام؟

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمدللّه رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيد الانبياء والمرسلين ابي القاسم محمد وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين المعصومين. اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلىٰ آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتىٰ تسكنه ارضك طوعاً وتمتعه فيها طويلا. السلام عليك يا اباعبداللّه وعلى الارواح التي حلّت بفنائك.

نتقدم بالعزاء للامام صاحب العصر والزمان ـ عجّل اللّه فرجه الشريف ـ ولقائد الثورة ومراجع التقليد وجميع عشّاق الحسينعليه‌السلام بمناسبة حلول ذكرىٰ عاشوراء وايام الحزن على سيدالشهداء ابي عبداللّه الحسينعليه‌السلام. ونسأل اللّه سبحانه ان لا يحرمنا من بركات الحسينعليه‌السلام في الدنيا والآخرة.

تعتبر هذه الايام فرصة مواتية لكي نعمّق معرفتنا بالنسبة لمدرسة عاشوراء مدرسة الحسينعليه‌السلام وذلك من خلال طرح اسئلة تتعلّق بنهضة ابي عبداللّهعليه‌السلام تدور في أذهان كثير من الناس ولاسيّما أذهان اليافعين والشباب، ولعلّ في محاولة الجواب عليها ما يوسّع معرفتنا وبالخصوص الطبقة الشابّة بالنسبة لنهضة سيدالشهداءعليه‌السلام، ولعلّنا في ظلّ المعرفة الاعمق نستطيع ان ننتفع أكثر لدنيانا وآخرتنا.

نأخذ بعين الاعتبار شاباً قد نال نضجه الفكريّ حديثاً وهو يحاول ان يفهم

جميع المسائل والظواهر الاجتماعيّة الّتي تحدث حوله، ويحاول الاحاطة بعللها حتىٰ يتمتّع بتقييم واضح للمسائل والظواهر التي تحيط به.

انّ الشابّ يلاحظ تشكيل جلسات خلال ايام محرم، ويرىٰ الناس يرتدون الملابس السوداء ويرفعون الاعلام السود. ويشاهد قيام هيئات للعزاء واللطم، وينظر اليهم وعيونهم تسكب الدموع الغزيرة. انها ظواهر لا تنتشر في الايّام العاديّة، ولا تُلاحظ في سائر المجتمعات.

اذن من الطبيعي عندئذ ان يُطرح امامه هذا السؤال وهو: لأي هدف تقام مثل هذه المراسم؟ لماذا ينبغي ان يرتدي الانسان الملابس السود؟ لماذا ينبغي ان يلطم الناس علىٰ رؤوسهم وصدورهم الىٰ وقت متأخر من الليل؟ لأيّ شيء تجري كل هذه الدموع؟

عادةً تُقدّم أجوبة مختصرة لهذه الأسئلة حيث يقولون انّ سيد الشهداء الحسينعليه‌السلام قد استشهد في سبيل اللّٰه والاسلام فلابدّ من البكاء عليه، او انّ لاقامة العزاء علىٰ الحسينعليه‌السلام ثواباً عظيما وهو سيشفع لنا يوم القيامة.

شبابنا يسمعون عادةً مثل هذه الأجوبة. ولو كنتُ انا شخصيّاً في سنّ الشباب وواجهتِ مثل هذه الأسئلة فانّ هذه الأجوبة لم تكن كافية بالنسبة اليّ حينئذ.

ويمكننا تقسيم الأسئلة الّتي تُطرح في هذا المضمار الىٰ اربعة أسئلة. وسوف نحاول بعون اللّٰه الاجابة علىٰ كلّ سؤال منها بشكل منفصل حتىٰ نوفّر الارضيّة لرقيّ معرفة شبابنا الأعزّاء بالنسبة لمراسم عاشوراء، وحتىٰ تُسلّط الاضواء بصورة اكبر علىٰ ثقافة عاشوراء.

لماذا لابدّ من تخليد حادثة عاشوراء؟

لماذا يحاولون احياء خواطر تتعلق بحادثة قد مرّ عليها ما يناهر ١٣٦٠ عاماً؟

ولماذا يقيمون مراسم لاحياء هذه الذكرىٰ؟ انّها حادثة تاريخيّة قد تقادم عليها الزمن، وسواء أكانت مرّة ام حلوة فانّ آثارها قد انتهت، فلماذا ـ بعد مرور ما يقرب من اربعة عشر قرنا ـ نلجأ الىٰ احياء ذكرىٰ هذه الحادثة ونقيم مراسم في هذا المجال؟

انّ الجواب علىٰ هذا السؤال ليس عسيراً جدّاً، لانّه من الممكن ان نبيّن لأيّ شابّ انّ الحوادث الماضية في كلّ مجتمع يمكن ان تكون لها آثار ضخمة في مصير ذلك المجتمع ومستقبله. واحياء تلك الخواطر هو في الواقع لون من اعادة النظر والصياغة الجديدة لتلك الحادثة حتّىٰ يتيسّر للناس ان ينتفعوا بتلك الواقعة. فاذا كانت الحادثة نافعة عند حدوثها وكانت منشأ لآثار طيّبة وبركات كثيرة فانّ اعادة النظر اليها واعادة صياغتها يمكن ان تنال شيئاً من تلك البركات.

وعلاوة علىٰ ذلك فقد اعتادت المجتمعات البشرية علىٰ ان تقوم باحياء حوادث الماضي بشكل من الاشكال، وأن تكبرها وتضفي عليها الواناً من الاحترام والتقدير. سواء أكانت متعلّقة بأشخاص كان لهم دور مؤثّر في رقيّ مجتمعاتهم كالعلماء والمكتشفين ام كانت متعلّقة بأشخاص تميّزوا بدور حسّاس في تحرير اممهم من الناحية السياسيّة والاجتماعيّة وقد اصبحوا أبطالاً وطنيّين.

انّ جميع العقلاء في العالم يحيون ذكريات مثل هذه الشخصيّات البارزة. ويتمّ هذا الامر حسب واحدة من اقدس الرغبات الفطريّة التّي اودعها اللّٰه سبحانه في اعماق جميع الناس، ويُعبّر عنها بـ «حسّ الشكر والاعتراف بحقّ الآخر». ومن هنا فهناك رغبة فطرية موجودة في اعماق جميع الناس وهي تدفعهم للاعتراف بحقّ من أسدىٰ اليهم خدمة وشكرِهم عليها وان يتذكّروها ويحترموا ذكراها.

وبالاضافة الىٰ هذا فانّ احياء تلك الخواطر ـ اذا كان لها في الماضي تأثير في سعادة ذلك المجتمع ـ يمكن ان يشكّل عاملاً مؤثّراً آخر في زمان بيان تلك

الخواطر، وعندئذ تكون تلك الحادثة كأنّها قد تجدّدت.

ولمّا كنّا نعتقد انّ حادثة عاشوراء قد كانت حادثة عظيمة في تاريخ الاسلام، وقد كان لها دور مصيريّ في سعادة المسلمين وتبيين سبيل الهداية للناس، لهذا تصبح هذه الحادثة ذات قيمة عظيمة عندنا. ويغدو احياؤها وتذكّرها واعادة صياغتها امراً لا يمكن التفريط به، لانّ بركات ذلك سوف تشمل مجتمعنا المعاصر.

هذا هو الجواب الاجماليّ الذي يمكن تقديمه لسؤال الشباب. حيث يتمّ التأكيد علىٰ انّ احياء بعض الخواطر واعادة صياغة بعض الحوادث التي وقعت في الماضي هو عمل عقلائيّ ويمكن ان يؤمّن بعض المصالح والمنافع للمجتمع.

كما انّ اصل تلك الحادثة كان له تأثير نافع في المجتمع السابق فانّ تجديد تلك الخواطر واعادة صياغتها يمكن ايضا ان تكون له آثار تتناسب معه.

لماذا لا نكتفي بالبحث والنقاش في احياء عاشوراء؟

السؤال الثاني الذي يتّم الحصول عليه من تحليل السؤال الاول هو انّ احياء ذكرىٰ عاشوراء ليس منحصراً في البكاء واللطم على الصدور ورفع الاعلام السود واقامة مجالس العزاء الىٰ منتصف الليل واحياناً تؤدّي الىٰ تعطيل الاعمال في النهار، ولاسيّما اذا اخذنا بعين الاعتبار انّ هذه الامور تستتبع اضراراً اقتصاديّة، بينما يمكننا احياء هذه الخواطر بشكل يقلّل الأضرار الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

انّ هذا السؤال نطرحه علىٰ اساس هذا الفرض وهو انّ الوضع الروحيّ لكثير من الناس ينسجم اكثر مع الامور المادية والاقتصاديّة، واهتمام الناس منصبّ علىٰ هذه الامور اكثر من غيرها. وحينئذ يقيّم هؤلاء الحوادثَ علىٰ اساس ما لها من منافعَ أو أضرار ماديّة واقتصاديّة.

ونحن نفرض شابا لم تكتمل بعدُ تربيته الدينية فقد يخطر علىٰ باله هذا السؤال

انّ هذه النشاطات ضروريّة في مجالها، ولكن هل هذه كافية لكي ننتفع بشكل كامل من حادثة عاشوراء؟ ام هناك امور اخرىٰ ضروريّة ايضا مثل اقامة العزاء في مجاله الخاص؟

انّ الجواب علىٰ هذا السؤال يتوقّف علىٰ القيام بتحليل نفسيّ للانسان لمعرفة العوامل المؤثّرة في سلوكه الواعي.

وهل انّ المؤثّر في سلوكنا الاجتماعي هو عامل المعرفة فحسب ام هناك عوامل اخرىٰ تؤثّر في بلورة هذا السلوك؟

عندما نتأمّل في سلوكنا ندرك انّ هناك ـ علىٰ أقل تقدير ـ طائفتين من العوامل تنهض بالدور الرئيسيّ في هذا المضمار.

الاولىٰ هي طائفة عوامل المعرفة التّي تؤدّي الىٰ ان يفهم الانسان شيئاً ويتقبّله. ومن الطبيعيّ ان يُستدلّ علىٰ الموضوع المطلوب بما يتناسب معه من الأدلّة العقليّة او التجربيّة أو غيرها.

ومن الواضح جدّاً انّ للمعرفة تأثيراً كبيراً في سلوكنا، ولكنّها ليست هي العامل الوحيد، بل هناك عوامل اخرىٰ لعلّ تأثيرها في سلوكنا اكبر من عامل المعرفة.

وتُسمّىٰ هذه العوامل بالدوافع والاحاسيس والعواطف والميول والرغبات والغرائز. انّها مجموعة من العوامل الباطنيّة النفسيّة المؤثّرة في سلوكنا.

كلّما قمتَ بتحليل سلوكك ـ سواء أكان السلوك المتعلّق بالحياة الفرديّة ام الحياة العائليّة ام الحياة الاجتماعيّة ام الحياة السياسيّة ـ فستلاحظ انّ الأمر الاساسيّ الذي دفعك للقيام بذلك السلوك هو هذه البواعث والعوامل المحرّكة. ويوجد في هذا المجال تشبيه لطيف للمرحوم الشهيد الاستاذ مرتضىٰ مطهّري حيث يشبّه السلوك الانسانيّ بالسيّارة، فالسيّارة تحتاج الىٰ عاملين لتتحرّك: احدهما العامل الّذي ينتج الطاقة الميكانيكيّة للسيّارة حتىٰ تتيسّر لها الحركة بواسطتها. والعامل الآخر هو انّه

لابدّ للسيّارة ايضاً من مصباح يُضاء به الطريق حتّىٰ لا تقع السيارة في المطبّات والحفر والمزالق الخطيرة.

فلو فرضنا انّ السيّارة تتحرّك في جوّ معتم فحتّىٰ لو كانت ما كنتها تعمل بشكل جيّد وتنتج طاقة ميكانيكيّة كافية فانّنا اذا لم نر الطريق فلعلّنا نواجه مخاطر عظيمة ونتعرّض لحادثة اصطدام تنتهي بوفاة قائد السيارة وجميع ركّابها.

فالسيارة لابدّ لها من مصباح يضيء الطريق بالاضافة الىٰ كونها مزوّدة بالمادّة المنتجة للطاقة الميكانيكيّة.

وكذا الأمر في وجود الانسان فهو بحاجة الىٰ لونين من العوامل، احدهما لابد من توفّره في اعماقه حتّىٰ يبعثه ويحرّكه. يجب ان تكون له رغبة في الفعل حتّىٰ يقوم به، ويشتاق الىٰ ذلك الفعل ليقدم علىٰ انجازه.

والثاني لابدّ ان يعرف لماذا يجب القيام بهذا الفعل؟ ما الفائدة من هذا الفعل بالنسبة اليه؟ وكيف ينبغي انجازه؟

انّ هذه الاسئلة وامثالها هي من جملة عوامل المعرفة.

يجب التأمل في مثل هذه العوامل والتعرّف عليها امّا عن طريق التجربة وامّا عن طريق الاستدلال.

انّ من الضروري الرجوع الىٰ المصادر المناسبة للفعل الذي نريد القيام به لكي نظفر بالمعارف اللازمة، لكنّ المعرفة وحدها غير كافية لتدفعنا نحو الحركة، وانما نحن بحاجة الىٰ عامل نفسيّ آخر ليبعثنا نحو ذلك الفعل ويقودنا الىٰ انجازه. ومثل هذه العوامل يطلقون عليها اسم الدوافع النفسيّة. ولها اسماء اخرىٰ كالاحاسيس والعواطف وغير ذلك. ان هذه العوامل بمجموعها توجد في الانسان الرغبة في الحركة، وتبعث في نفسه العشق لانجاز الفعل. وما لم تكن هذه العوامل فانّ ذلك الفعل لا يتحقّق. فحتّىٰ لو عرف الانسان بصورة يقينيّة ان المادّة الغذائيّة الكذائيّة

مفيدة لجسمه فانه لن يندفع لتناولها ما لم تتحرّك الرغبة في نفسه اليها بحيث يشتهيها. ولو فرضنا انّ الرغبة قد انعدمت عند شخص، أو انّه ابتُلي ـ والعياذ بالله ـ بمرض لا يكون معه راغباً في شيء، فمهما قيل له انّ هذه المادّة الغذائيّة نافعة لجسمه فانّه لا يتحرّك لتناولها.

اذن بالاضافة الىٰ المعرفة لابدّ من وجود الرغبة والدافع في اعماق الانسان.

والشؤون الاجتماعيّة والسياسيّة لها نفس هذا الحكم. فحتىٰ لو عرف الشخص انّ الحركة الاجتماعيّة الكذائيّة حسنة ونافعة فانّه لا يتحرّك نحوها ما لم يكن هناك دافع للقيام بتلك الحركة. وقد يصرّح بانّ القيام بها حسن لكنّه لابدّ لي من دافع وعامل يحرّكني لأقوم بذلك الفعل.

ثمّ بعد ان عرفنا وسلّمنا بانّ السلوك والحركات الانسانيّة الواعية تحتاج الىٰ طائفتين من العوامل احداهما عوامل المعرفة والثانية عوامل العواطف والاحاسيس، وبعد ان عرفنا مدىٰ ما لحركة سيّد الشهداء عليه السلام من دور مهمّ في سعادة الناس، فانّنا سوف نلتفت الىٰ انّ المعرفة وحدها لا تحقّق فينا الحركة. ومعرفة تلك الخواطر وتذكّرها لا تقودنا الىٰ فعل مشابه لفعل الامام عليه السلام ولا تحملنا علىٰ اقتفاء اثره إلّا اذا تحقّق في انفسنا الدافع، ثمّ علىٰ اساسه نغدو محبّين لان نقوم بما يشبه ذلك الفعل. انّ المعرفة وحدها لا توجد فينا هذه الرغبة، بل لابد من تحريك العواطف وبعث المشاعر حتىٰ نستعدّ للقيام بمثل تلك الحركة.

اذن تحقّق مثل هذا الامر يحتاج الىٰ طائفتين من العوامل. وجلسات البحث والتحقيق والخطابة توفّر لنا الطائفة الأولىٰ من تلك العوامل، اي انها تزوّدنا بالمعارف اللازمة. لكنّه لابدّ لنا من الطائفة الثانية حيث يتمّ من خلالها تنمية العواطف وتقوية المشاعر. ومن الواضح ان للمعرفة ذاتها دوراً في تذكّر ودراسة الواقعة، لكنّ الدور الاساسيّ تنهض به الامور التي لها تأثير مباشر علىٰ العواطف والمشاعر.

عندما تُعاد صياغة مشهد معيّن ويتملّىٰ الانسان في ذلك المشهد عن كثب فانّ هذا يختلف كثيراً عمّا لو سمع الانسان بوقوع هذه الحادثة، أو انّه اطّلع صدفةً علىٰ حدوثها.

وانتم تستطيعون ان تجرّبوا هذا الأمر في حياتكم، حيث تلاحظون اختلافاً كبيراً بين شيء عرفتم انه قد تحقّق او سوف يتحقق لكنّكم لم تشاهدوا وقوعه، وشيء شاهدتم بأعينكم تحقّقه.

مثلاً نحن نعلم جميعا بوجود اناس كثيرين محرومين في هذه المدينة، ولكنّ رؤية انسان محروم يعيش حالة مثيرة للشفقة يمكنها ان تترك فينا اثراً لا يمكن ان يتركه صرف المعرفة. عندما يشاهد الانسان حالة مريض أو طفل يتيم مثيرة للرقّة فانّ هذه المشاهدة تترك اثراً في روحه لا تتركها المعرفة المجرّدة.

انّ هذا الموضوع يمكننا تجربته في حياتنا ويمكننا ايضا ان نلاحظه في المصادر الدينيّة.

وفي هذا المجال نشير الىٰ قصّة واردة في القرآن الكريم بعنوان كونها مثالاً علىٰ ما ذكرناه. فنحن نعلم ان النبيّ موسىٰ عليه السلام قد دعي من قبل اللّٰه تعالىٰ الىٰ جبل الطور ليعبد الباري عزّوجلّ هناك. وقيل للناس انّ موسىٰ عليه السلام سوف يبقىٰ هناك شهراً من الزمان، لكن ارادة اللّٰه سبحانه قد تعلّقت بان يبقىٰ هناك اربعين يوماً، يقول تعالىٰ: «**وَ وٰاعَدْنٰا مُوسىٰ ثَلاٰثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْنٰاهٰا بِعَشْرٍ**»[١]

وهذه الليالي العشر الاخيرة لم يكن الناس عالمين بها، وقد كان هذا اختباراً لبني اسرائيل ليبيّن لهم الىٰ أيّ مدىٰ هم متمسكون بايمانهم. ولمّا انتهت الليالي الثلاثون جاء بنو اسرائيل الىٰ هارون عليه السلام ـ وهو خليفة موسىٰ عليه السلام ـ وسألوه عن سبب

---

١. سورة الاعراف، الآية ١٤٢.

عدم عودة اخيه، فأجاب بانّنا منتظرون وسوف يعود سريعاً. وفي اليوم التالي لم يعد موسىٰ عليه السلام فكرّروا السؤال عنه، وبدأوا يشككون بان تأخّره يعني انّه قد تركهم وذهب الىٰ حال سبيله، واستغلّ السامريّ هذه الفرصة المواتية فصنع لهم عجلاً ودعا الناس الىٰ عبادة العجل قائلاً:

«هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَ إِلٰهُ مُوسىٰ»[١]

انّ اله موسىٰ الّذي دعاه للمناجاة في جبل الطور والذي بعث موسىٰ بالرسالة الىٰ الناس هو نفس هذا الذي صنعته لكم، فوقع كثير من بني اسرائيل ساجدين لهذا العجل وراحوا يعبدونه.

وأوحىٰ اللّه تعالىٰ الىٰ موسىٰ عليه السلام بالحادثة الّتي وقعت بين بني اسرائيل، فقد اصبح الناس يعبدون العجل خلال غيبتك عنهم في هذه الليالي العشر، وقد سمع موسىٰ عليه السلام بهذا النبأ ولكنه لم يُبد ردَّ فعل عليه.

وانتهت الليالي الاربعون وعاد الىٰ بني اسرائيل وهو يحمل الالواح السماوية التي انزلت عليه لكي يدعو الناس الىٰ طاعة الاحكام الالهيّة والعمل بالشريعة النازلة اليهم. عندما حضر موسىٰ عليه السلام بينهم شاهد الناس يعبدون العجل، وبمجرّد ان رأىٰ هذا المشهد أمامه تغيّر وضعه واستولىٰ عليه الغضب، يقول تعالىٰ:

«وَ أَلْقَى الْأَلْوٰاحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ»[٢]

وهو يسأله معترضاً عليه: لماذا سمحت للناس ان يسلكوا سبيل الضلال: **«أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِي»**[٣]

ولا نحتاج هنا الىٰ اكمال بقية القصّة، لانّ شاهدنا هو هذا القسم منها، حيث

---

١. سورة طٰه، الآية ٨٨.

٢. سورة طه، الآية ٨٨.

٣. سورة الاعراف، الآية ١٥٠.

يوجد الفارق الكبير بين ان يعرف الانسان بوقوع حادثة وان يشاهد وقوعها. انّ اللّٰه سبحانه كان قد اخبر موسىٰ عليه السلام بما جرىٰ بين قومه من عبادة العجل، ولم يكن لدىٰ موسىٰ عليه السلام ادنىٰ شكّ في حدوث ذلك، لانّ اللّٰه الصادق تعالىٰ هو المخبر بها، لكنّه عندما سمع بذلك الخبر لم تبد عليه آثار الغضب. بينما لمّا عاد الىٰ بني اسرائيل وشاهد الناس يعبدون العجل اضطرب ولم يستطع ان يتحمّل الموقف فاندفع الىٰ اخيه معترضاً عليه بالصورة المذكورة سابقاً.

ومقصودنا هو بيان الفرق بين المعرفة والمشاهدة.

لقد خلق اللّٰه سبحانه الانسان علىٰ هيئة بحيث يتأثر بالشيء الذي يراه تأثراً لا يمكن ان يحصل من خلال المسموعات او المعلومات. واذا اعدنا صياغة المشاهد ـ سواء أكان ذلك في الاطار التقليديّ ام باستخدام الاساليب الحديثة ـ واخرجناها بصورة تمثيل أو فلم يجسّم للناس أحداث عاشوراء فان لهذه المشاهد آثاراً لا يقترب منها اثر الاقوال والمعلومات التي تعكس نفس الموضوع.

وقد جرّبتم نماذج لهذا الموضوع مراراً في حياتكم فسمعتم حوادث عاشوراء مكرّرة واستقرّت في اذهانكم وتعلمون كيف استشهد الامام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، ولكن هل هذه المعلومات تُجري الدموع من عيونكم؟

امّا اذا حضرتم في مجلس العزاء وبدأ القارئ يقرأ الرثاء ولاسيّما اذا كان الشعر رائعاً والصوت حزيناً واستغرق بصورة جذابة في بيان قصة كربلاء فسوف لن تتمالكوا انفسكم وانما تُجهشون بالبكاء من دون اختيار. انّ هذا الاسلوب يؤثّر في تحريك المشاعر بصورة اكبر بكثير من تأثير الاطلاع والمعرفة، فما يُرىٰ اكثر تأثيراً مما يُسمع.

ومقصودنا من هذه التوضيحات هو انّنا علاوة علىٰ كوننا لابدّ ان نعرف لماذا نهض الامام الحسين عليه السلام؟ ولماذا استشهد مظلوماً؟ لابدّ ايضا ان تُعاد صياغة هذا

الموضوع بشكل افضل بحيث نسمع تلك الاحداث ونشاهدها لتُستثار عواطفنا ومشاعرنا بشكل قويّ. وكلّما كانت هذه المشاهد اكثر تأثيراً في إثارة مشاعرنا وعواطفنا فانّ حادثة عاشوراء تصبح اعمق تأثيراً في حياتنا.

وبناءً علىٰ هذا فانّ مجرد البحث والدراسة العلميّة لواقعة عاشوراء لا يمكن ان يقوم بدور مجالس العزاء، ولابدّ من توفير مشاهد في المجتمع تحرّك مشاعر الناس. مثلاً ان يخرج الانسان من بيته في الصباح فيشاهد السواد يعمّ شوارع المدينة وتنتشر الاعلام السود فيها، ان نفس هذا التغيير في الوضع العام يحرّك القلوب ويهزّ المشاعر، وصحيح انّ الناس يعلمون انّ غداً هو اليوم الاول من شهر محرّم ولكنّ لمشاهدة الاعلام السود اثراً في قلوبهم لا يستطيع ان يوجده في انفسهم مجرّد العلم بانّ غداً هو بداية شهر محرم، انّ تشكيل هيئات اللطم بذلك الحماس الخاصّ يمكن ان تكون له آثار لا يحقّقها ايّ عمل آخر.

فالسؤال الثاني هو: لماذا لا نكتفي في احياء ذكرىٰ سيدالشهداء عليه السلام بالبحث والدراسة والخطابة وتنظيم الندوات وكتابة المقالات وما شابه ذلك؟ لماذا لابدّ من اقامة مجالس العزاء؟

والجواب هو: لابدّ من ايجاد هذه المشاهد لتقوية العامل العاطفيّ فينا بالاضافة الىٰ استحكامَ عامل المعرفة. فاذا استثيرت العواطف فانّها تستطيع ان تؤثّر. ونستطيع أن نجد نمادج هذا التأثير في حياتنا الفرديّة وفي حياتنا الاجتماعيّة، ولاسيّما في هذه العقود الاربعة الاخيرة التي بدأ فيها الامام الخمينيّ رحمه الله حركته ضدّ اجهزة الكفر والطاغوت، فقد لاحظتم في ايّام محرّم وصفر انّ اسم سيدالشهداء عليه السلام واقامة العزاء عليه يدفع الناس الىٰ الحركة. انّ مثل هذا الحماس والحيويّة لا يوجد اِلّا في هذه الايام المباركة ولا يتحقّق اِلا في مراسم العزاء التقليديّة وما شابه ذلك. اذن لابدّ من تكثيف الجهود والقيام بما يثير عواطف الناس وعندئذ تكون الخواطر مؤثّرة. وبهذا

نفهم لماذا كان الامام ﷺ يكرّر القول: «كلّ ما عندنا فهو من بركات محرّم وصفر»[١].

ولماذا كان يصرّ كثيراً علىٰ اقامة العزاء بنفس الصورة التقليديّة المتداولة؟[٢] لانّ مثل هذه الامور قد اثبتت جدارتها بشكل رائع خلال ثلاثة عشر قرنا في إثارة مشاعر الناس وعواطفهم الدينيّة. وقد دلّت التجارب علىٰ انّ اغلب الانتصارات الّتي قد تحققت أثناء مرحلة الثورة الاسلاميّة أو في جبهات القتال خلال مرحلة الحرب المفروضة انّما كانت اثر حماس الناس وحيويّتهم في ايّام عاشوراء وقد تمّت ببركة اسم سيّد الشهداء ﷺ. وليس هذا التأثير قليلاً في الميزان. فبأي ثمن يمكن ايجاد مثل هذا العامل في المجتمع بحيث يدفع الناس الىٰ الحركة بهذه الصورة من الحماس والرغبة؟ ويحقّق هذا العشق المقدّس ليجعل الناس يتسابقون في طلب الشهادة؟ لو قلنا ان هذا العامل غير متوفّر في أيّ مدرسة اخرىٰ وفي أيّ مجتمع آخر، لما جانبنا الحقيقة.

اذن في مجال إحياء واقعة عاشوراء نحن بحاجة الىٰ شيء آخر غير البحث والدراسة، حيث يكون ذلك الشيء مؤثّراً في بعث المشاعر واثارة العواطف.

فالجواب العامُّ لذلك السؤال هو انّ الانسان لم يزوّد ـ فقط ـ بالمعرفة، وانما هناك قوة اخرىٰ ـ بالاضافة الىٰ المعرفة ـ هي الحماس والهيجان، وعاملها المشاعر والعواطف. فلابد من تقوية هذه العوامل لتؤدّي دورها بالشكل المطلوب. وبرامج العزاء من جملة هذه العوامل.

لماذا لابدّ من اقامة العزاء في ذكرىٰ واقعة عاشوراء؟

الىٰ هنا عرفنا انّه لابدّ من ايجاد عوامل في المجتمع لكي تحرّك في الناس عواطفهم

---

١. صحيفهٔ نور، ج ١٥، ص ٢٠١.

٢. نفس المصدر السابق.

ومشاعرهم الدينيّة ولتدفعهم ليقوموا بعمل مشابه لما فعله سيّدالشهداء عليه السلام وليواصلوا سبيله وليعشقوا طريقه.

وفي هذا المضمار يُطرح موضوع آخر وهو انّ سبيل بعث المشاعر واثارة العواطف ليست منحصرة في اقامة العزاء والبكاء، فقد تُثار عواطف الانسان باقامة مراسم الفرح والسرور. ونحن نعلم في مناسبات الولادة لأهل البيت عليهم السلام ولاسيّما ولادة سيدالشهداء عليه السلام عندما تقام حفلات الفرح والسرور ويجري علىٰ الالسن مدحهم فانّ الناس تستولي عليهم حالة من الحماس والحيويّة. ويُطرح هنا السؤال الثالث وهو: لماذا لا تُستغلّ مراسم الفرح لاثارة المشاعر؟

ولماذا هذا الاصرار علىٰ البكاء؟ لماذا ضرب النفس وايذاؤها؟

تعالوا لنحتفل بدل هذا ونوزّع الحلويات ونقرأ المدح والثناء والاناشيد لنحرّك بها مشاعر الناس.

والجواب هو: انّ للمشاعر والعواطف الواناً متنوّعة. ويتمّ تحريك كل لون من المشاعر والعواطف بواسطة الحادثة المناسبة له. والحادثة التي نهضت بأكبر دور في التاريخ الاسلاميّ هي حادثة استشهاد ابي عبدالله الحسين عليه السلام، فهي التي غيّرت مسيرة التاريخ الاسلاميّ، وهي التي زوّدت الانسان الىٰ يوم القيامة بدروس التحرّك والنهضة والمقاومة والاستقامة. ولتجديد تلك الخواطر لا يكفي اقامة مجالس الفرح والسرور، بل لابدّ من القيام بعمل مناسب لتلك الحادثة. اي لابدّ من القيام بعمل يثير حزن الناس ويجري دموعهم ويغرس العشق والحماس في قلوبهم. والشيء الذي يمكن ان يقوم بهذا الدور في هذه الحادثة هو اقامة مراسم العزاء والبكاء وخلق الاجواء التي تبكي الناس، بينما السرور والضحك لا يستطيع ان ينهض بهذا الدور. انّ الضحك لا يخلق من الانسان باحثاً عن الشهادة، ولا يحمله الىٰ جبهات القتال، ولا يعبّد الطريق لكي يتحمّل الناس آلام ومصائب الحروب التي تُفرض علىٰ

المؤمنين. انّ مثل هذه الامور يحتاج الىٰ عشق آخر نابع من البكاء والحماس والحرقة. وسبيل هذا هو اقامة مجالس العزاء.

لماذا لابدّ من صبّ اللعن علىٰ اعداء الامام الحسين عليه السلام؟

وبعد ذلك السؤال قد يُطرح سؤالٌ آخر يثيره المنافقون «المتحضرون» غالباً في هذه الايام، حيث يقولون: سلّمنا بان تاريخ الامام الحسين عليه السلام مؤثر ومحرّك، وعرفنا انه لابدّ من احيائه بعمق في الخواطر واقامة العزاء في ذكراه، ولكنّكم تقومون بشيء آخر في مراسم العزاء، فلا تكتفون بالذكر الحسن والثناء العطر للامام الحسين عليه السلام والبكاء علىٰ ما جرى من أحداث مؤلمة في استشهاده، وانما تصبّون اللعنات علىٰ اعداء الامام الحسين عليه السلام، فلماذا هذا الفعل، ولماذا هذا اللعن لأعداء الحسين عليه السلام؟ انّ هذا الفعل يعتبر لونا من العنف والتشاؤم، انّها مشاعر سلبيّة ولا تنسجم مع عقليّة «الانسان المتحضّر». عندما تُستثار مشاعركم حاولوا ان تشبعوها بالبكاء والعزاء، ولكن لا تتلفّظوا بألفاظ اللعن والسباب، ولا تقولوا: «اتقرب الىٰ اللّه ... بالبراءة من اعدائكم»[١]. لماذا ترسلون اللعن مائة مرة الىٰ اعداء الامام الحسين عليه السلام في زيارة عاشوراء؟

تعالوا واستبدلوا بهذا اللعن مائة مرة من السلام على الحسين عليه السلام. لماذا تُوزّع هذه اللعنات وتُسمّم الاجواء وتُخلق في الناس رؤية تشاؤميّة بالنسبة للآخرين أو تُبعث في أنفسهم مشاعر سلبيّة؟ انّ هذا زمان لابدّ فيه من التعايش مع جميع الناس بسلام وابتسام ووجه طليق مبتشر. انّ هذا زمان لابدّ فيه من الحديث عن الحياة، وعن الفرح والسرور، وعن السلام والوئام. واما عقليّة اللعن والتبرؤ والإعراض عن

---

١. زيارة عاشوراء.

الآخرين ومقاطعتهم، فهي من الوان عقليّة العنف التي تنتسب الىٰ ما قبل اربعة عشر قرنا وهو الزمان الذي قُتل فيه الامام الحسينﷺ، وهي عقليّة تتناسب مع ذلك الزمان. امّا اليوم فانّ الناس والمجتمع لا يحبّذون مثل هذه الأساليب. تعالوا واستبدلوا بهذه الاساليب البالية اسلوب الوئام والسلام وابتسموا حتىٰ في وجوه اعدائكم وعاملوهم بالمحبّة، أليس الاسلام هو دين المحبّة؟ ودين الرأفة والرحمة؟ هل يتناسب مع هذا الدين ان تلهج السنتكم باللعن والكلام الجارح البذيء؟

لو كان هذا السؤال مطروحاً في الواقع عن جهل فانّ جوابه سهل يسير، لكنّنا نحتمل بقوّة انّ كثيراً ممّن يتحدّث بهذه الطريقة انّما يحمل افكاراً اخرىٰ وتدور في مخيلته اغراض خاصّة. من المحتمل جدّاً انّهم يقتفون اثر سياسات اخرىٰ، أو انّهم ينفّذون خططا قد رسمها آخرون. وعلىٰ كلّ حال فنحن نبني علىٰ اساس انّ هذا السؤال كان بدافع عقليّ وعلميّ وهو بحاجة الىٰ جواب علميّ. وبغضّ النظر عن التقييم في مجال طرح مثل هذه الأسئلة نفرض انّ شابا توجّه الينا بالسؤال: لماذا لابدّ من لعن قاتلي الحسينﷺ؟ بدل ان نلعن اعداءه مائة مرة في زيارة عاشوراء فلنرسل السلام والتحية مائة مرة للامام الحسينﷺ. أليس في السلام علىٰ سيدالشهداء ثواب عظيم؟ فلنسلّم على الحسينﷺ مائة مرة بدلَ لعن اعدائه مائة مرة، أليس هذا افضل؟ ما الداعي الىٰ كلّ هذا اللعن والبذاءة واظهار البراءة والسباب والشتائم؟

والجواب العلميّ لمثل هذا السؤال هو: كما انّ فطرة الانسان لم تتشكّل من المعرفة فقط، فكذا الأمر في مجال العواطف والمشاعر، فهي لم تتشكّل من العواطف والمشاعر الايجابيّة فقط. فالانسان موجود يتمتّع بالمشاعر الايجابيّة والمشاعر السلبيّة ايضاً. وكما انّ الفرح موجود في انفسنا فانّ الحزن موجود فيها ايضا. هكذا خلق اللّٰه الانسان، فلا يستطيع ايّ انسان ان يعيش بلا حزن وبلا فرح. وكما زوّدنا

اللّٰه تعالىٰ بالاستعداد للضحك فانه زوّدنا بالاستعداد للبكاء أيضاً. في المجال المناسب لابدّ ان يضحك الانسان، وفي المجال المناسب لابدّ ان يبكي. وتجميد جانب من وجودنا يعني عدم الانتفاع من بعض نعم اللّٰه التي وفّرها لنا. انّ الحكمة في انّ اللّٰه تعالىٰ خلق فينا الاستعداد للبكاء هي انّه لابدّ من البكاء في بعض الموارد. ويجب علينا ان نبحث ونشخّص هذه الموارد، والّا اصبح الاستعداد للبكاء لغواً في وجودنا. لماذا جعل اللّٰه تعالىٰ هذا الاحساس في الانسان بحيث يستولي عليه الحزن والغم وتجري الدموع من عينيه؟ يُعلم من هذا انّ للبكاء في حياة الانسان دورَه ومجالَه المناسب. انّ للبكاء من اللّٰه بدافع الخوف من عذابه أو بدافع الشوق الىٰ لقائه أو بدافع الشوق الىٰ لقاء محبوب آخرَ دوراً في تكامل الانسان. فالانسان يرقّ قلبه عندما يشعر بلهيب النار في اعماقه بالنسبة لمحبوبه المصاب. فهذه طبيعة الانسان تقتضي ان يرقّ قلبه في بعض الموارد وعندئذ تنهمر الدموع من عينيه.

لقد غرس اللّٰه تعالىٰ في انفسنا المحبّة حتىٰ نظهر الحبّ بالنسبة للذين يقدّمون لنا خدمات وبالنسبة لمن يتمتّعون بالكمال، سواء أكان كمالاً جسميّا أم عقليّا أم نفسيّا أم عاطفيّا، فاذا شعر الانسان بوجود كمال أو صاحب كمال فانه يحبّه ويتعلق به، وعلاوة علىٰ هذا فقد جعل اللّٰه البغض والعداوة في نفس الانسان في نقطة مقابلة للمحبّة.

فكما انّ الانسان مفطور علىٰ ان يحب من قدّم اليه خدمة، فهو مفطور ايضاً علىٰ ان يكره ويُبغض من أَلْحَقَ به ضرراً. ومن الواضح ان الاضرار الماديّة الدنيويّة لا أهميّة لها عند المؤمن، لانّ الدنيا برمّتها لا قيمة لها عنده، لكنّ العدوّ الّذي يحاول ان يسرق من الانسان دينه، والعدوّ الذي لا يدّخر جهداً في ان يسلب من الانسان سعادته الأبديّة هل يمكن السكوت عنه؟ يقول اللّٰه تعالىٰ في القرآن الكريم:



«إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا»[١]

فهل يمكن الابتسام للشيطان؟ وهل يمكن الوئام والسلام معه؟

اذا تورّط الانسان في ذلك فسيصبح شيطاناً مثله.

اذا كان من الضروريّ المحبّة لأولياء اللّٰه فانّه من الضروري أيضاً العداوة لأعداء اللّٰه. هكذا هي فطرة الانسان، وهذا هو عامل تكامل الانسان وسعادته. اذا لم تتحقق «العداوة» مع اعداء اللّٰه، فانّ سلوك الانسان معهم يرقّ تدريجيّاً وتنشأ الصداقة فيما بينهم، ونتيجةً لمعاشرتهم يتأثّر بسلوكهم ويفتح قلبه وعقله لأقوالهم، ويغدو شيئاً فشيئاً شيطاناً مثلهم. هل تعترضون علىٰ صحّة ما نقول؟ انظروا الىٰ القرآن ماذا يقول؟: «وَ إِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ»[٢]

اذا رأيت اناساً يتحدّثون عن الدّين بصورة السخرية والاستهزاء وبطريقة مهينة فلا تقترب اليهم ولا تُصغِ الىٰ ما يقولون حتّىٰ ينتقلوا الىٰ موضوع آخر. وفي آية كريمة اخرىٰ يقول تعالى:

«وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللّٰهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللّٰهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَ الْكافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً»[٣].

من يحبّ الذين يستهزؤون بالدين ويبتسم في وجوههم فانّ كلامهم يؤثّر عليه تدريجيّاً ويخلق الشكّ في نفسه، وعندئذ يصبح اظهاره للايمان نفاقاً. فالنفاق هو ان لا يكون الايمان في قلبه ولكنه في الظاهر يدّعي انه مؤمن. اذن هذا الوئام مع

---

١. سوره فاطر، الآية ٦.
٢. سورة الانعام، الآية ٦٨.
٣. سورة النساء، الآية ١٤٠.

الكفار يؤدّي به الىٰ ان يلتحق بهم في النهاية، واذا اصبح منافقا في الدنيا بسبب مجالسته ومعاشرته للكافرين فانّه في الآخرة سوف يكون رفيقهم في جهنّم: «إِنَّ اللّٰهَ جٰامِعُ الْمُنٰافِقِينَ وَ الْكٰافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً»

وبعبارة اخرىٰ انّ العداوة مع الاعداء هي نظام دفاعيّ في مقابل الاضرار والمخاطر. فجسم الانسان كما انّه مزوّد بعامل جذاب يجتذب الموادّ النافعة، فانّه مزوّد ايضا بنظام دفاعيّ يطرد السموم والجراثيم، يقاومها ويقضي عليها. وهذه هي مهمّة الكريات البيض في الدم. امّا اذا اصيب النظام الدفاعيّ للبدن بالضعف فانّ الجراثيم تنمو وتستفحل، ويؤدّي ذلك الىٰ اصابة الانسان بالأمراض، ولعلّه بالتالي يواجه الموت.

واذا قلنا انّ دخول الجراثيم الىٰ بدن الانسان لا مانع منه! ورحّبنا بها علىٰ اساس انّها ضيف كريم يجب احترامه! فهل يبقىٰ البدن سالماً في هذه الحالة؟ كلّا، لا يتصرّف الانسان العاقل بهذه الصورة، وانّما يقول لابدّ من القضاء علىٰ الجراثيم. هذه سنّة الهيّة، فقد اخذ التدبير والحكمة الالهيّة بعين الاعتبار نظامين لكل موجود حيّ، احدهما نظام للجذب والآخر نظام للطرد، فكما انّ جذب الموادّ النافعة ضروريّ لنموّ كل موجود حيّ فانّ طرد السموم والموادّ الضارّة من البدن امر ضروريّ أيضاً. ولو لم يطرد الانسان السموم من بدنه فانّه لا يستطيع ان يستمرّ في حياته.

فهناك اجهزة في بدن الانسان والحيوان مثل الكلية والمثانة وغيرهما تقوم بهذه المهمّة بشكل طبيعيّ وتطرد الموادّ الضارة الىٰ خارج البدن. وفي بعض الاحيان تهاجم البدن جراثيم من الخارج، فهنا تنشط الكريات البيض في الدم تتصدّىٰ لها وتقاومها وتقضي عليها ثم تطردها خارج البدن. وكذا الأمر في روح الانسان فلابدّ من وجود مثل هذا الاستعداد فيه، لابدّ من وجود عامل جذب نفسيّ فيه حتىٰ نأنس بالأشخاص الذين هم نافعون بالنسبة الينا، فنحبّهم ونقترب اليهم، ونكتسب



منهم العلم والكمال والادب والمعرفة والاخلاق.

لماذا لابدّ ان يحبّ الانسانُ الاشخاصَ والامورَ الحسنة؟ لكي ينتفع منها عندما يقترب اليها. لابدّ من اظهار المحبّة للناس الطيّبين الذين هم منشأ للكمال، ولهم تأثير ضخم في تقدّم المجتمع وازدهاره، وفي المقابل لابدّ من اظهار العداوة عمليّاً لمن يلحقون الضرر بمصير المجتمع، يقول اللّٰه تعالى في القرآن الكريم:

«قَدْ كٰانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرٰاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قٰالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّٰا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمّٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ كَفَرْنٰا بِكُمْ وَ بَدٰا بَيْنَنٰا وَ بَيْنَكُمُ الْعَدٰاوَةُ وَ الْبَغْضٰاءُ أَبَداً حَتّٰى تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ»[١]

يأمرنا اللّٰه تعالىٰ بالتأسي بابراهيم واصحابه، ونحن نعلم ان لابراهيم عليه السلام مكانةً رفيعة في الثقافة الاسلاميّة، فالنبيّ الاكرم صلى الله عليه وآله ذاته يصرح بانّني تابع لابراهيم، والاسلام هو الاسم الذي اطلقه ابراهيم عليه السلام علىٰ هذا الدين. يقول تعالىٰ:

«هُوَ سَمّٰاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ»[٢]

ماذا كان يفعل ابراهيم عليه السلام واصحابه؟ كانوا يعادون عبدة الاصنام ويطردونهم ويعلنون لهم: «إِنّٰا بُرَآؤُا مِنْكُمْ» ولا يكتفون بالبراءة منهم بل يقولون لهم: بدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء الىٰ يوم القيامة، إلا اذا توقّفتم عن الخيانة.

ونحن اذ نعلن العداوة والبغضاء للشيطان الأكبر واعداء الاسلام ولا نسمح بحذف هذا الشعار المهم «الموت لأمريكا»، انما هو تأسٍ بابراهيم عليه السلام، فقد امرنا القرآن الكريم بالتأسي بابراهيم عليه السلام لنقولها بصراحة: الموت لأعداء الاسلام، ونتجاهر بعداوتنا لاعداء الدين. فالانسان العاقل لا يوزّع الابتسامات في كل المجالات، بل لابدّ له ان يعبس في وجوه البعض ويقولها صريحة له: أنا عدوك

---

١. سورة الممتحنة، الآية ٤.

٢. سورة الحج، الآية ٧٨.

وليس بيني وبينك سلام الا اذا كففتَ عن خيانتك. هذا هو امر القرآن. ويقولون ان فروع الدين عشرة، وبعد «الامر بالمعروف» و«النهي عن المنكر» يعدّون من فروع الدين «التولّي» و«التبرّي». اي من جملة الواجبات الّتي لابدّ ان يهتمّ بها جميع المسلمين ويعملوا بمضمونها هو ان نحبّ اولياء اللّٰه وان نعادي اعداء اللّٰه ايضا. ولا يكفي محبة اولياء اللّٰه، فاذا لم تكن العداوة لأعداء اللّٰه فانّ المحبة للأولياء سوف تزول وتضمحل، فلو انعدم النظام الدفاعيّ للبدن فانّ نظام الجذب سوف يتعطّل ايضا.

والشيء المهمّ هو ان نعرف بدقّة مجالات الجذب والطرد. فأحيانا تختلط الامور مع الأسف الشديد، ففي المورد الذي لابدّ ان نقوم فيه بالجذب فانّنا نستخدم عمليّاً الطرد. فالشخص الّذي اخطأ في القول ـ عن جهل ـ وزلّت قدمه ثمّ ندم، او اذا بيّنا له الموقف الصحيح فانّه يحكّم الانصاف ويعترف بخطئه، انّ مثل هذا الشخص لا ينبغي معاداته، فلمجرّد انّه ارتكب ذنبا لا ينبغي طرده من المجتمع، بل لابد من التصدّي لاصلاحه. انّه مريض لابدّ من معالجته. وفي مثل هذا المورد لا يتمّ اللجوء الىٰ العداوة، نعم اذا كان الشخص متعمداً ويشيع المعصية في المجتمع بشكل علنيّ فانّ هذه خيانة لابدّ من التصدي لها واعلان العداوة لصاحبها. امّا اذا ارتكب الشخص الذنب خطأً فلابدّ من التعامل معه برفق ومودة، ولا يجوز هتك حرمته واسقاط شخصيّته، بل لابدّ من السعي لاصلاحه، انّه يعاني من مشكلة ويجب حلّ مشكلته.

امّا بالنسبة للأعداء الحاقدين الغدّارين فالله تعالىٰ يقول: «**وَ لَـنْ تَـرْضىٰ عَـنْكَ الْيَهُودُ وَ لاَ النَّصارىٰ حَتّٰى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**»[1]

فما لم تكفّوا عن ثورتكم الاسلامية فانّ امريكا لن ترضىٰ عنكم، لابدّ ان نتأمّل في كل يوم ماذا يعني الصلح والسلام مع امريكا؟ وماذا يعني الابتسام لهؤلاء؟

---

١. سورة البقرة، الآية ١٢٠.

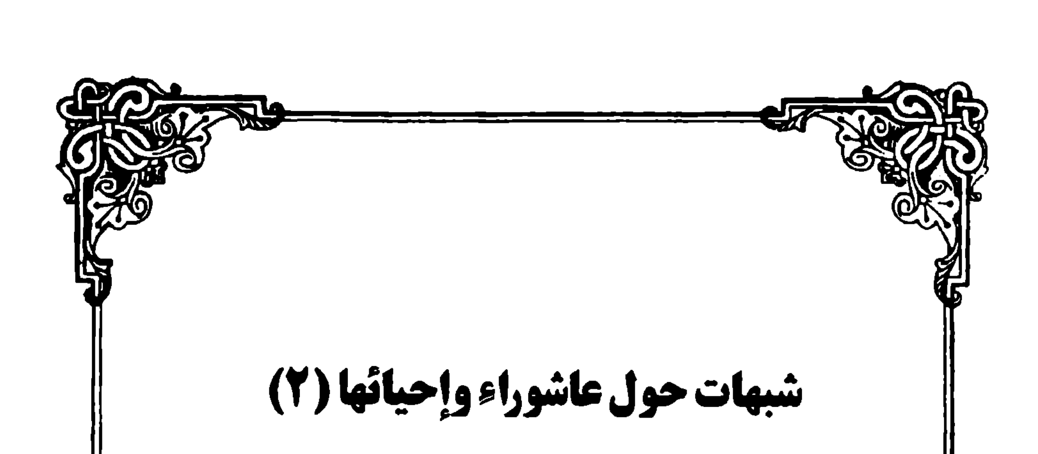
يجب علينا ان نتعامل معهم بكل غضب وعنف وان نعبس في وجوههم. لابدّ ان نمطر الموت علىٰ رؤوسهم، لأنّهم لا يقتنعون بأقلّ من الموت لنا، ولا يكتفون بالموت لأجسامنا، ولا يشفي غليلَهم الموتُ لأرواحنا، وانّما هم يفرحون بموت ديننا.

وخلاصة كلامنا هو انّ احياء ذكرىٰ سيّد الشهداء هي اعادة لصياغة الحياة الحسينيّة، وذلك لننتفع بهذه الحياة الكريمة علىٰ أحسن نحو. ولا ينبغي الاكتفاء بالدراسات العلميّة، لانّ الانسان بحاجة الىٰ استثارة عواطفه ومشاعره، ولا ينبغي الاقتصار ايضاً علىٰ العواطف الايجابيّة كالفرح والسرور والضحك والابتسام، وذلك لانّ احياء خواطر سيدالشهداءعليه‌السلام ومظلوميّته لا يتيسّر إلّا عن طريق مشاعر الحماس والحزن والبكاء والحداد. ومع ارسالنا لآلاف التحيّة والسلام للامام الحسينعليه‌السلام ولتراب قبره الطاهر فانّنا نرسل آلاف اللعن لأعداء الحسينعليه‌السلام اعداء اللّٰه والاسلام. والسلام وحده لا يحلّ المشكلة، لاننا لا نستطيع ان ننتفع من بركات الحسينعليه‌السلام اِلّا اذا قمنا باللعن أوّلاً لأعدائه، ثمّ نرسل اليه التحية والسلام. والقرآن يذكر أوّلاً في صفات اصحاب النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله: **«أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ»**[1] ثمّ يقول **«رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»**[2]، فلابدّ من وجود اللعن الىٰ جانب السلام، ولابدّ من اظهار التبرّي والعداوة لاعداء الاسلام الىٰ جانب التولّي لاولياء اللّٰه. اذا كنّا بهذه الصورة فنحن حسينيّون، واِلّا فانّه لا ينبغي ان نلصق أنفسنا بالحسينعليه‌السلام من دون استحقاق.

---

۱. سورة الفتح، الآية ۲۹.

۲. نفس المصدر السابق.



شبهات حول عاشوراء وإحيائها (٢)

- دور عاشوراء في بقاء الاسلام
- سعة وأهميّة وتأثير اقامة العزاء لسيّد الشهداء عليه السلام
- قداسة نهضة عاشوراء وامتناع تحريفها

لقد طرحنا في الفصل السابق سؤالاً يخطر بشكل طبيعيّ في أذهان اليافعين والشباب وهو: لماذا لابدّ ان نقيم مراسم العزاء لسيّد الشهداء عليه السلام في ايّام شهر محرّم وكذا في سائر الايّام؟

وقلنا انّ هذا السؤال يمكن تحليله الىٰ اربعة أسئلة، ثمّ أجبنا عليها بشكل تفصيليّ. وخلاصة الأجوبة هي انّ لواقعة كربلاء دوراً مصيريّاً في التاريخ الاسلاميّ، واحياء ذكرىٰ هذه الحادثة الأليمة يمكن ان يكون مؤثّراً في مستقبلنا.

ومعنىٰ هذا انّ جميع هذه الأجوبة تعتمد علىٰ فرض سابق مفروغ عنه وهو انّ قصّة كربلاء لها دور مهمّ ومصيريّ بالنسبة للاسلام والمسلمين.

دور عاشوراء في بقاء الاسلام:

قد نواجه هذا السؤال وهو:

كيف نعرف انّ لقصّة كربلاء مثل هذا الدور المصيريّ في تقدّم الاسلام، وفي بقاء الاسلام، وبالتالي في سعادة الناس، أو يمكن ان يكون لها ذلك في المستقبل؟

بودّنا ان نتحدّث في هذا المجال بمقدار ما نستطيع ويسمح به الوقت.

أجمع الصديق والعدوّ علىٰ انّ قصّة كربلاء اذا لم تكن وحدها تزهر في سماء الانسانيّة فانّها تعتبر من جملة الوقائع القليلة النظير.

ومن الواضح انّنا حسب ما انتهىٰ الينا من اقوال الأئمّة الطاهرين عليهم السلام نعتبر هذه

القصّة منحصرة بفرد فحسب، ونعتقد انّها لم يكن لها نظير في السابق ولن يكون لها نظير في المستقبل. ولكنّنا من باب الاحتياط في القول ولانّنا نواجه اشخاصاً يطالبوننا بالدليل والسند، ولكي لا ندخل في هذه المناقشات نقول: لقد اتفقت آراء جميع المُورّخين والمطّلعين علىٰ التاريخ البشريّ علىٰ انّ قصّة عاشوراء ان لم تكن منحصرة بفرد فانّها من الحوادث القليلة النظير في العالم، وهي حادثة لا يمكن مقارنتها الىٰ أيّة حادثة اخرىٰ، لا من حيث كيفيّة الوقوع، ولا من حيث عظمة المصيبة، ولا من حيث بقاء ذكرياتها بين الناس وما ترتّب عليها من آثار اجتماعيّة.

انّ نفس هذا الاصرار علىٰ اقامة مراسم العزاء في جميع ارجاء الجمهورية الاسلامية يمكن ان يكون عامل تحذير وانذار وايقاظ بانّ ايّة حادثة اخرىٰ لا يمكن ان تقارن الىٰ هذه الواقعة الأليمة. انّ هذه الحادثة التي يُنفق من اجلها كلُّ هذا الوقت، وتُرصد لها كل هذه الميزانيّات، وتُسكب من اجلها كل هذه الدموع، كيف يمكن تشبيهها بحادثة اخرىٰ؟ وأيّة واقعة يمكن ان تقارن اليها؟

سعة وأهميّة وتأثير اقامة العزاء لسيّد الشهداء عليه السلام

انّ مراسم العزاء هذه ليست مختصّة بالجمهورية الاسلامية، فلعلّ هناك من يتصوّر انّ اقامة مراسم العزاء مختصّة بهذا البلد الموالي لأهل البيت عليهم السلام ولكنّي اؤكّد لكم انّ مثل هذه المراسم الّتي تقيمونها في مُدُنكم وقراكم يُقام في اقصىٰ البلاد علىٰ وجه الكرة الأرضيّة في أيام شهر محرّم وصفر ولاسيّما في يوم عاشوراء. ففي مدينة نيويورك ـ وهي احدىٰ اكبر مدن العالم اليوم ـ يقيم ابناء الطائفة الشيعيّة من باكستان وايران والعراق ولبنان وبعض الدول الاخرىٰ هيئة للطم علىٰ الصدور تخترق في يوم عاشوراء اكبر شوارع هذه المدينة المكتظّة بالسكّان بحيث تصبح الحركة في هذا الشارع بطيئة وتُلفت انتباه جميع الناس هناك اليها.

وبالاضافة الىٰ الشيعة فهناك في كثير من البلاد السنيّة تقام مثل هذه المراسم في يوم عاشوراء من قِبل اهل السنّة انفسهم، أو اذا عقد الشيعة جلسات للعزاء هناك فانّ الاخوة السنّة يشعرون بانّهم مكلّفون بالمشاركة فيها. انّ كثيراً من اخوتنا السنة القاطنين في شبه القارّة الهنديّة، سواء أكانوا في الهند التي ربما يبلغ فيها عدد المسلمين ضِعف سكان ايران أم في بنغلادش والباكستان يشعرون بانّ من الواجب عليهم ـ بعنوان اداء اجر الرسالة ـ ان يساهموا في مراسم العزاء علىٰ سيّد الشهداء عليه السلام، لأنّ الله تعالىٰ يصرّح في القرآن الكريم: «**قُلْ لاٰ أَسْـئَلُكُمْ عَـلَيْهِ أَجْـراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ**»[1]

وبناءً علىٰ هذا فانّهم يعتبرون المودّة لأهل البيت عليهم السلام اجراً للرسالة ومن الواجب عليهم اداؤها. ولهذا عندما تقام مراسم العزاء لسيّد الشهداء فانّهم يشتركون فيها اظهاراً لمحبتهم لأهل البيت عليهم السلام واداءً للدين الّذي في اعناقهم. بل حتّىٰ عَبَدة الأصنام الذين لا يؤمنون بالشريعة الاسلاميّة يقيمون مراسم العزاء لسيد الشهداء ويقدّمون النذور الكثيرة فيها لما رأوه من بركات لهذه المراسم المقدّسة.

هذه الموارد منتشرة في كلّ أرجاء العالم وحتّىٰ الكفّار يعلمون بوجودها.

انّ ايّة حادثة في العالم ليس لها مثل هذا التأثير بحيث يمتدّ تأثيرها الىٰ الأُمم المختلفة.

فمن حيث طول فترة التأثير قد مرّ عليها اكثر من ثلاثة عشر قرناً وهي تحتفظ بطراوتها وحيويّتها وكأنّها قد وقعت بالأمس القريب، والناس لا يزالون الىٰ الآن يبكون بحرقة وتألّم ويلطمون علىٰ صدورهم ورؤسهم. والنموذج الّذي يمكن الاشارة اليه في هذا المجال هو مراسم العزاء التي يقيمها المسيحيّون بمناسبة صلب

---

١. سورة الشورىٰ، الاية ٢٣.

السيد المسيح عليه السلام. ففي الذكرىٰ السنويّة لصلب السيد المسيح عليه السلام ـ ونحن نعتقد انه لم يُصلب لانّ القرآن الكريم يصرح: «**وَ مٰا قَتَلُوهُ وَ مٰا صَلَبُوهُ وَ لٰكِنْ شُبِّهَ لَـهُمْ**»[١]، لكنّ المسيحيين يعتقدون بان عيسىٰ عليه السلام قد صُلب ثمّ دُفن ثم أُخرج من قبره بعد ثلاثة ايام وصعد الىٰ السماء، ولهذا فهم يقيمون مراسم العزاء في الذكرىٰ السنويّة لصلب السيد المسيح عليه السلام ـ وقد حضرتها شخصيّاً في احدىٰ السنين، حيث اقيمت هذه المراسم في الفاتيكان وفي أكبر كنيسة في روما وهي كنيسة القدّيس بيتر وقد حضر المراسمَ البابا الاكبر للكاثوليك، وقد شاركنا في حضور المراسم. ومن الطبيعي ان تكون المراسم الّتي يحضرها البابا وهو شخصيّة عالميّة كبيرة ويتنادىٰ لها جمع كبير من الناس من اطراف المعمورة وتقام في اكبر كنيسة في العالم ـ من الطبيعي ان تكون مراسم ضخمة وجليلة. وهم يرتدون الملابس السوداء في هذه المراسم ويضيئون الشموع ويتلون الأناشيد الدينيّة بصورة هادئة، وهي تشبه قراءة المراثي عندنا. ولكن كل هذه المراسم لا يساوي الحماسُ فيها حماسَ مجلس لقراءة الفاتحة علىٰ روح واحد من علمائنا. ولمّا كان ميلاد السيد المسيح قد مرّ عليه الآن ألفان من السنين فانّه يمكننا القول انّ مراسم العزاء هذه تمتدّ الىٰ ما يناهز الالفي عام، وهي مورد احترام الناس طيلة هذه الفترة، ولكنّها تقام بهذه الصورة الباهتة والعاديّة. ولو قارنتم هذه المراسم الىٰ مجالس العزاء الّتى تقام في مدينة قم أو طهران لوجدتم الفاصلة الكبيرة بين المحبّة التي يبديها المسلمون ـ ولا سيّما شيعة اهل البيت عليهم السلام ـ من اعماق انفسهم، والمحبّة والاحترام الذي يبديه اتباع اكبر الأديان في العالم وبتلك التنظيمات والمؤسسات الضخمة للسيد المسيح عليه السلام.

وعلىٰ كلّ حال فأنتم تعرفون وتلمسون ان كيفيّة المراسم الّتي تقام لسيد الشهداء عليه السلام لا يمكن مقارنتها الىٰ ايّة مراسم اخرىٰ.

---

١. سورة النساء، الآية ١٥٧.

ويُضاف الىٰ هذه الامور الوان التضحيات الّتي قام بها الشيعة في طول التاريخ، وقد قاموا بهذه التضحيات لتتيسّر لهم اقامة هذه المراسم وليفوزوا بزيارة قبر سيد الشهداءعليه السلام. ففي السابق لم تكن اقامة هذه المراسم وزيارة قبره الشريف بهذه السهولة، والآن ايضا ليست سهلة، ولكنّه مرّ زمان كان علىٰ من ينوي زيارة قبر سيد الشهداءعليه السلام ان يضع روحه علىٰ كفّه. وكان أزلام الدولة العباسية ولا سيّما في زمان المتوكّل العباسيّ يتشدّدون كثيراً حتّىٰ لا يجرؤ أحد من الاقتراب من الحرم الحسينيّ، وبالتالي هدموا قبر سيد الشهداء واجروا المياه عليه واعدّوا تلك الارض للزراعة حتّىٰ تذهب تماما آثار القبر الشريف. ولكنّ شيعة اهل البيتعليهم السلام كانوا مستعدّين لقطع الأيدي والأرجل وتقديم ارواحهم لمجرّد ان يُسمح لهم بزيارة قبر سيد الشهداءعليه السلام وتقديم التحيّة والسلام عليه من كثب. انّ هذه المواقف لا نظير لها قطعاً في تاريخ البشريّة كلّه. لو قلنا بانّ لواقعة كربلاء شبهاً بسائر الحوادث من جهات اخرىٰ، فانها من هذ.ه الجهة لا تشبهها أيّة حادثة اخرىٰ، ولا تُقارَن اليها ايّةُ واقعة في العالم.

ومن الواضح انّ هذا الأمر لم يحدث صدفة، وصحيح انّ الله تعالىٰ قد غرس في قلوب المؤمنين عشقاً لسيد الشهداءعليه السلام، ففي هذا المورد يوجد عامل غيبيّ، ولكنّ الافعال الالهيّة لا تتمّ عادةً من دون اسباب ظاهريّة، ويعتبر من باب الاستثناء ان يتمّ فعل أحيانا من دون اسباب ظاهريّة. اذن ليس من الصدفة ان يعشق الشيعة الحسينعليه السلام الىٰ هذا الحدّ. وحتىٰ السنّة بل وحتّىٰ عَبَدة الاصنام قد وجدوا بركات وآثار هذه المراسم. لعلّ الأهمّ من كل هذه ما ورد من توصيات مسبقة من نفس النبيّ الاكرمصلى الله عليه وآله والأئمة المعصومينعليهم السلام وتأكيد على زيارة الحسينعليه السلام واقامة العزاء والبكاء عليه واحياء المآتم. وهي تأكيدات عجيبة مثل انّ للسلام علىٰ سيد الشهداءعليه السلام ثواب حج وعمرة. انّ السلام الذي يتمّ بحضور القلب ومن اعماق النفس

يمكن ان يُكسب صاحبه ثواب الحج المستحب. هكذا ورد في ثواب وفضيلة زيارة سيّد الشهداء، والكتب الروائيّة مليئة بمثل هذه التأكيدات. التفتوا الىٰ نفس سلوك الأئمة الطاهرين عليهم السلام في احياء هذه المراسم، فمثلاً كانوا يهبون الصلات الوافرة لمن يرثي الحسين عليه السلام أو ينظم الشعر أو يتلوه في العزاء ويثنون عليه ويجلّونه، وكان الأئمة عليهم السلام انفسهم يقيمون مراسم العزاء في بيوتهم المطهّرة ويدعون الشعراء اليها ليقرأوا المراثي.

اذن التوصيات اللفظيّة للمعصومين عليهم السلام وسيرتهم العمليّة وذكر ألوان الثواب لمن يزوره عليه السلام أو يقيم العزاء له، وبالتالي العشق الّذي غرسه الله سبحانه في قلوب المؤمنين الطاهرة ـ كل هذه قد جعلت واقعة كربلاء بصورة واقعة منحصرة بفرد في التاريخ البشريّ.

ما هي آثار هذه الامور في حياة الناس؟

نحن نعتقد انّ منزلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أرفع من منزلة الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فلماذا لا نقيم مثل هذا العزاء في مناسبة وفاة النبي صلى الله عليه وآله؟ فمع كون منزلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ارفع من منزلة جميع الأئمة الطاهرين عليهم السلام لكنّه لم ترد مثل تلك التأكيدات علىٰ زيارته واقامة العزاء عليه. لدينا اثنا عشر اماماً معصوماً، واذا كان لابدّ من التفضيل في منازل الأئمة عليهم السلام فانّ منزلة اميرالمؤمنين عليه السلام ارفع منهم جميعا حسب ما ورد عنهم سلام الله عليهم. وصحيح انّنا نقيم مجالس ضخمة للعزاء في مناسبة استشهاد اميرالمؤمنين عليه السلام، ولكن هذه لا تُقاس الىٰ مجالس العزاء علىٰ سيد الشهداء عليه السلام. أيّة خصوصيّة تكمن في مصيبة الحسين عليه السلام بحيث تنال كلّ هذه الأهميّة ويرد فيها كل هذا التأكيد؟ دع عنك جانباً الروايات القائلة انّه منذ زمان آدم عليه السلام كان هناك ذكر وبكاء علىٰ مصيبة الحسين عليه السلام، فهناك روايات تؤكّد انّ جميع الأنبياء والأولياء وملائكة السماء قد بكوا علىٰ سيد الشهداء عليه السلام. وما هي ميزة الامام الحسين عليه السلام



بحيث جعلت النبي الأكرمﷺ يقول في حقّه: «حسين منّي وانا من حسين»[١] ان معنىٰ «حسين منّي» واضح، ولكنّ المهمّ جدّا هو معنىٰ «و انا من حسين». او العبارة المشهورة التي تكتب عادة علىٰ مداخل الحسينيّات وهي مقتبسة من هذه الرواية الشريفة:

«انّ الحسين بن علي في السماء اكبر منه في الارض فانّه لمكتوب عن يمين عرش الله مصباح هدى وسفينة نجاة»[٢].

فالحسينعليه‌السلام مصباح هدىً وسفينة نجاة، مع انّ جميع ائمتناعليهم‌السلام كانوا مصابيح هدىٰ وسفن نجاة، حيث نقرأ في الزيارة الجامعة: «انتم الصراط الاقوم... والباب المبتلىٰ به الناس من اتاكم نجىٰ ومن لم يأتكم هلك».

فجميع اهل البيتعليهم‌السلام كانوا هكذا. فأيّة ميزة ينفرد بها الحسينعليه‌السلام من بينهم؟

لا شكّ انّ شخصيّة سيد الشهداء والظروف التي اكتنفت حياته الشريفة بتقدير الله سبحانه قد اضفت ميزة علىٰ حياتهعليه‌السلام ولا سيّما علىٰ استشهاده بحيث تنشأ منها كل هذه البركات. ونحن نعتقد ان جميع الأئمة الطاهرينعليهم‌السلام هم من نور واحد، وايّ امام آخر لو كان في مكان الامام الحسينعليه‌السلام فانّه كان لابدّ ان ينفّذ نفس المنهج وينهض بنفس الدور.

واذا لوحظ اختلاف في سلوك الأئمةعليهم‌السلام فان ذلك عائد الىٰ الظروف الاجتماعيّة ومقتضيات زمان كلّ واحد منهم. فالامام الحسنعليه‌السلام قاتل أوّلاً ثمّ صالح. وما هو مشهور من انّ الامام الحسنعليه‌السلام كان رمزاً للسلام في مقارنته مع الامام الحسينعليه‌السلام لا يعني انّ هناك ذوقين وقراءتين للاسلام، قراءة تتّصف بالسلام وقراءة اخرىٰ تتميّز

---

١. بحارالانوار، ج ٤٣، ص ٢٦١، الباب ١٢، الرواية ١.

٢. نفس المصدر السابق، ج ٣٦، ص ٢٠٤، الباب ٤٠، الرواية ٨.

بالعنف، كلاّ، فنحن نعتقد انّ الامام الحسين عليه السلام لو حلّ محلّ الامام الحسن عليه السلام للزم ان يتصرّف كما تصرّف الامام الحسن عليه السلام، ولو عاش الامام الحسن عليه السلام ظروف الامام الحسين عليه السلام لوقف موقف الامام الحسين عليه السلام. وكذا الأمر في سائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام. فالاختلاف في الأساليب والسلوك بينهم انّما هو بسبب الظروف الاجتماعيّة الخاصّة التي كانت تقتضي هذه الواجبات. اذن فالظروف الخاصّة الّتي احاطت بأبي عبدالله الحسين عليه السلام قد وفّرت الأرضيّة ليقوم عليه السلام بدور في تاريخ البشريّة وهداية الناس لم يتيسّر نظيره لأيّ انسان آخر. فالظروف هي الّتي عيّنت مثل هذا السلوك، أو باللغة الدينيّة انّه التقدير الالهي وارادة الله سبحانه، لانّ الظروف الاجتماعيّة هي أيضاً بيد الله، وكلّ شيء لابدّ ان ينتهي الىٰ الارادة الالهيّة المطلقة. انّ هذين الأمرين هما وجهان لعملة واحدة، فسواء قلنا انّ الله تعالىٰ قد منح هذه الميزة للامام الحسين عليه السلام أو قلنا ان ظروف الحياة الّتي احاطت بالامام الحسين عليه السلام اقتضت هذه الميزة فانّ القولين بمعنىً واحد، لانّ الظروف أيضاً تابعة لارادة الله وهي تجري حسب التقدير الالهيّ.

وهنا ينبغي لنا ان نبحث كيف اكتسب سيد الشهداء عليه السلام هذه الميزة بحيث استطاع ان تكون له كلّ هذه البركات، وينجح الناس بواسطة اقامة العزاء علىٰ مصيبته في تأمين مصالحهم الدنيويّة والأهمّ منها مصالحهم الاخرويّة، لانّ الدنيا بالنسبة للمؤمن ليست اِلاّ مقدّمة للتكامل الاخرويّ، فالحياة الأصليّة هناك، وتمثّل الحياة الدنيويّة المرحلة الجنينيّة بالنسبة اليها، امّا الحياة الحقيقيّة فهي تبدأ بعد الموت، يقول تعالىٰ:

«وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوٰانُ»[١]

الحياة الواقعيّة هي الّتي تعقب هذا العالم.

---

١. سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

وعلىٰ كلّ حال فمصالحنا الدنيويّة ومصالحنا الاخرويّة انّما تتحقق ببركة التوسّل بسيد الشهداء والاهتمام باقامة العزاء عليه والبكاء علىٰ مصيبته واظهار المحبة له. وكلّ واحد منّا قد سمع بما لا حصر له من المعاجز والكرامات الحاصلة في مجالس العزاء بحيث انّ كل ما يمكنني أن أقوله في هذا المجال يكون مثل ناقل التمر الىٰ هجر، ولهذا سوف لن اتحدّث في هذا المضمار. حتّىٰ انّ التراب المأخوذ من الطين الّذي يمسح به اصحاب العزاء جبهاتهم قد ادّىٰ الىٰ شفاء عيون آية الله العظمىٰ السيد البروجردي. فقد اصيب بآلام في العيون استعصت علىٰ العلاج، وحلّت ايام ذكرىٰ عاشوراء وهو في مدينة بروجرد، فجاءت الىٰ بيته هيئة عزاء اللطم علىٰ الصدور، وكان اصحاب العزاء قد لطخوا رؤوسهم ووجوههم بشيء من الطين اظهاراً للحداد، فقام بأخذ شيء من ذلك التراب ومسح به عيونه فكان العلاج الناجع له ولم ير بعد ذلك آلام العيون الىٰ آخر عمره، وكان يقرأ حتّىٰ الخطوط الدقيقة من دون استخدام للنظّارات، كلّ هذا من بركات الطين الذي يمسح به جبهات اصحاب العزاء علىٰ سيد الشهداء. وهناك الىٰ ما شاء الله من هذه الكرامات والمعجزات.
ونحن بهذه القطرات من الدموع التي نسكبها في مراسم العزاء نشعر اولاً بنورانيّة خاصّة في أرواحنا، ثمّ بعد ذلك تُقضىٰ حاجات لنا وتُدفع عنا الوان من البلاء والمصائب ونحن لا ندري. وهناك ملاحظة أودّ ان اذكرها بين قوسين وقد اشير اليها في الأدعية وهي انّنا نعدّ ـ غالباً ـ الحاجات التي طلبناها من الله تعالىٰ واستجيب دعاؤنا وحصلنا عليها، ولكنّنا لا نعلم كم هي المصائب التي كانت متجهة الينا وقد دفعها الله عنّا ونحن غير منتبهين، اذن ببركة سيّد الشهداء تنزل علىٰ الناس بركات عديدة، وتُدفع عنهم بلايا ومصائب تفوق تلك البركات بعشرات المرّات ونحن لا نعلم ولا نذكرها في الحساب. اذا كان الأمر كذلك أليس من حقّ الناس ان يهتمّوا كلّ هذا الاهتمام بالبكاء والعزاء؟

قداسة نهضة عاشوراء وامتناع تحريفها:

الىٰ هنا تحدّثنا عن أهميّة وضخامة هذه الحادثة وما لها من آثار عظيمة في المجتمع خلال ثلاثة عشر قرنا. وهناك موضوع آخر طالما سمعتموه من العلماء والواعظين وهو أنّنا اذا درسنا حياة وشخصيّة أيّ واحد من أنبياء الله وأوليائه فسنجد ألواناً من الابهام والغموض ـ حتّىٰ في زمانهم ـ يكتنف شخصيّاتهم وسلوكهم واقوالهم، وامّا بعد وفاتهم فقد تضاعف الغموض واشتدّ الابهام. والنبيّ الاكرمﷺ ذاته قد اتُّهم ـمثل سائر الانبياءـ بأبشع التهم، فقيل انّه مجنون قد فقد عقله فلا تستمعوا اليه! وقالوا انّه ساحر، كانوا يوصون الشباب انكم اذا رأيتم النبي يتحدث فاجعلوا اصابعكم في آذانكم أو الجأوا الىٰ حشو آذانكم بالقطن حتّىٰ لا تسمعوا كلامه لانّه ساحر يسحركم بأقواله.

كلّ هذه التهم قد ألصقوها بالنبي الأكرمﷺ، وهو نفسهﷺ قد تنبّأ بأنّ اكاذيبَ كثيرة سوف تنسب اليّ بعد وفاتي، ليس من قبل الأعداء الكفّار، وانّما من بين اتباعه الذين قالوا انّا آمنّا بك. وهكذا حدث، فقد روي عنهﷺ:

«قد كثرت عليّ الكذّابة وستكثر»[1]

ثمّ انهﷺ قد عيّن معياراً لكي نميّز بواسطته بين الحديث الصحيح والحديث الموضوع، وذلك بان نعرض الحديث علىٰ القرآن الكريم فان خالف القرآن فاعلموا اني لم أقله. وبالاضافة الىٰ ذلك فقد قام الأئمه الطاهرونعليهم السلام ـ باعتبارهم الخبراء في العلوم الالهيّة ـ بالتنبيه على الأحاديث الكاذبة وتحذير الناس منها. مثلاً في زمان الامام الرضاعليه السلام صُحّحت الروايات المنقولة، ثمّ علىٰ اساس ذلك اُلّف كتاب «عيون اخبار الرضاعليه السلام». وقد حدثت مثل هذه الظروف في زمان الامام الصادقعليه السلام

---

١. بحارالانوار، ج ٢، ص ٢٢٥، الباب ٢٩، الرواية ٢.



فقد قام ابوالخطّاب وآخرون بجعل اكاذيب فتصدّىٰ لها الامامعليه السلام وغربلها وبيّن الأحاديث الصحيحة.

وعلىٰ كلّ حال فالآن اذا أردنا ان نعرف الأحاديث التي صدرت قطعاً من النبي الأكرمصلى الله عليه وآله ويُسلّم بها جميع المسلمين علىٰ اساس أنّها كلام النبيصلى الله عليه وآله فانّ عدد هذه الأحاديث ليس كثيراً. وقد حاول البعض ان يعدّها ولكنّ عددها علىٰ أيّة حال ليس كثيراً. أمّا الروايات المجعولة فهي الىٰ ما شاء الله. وقد اُلّفت كتب كثيرة من قبل الشيعة والسنّة حول الروايات المنسوبة كذباً للنبي الأكرمصلى الله عليه وآله.

والموضوع الذي كان واضحاً كالشمس في زمان النبيصلى الله عليه وآله ـ و ان كان البعض يحمل هذا علىٰ التعصّب ـ هو هذه الحقيقة وهي انّ النبي الأكرمصلى الله عليه وآله قد بيّن للناس خليفته منذ الأيّام الأُولىٰ التي جهر فيها بدعوته، فقد نزل الوحي بهذه الآية الشريفة:

«أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»(١)

فذبحصلى الله عليه وآله ذبيحة ودعا عمومته وأبناءهم واقرباءه وقال لهم انّ اول من يؤمن بي سيكون خليفتي. ولم يؤمن به أحدٌ منهم سوىٰ شاب لا يزيد عمره آنذاك علىٰ عشر سنين أو ثلاث عشرة سنة علىٰ اكثر التقادير، وهو اميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام. وبعض الشخصيّات من قريش ممّن كان حاضراً التفت الىٰ ابي طالب ضاحكاً وقال ما معناه: انه لن يمرّ وقت طويل حتىٰ تصبح تابعاً لولدك. أي انّه يسخر من هذا الوضع حيث انّ علياًعليه السلام قد اصبح خليفة للرسولصلى الله عليه وآله، فسيصبح رئيساً وتصبح انت يا اباطالب تابعاً له.

وقد أكّد النبيصلى الله عليه وآله طيلة حياته الشريفة علىٰ هذا الموضوع كثيراً وبصور متنوّعة، فقد قال لعليّعليه السلام مثلاً:

«انت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ انّه لا نبيّ بعدي»(٢)

---

١. سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

٢. بحار الانوار، ج ٥، الباب ٢، الرواية ١.

وهناك روايات كثيرة في هذا المجال ينقلها الشيعة والسنّة. حتّىٰ انتهىٰ الأمر في حادثة الغدير وذلك قبل وفاته ﷺ بسبعين يوماً، والجميع يعرف ما جرىٰ في غدير خم حيث جمع النبيّ المسلمين تحت حرارة الشمس المحرقة ووقف ﷺ رافعاً يد علي عليه السلام قائلاً:

«من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»[١]

لم يكتف الرسول ﷺ بالتأكيدات المتعدّدة المتنوّعة علىٰ هذا الموضوع خلال عشرين عاما حتّىٰ بيّن خلافة علي عليه السلام في الأيّام الأخيرة من حياته الشريفة ﷺ بهذه الصورة التاريخيّة. وقد أظهر الناس العجب لماذا يجمعنا الرسول الأكرم ﷺ هنا وفي هذا الظهيرة المحرقة.

ولم يمرّ سوىٰ سبعين يوماً علىٰ واقعة غدير خم حتىٰ ارتحل النبى ﷺ الىٰ الرفيق الاعلىٰ، فاجتمع المسلمون، هم انفسهم اصحاب بدر وحنين، ليعيّنوا خليفة للنبي ﷺ، فاقترح بعضهم ان يكون خليفته ﷺ من بين المهاجرين، وقال البعض الآخر انّه لابدّ ان يكون من الأنصار، وحاول البعض ان يكون منصفاً فقال بتعيين اميرين: «منّا امير ومنكم امير»[٢] والشيء الّذي لم يُطرح ولم يوله احدٌ ايَّ اهتمام هو انّه قبل سبعين يوماً فقط ماذا قال النبي ﷺ نفسه؟ ولماذا جمعنا في غدير خم في ذلك الحرّ الشديد؟ ولماذا اكّد النبي ﷺ مراراً خلال عشرين عاماً علىٰ خلافة علي عليه السلام؟ لقد قاموا بتحريف اقوال النبي ﷺ وسيرته، حتىٰ انّ بعض أزواجه قد وجّهت اليه ﷺ التهم. اقرأوا سورة التحريم ولاحظوا القرآن الكريم كيف يتحدّث عن بعض ازواج النبي ﷺ وبأيّة نغمة؟

لقد اشرنا فيما سبق الىٰ اميرالمؤمنين عليه السلام، وانتم مطّلعون علىٰ انّ علياً عليه السلام يُعرف

---

١. بحارالانوار، ج ٢٨، ص ١٨١، الباب ٤، الرواية ١.
٢. نفس المصدر السابق.

بشيئين في كلّ العالم. أينما ذُكر عليّ عليه السلام فانّه تتبادر الىٰ الذهن عدالته وعبادته. فعليٌّ عليه السلام من أعبد الناس وأعدلهم. فهو عليه السلام يصلّي النافلة في الوقت الذي يكون فيه مشغولاً بحرث المزرعة واعمارها. كان يصلّي في اليوم والليلة خمسمائة أو ألف ركعة. وكان الجميع يعرف هذا عنه. ولكنّه عندما وصل نبأ استشهاد الامام علي عليه السلام في مسجد الكوفة قال الناس في الشام: هل كان علي عليه السلام يصلي؟ وهكذا الأمر بالنسبة لسائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام والشخصيّات الدينيّة الكبيرة، كلّ واحد منهم قد اتُّهم بشكل من الأشكال. وأقوىٰ حجّة علىٰ جميع الناس هو القرآن الكريم. فمذ خلق الله تعالىٰ آدم عليه السلام وحتّىٰ نهاية الحياة الانسانيّة علىٰ وجه الكرة الارضيّة لا توجد حجّة أوضح وأبلغ وأكثر هداية من القرآن الكريم. لكنّ القرآن نفسه قد تعرّض للتفسير الخاطئ، والآن يتعرّض لمثل هذا التفسير ايضاً. انّ جميع الطوائف الاسلامية ومع كلّ ما لديهم من اختلافات في مذاهبهم فانّهم يتمسكون بآيات القرآن بنحو من الأنحاء. فبالنسبة الىٰ موضوع معين يتمسّك بآيات القرآن من يثبته ويتمسّك بها ايضا من ينفيه. فالقائلون بالجبر والقائلون بالتفويض كلتا الفئتين تتمسّك بآيات القرآن. أي انّ القرآن يصبح مبهما. امّا لماذا صبغ القرآن الكريم بشكل بحيث يمكن تفسيره بأشكال مختلفة؟ هذا موضوع مستقل ويحتاج الىٰ بحث مفصّل. لكنّنا نقطع بوجود عامل التعمّد في هذه الاحداث. اي انّ هناك أشخاصاً يتعمّدون في تفسير القرآن حسب آرائهم ورغباتهم. ولا يمكن اعتبار كلّ هذه الأعمال ناشئة من الجهل والاشتباه والخطأ.

لقد حدثت ألوان من التحريف المعنوي ومسخ الشخصيّات وإلصاق التّهم والافتراءات بكلّ حجّة الهيّة. وأوضح الحجج هو القرآن الكريم وتوجد فيه هذه الابهامات. وأرفع الانبياء وهداة الناس هو نبي الاسلام الأكرم صلى الله عليه وآله ومن بعده أميرالمؤمنين عليه السلام، وألوان الابهام تحيط بهاتين الشخصيّتين العظيمتين، بعد مرور

خمسة وعشرين عاماً علىٰ وفاة النبيﷺ بادر الىٰ البيعة مع اميرالمؤمنينؑ نفس اولئك الأصحاب المقرّبين وبعض اقارب اميرالمؤمنينؑ، مثل الزبير الذي هو ابن عمة النبيﷺ وعليؑ. لقد كان هؤلاء من اوائل الناس الذين بايعوا علياًؑ، وبعد عدّة ايام قالوا انّ عليا هو قاتل عثمان، وشنّوا الحرب علىٰ عليؑ بذريعة المطالبة بدم عثمان. وشبّهوا الأمر علىٰ الناس وأوهموهم بكون عثمان قد قُتل بيد عليؑ، فلابدّ من مقاتلته. انّ نفس هؤلاء الذين بايعوا علياًؑ قد شنّوا حرب الجمل ثم شنّوا سائر الحروب عليه.

ونحن اليوم عندما نتحدّث مع الاخوة السنّة حول الاسلام أو حول شخصيّة الرسول الأكرمﷺ وسيرته وأقواله فانّ هناك موارد من الابهام. ولنضرب مثلاً بسيطا حتّىٰ تعرفوا مدىٰ الابهام الموجود. لقد كان النبيّ الأكرمﷺ طيلة ثلاث وعشرين سنة من رسالته الالهيّة محشوراً مع الناس، فقد كان من أكثر الأنبياء شعبية ومن اقرب القادة الى نفوس اتباعه، كان يجلس مع أصحابه بحيث اذا دخل غريب الىٰ المسجد فانّه لا يعرف ايّ الجالسين هو النبىﷺ. هكذا كان بسيطاً في معيشته وسلوكه. وكلّ أعماله وتصرّفاته كانت تتمّ امام أعين الناس. فهل من المعقول انّ الناس لم يشاهدوا النبيﷺ كيف يتوضّأ خلال ثلاثة وعشرين عاماً من معاشرتهم له؟ هل من الممكن ان يبقىٰ هذا الموضوع مخفيّاً عنهم؟ علىٰ أقلّ تقدير هناك عشر سنوات شاهد فيها اهل مكّة والمدينة كيف يتوضأ النبىﷺ، وفي كثير من الأحيان كانوا يأخذون من ماء وضوء النبيﷺ للتبرّك به. ولكنّه بعد مرور فترة من الزمن طرحت هذه المسألة وهي: كيف نصبّ الماء عند الوضوء؟ ألم يشاهد الناس النبيّﷺ وهو يتوضّأ؟ انّ هذا الموضوع لم يكن سرّياً، وهل هناك ما هو ابسط من هذا الأمر؟

هناك أشخاص كانوا يحبون الاقتداء بسيرة النبيﷺ والتأسّي به، ولكنّه كانت



هناك عوامل تبذل قصارىٰ جهدها لايجاد الابهام، وعلىٰ رأس هذه العوامل كان الشيطان، وشياطين الانس يعينون في هذا المجال.

ومن بين جميع هذه الحوادث ومن بين جميع الأقوال وألوان السلوك التي صدرت من الأنبياء والأولياء كان الشيء الذي استعصىٰ علىٰ التحريف والمسخ ولم يتيسّر تفسيره بشكل خاطئ هو انّ الامام الحسينعليه السلام قد استشهد من أجل ترويج الدين، وقد استشهد معه في هذا السبيل جميع أصحابه، وحتّىٰ طفله الرضيع قد ذبح بين يديه. انّ هذا التاريخ اليقينيّ لم يستطع أحد أن يحرّفه. نعم هناك اختلافات في بعض الجزئيّات، مثل عدد الذين جاءوا لقتال الحسينعليه السلام من الكوفة هل كان عددهم ثلاثين الفاً أم مائة وعشرين الفاً؟ أقلّ من ذلك أم أكثر؟ من الطبيعيّ انّ القيام باحصائيّة دقيقة ليس امراً سهلا. وفي سائر القضايا ايضا توجد مثل هذه الاختلافات. امّا أصل هذه الواقعة وانّ الامام الحسينعليه السلام نهض من أجل احياء دينه واستمرّ حتىٰ استشهد عطشاناً وحتىٰ تمّ أسر عائلته وأطفاله، فهذا أمر غير قابل للتحريف. فلا يمكن القول انّ هذا الأمر لم يتحقّق، ولا يمكن القول انّه قد تمّ من اجل الظفر بالدنيا. أما كان هناك سبيل أسهل وأفضل من هذا للحصول علىٰ الزعامة والمنزلة الدنيويّة؟ من يبحث عن الزعامة عندما يلاحظ انّ حياته في خطر فانّه يجد سبيلا للصلح والسلام. وقد اقترحوا عليه ذلك ليلة عاشوراء، وقالوا له يوم عاشوراء: تعال وبايع يزيد بن معاوية لتبقىٰ سالماً، فرفض هذا قائلا «هيهات مني الذلّة»[١] وجرت قصة الحرّ الرياحي وسائر الحوادث.

ويُضاف الىٰ ذلك ما نعتقد به وهو ثابت بأسناد صحيحة ومتظافرة وتؤيّده قرائن كثيرة وهو انّ الامام الحسينعليه السلام كان يعلم من قبلُ انّه سوف يُقتل. وحتّىٰ لو زعم

---

١. بحارالانوار، ج ٤٥، ص ٨٣، الباب ٣٧، الرواية ١٠.

أحد بانّه لم يكن لديه علم الامامة والالهام الالهيّ فانّه كان يعلم باستشهاده بناءً علىٰ الأحاديث الواردة عن النبي الأكرمﷺ. وقولهعليه السلام «كأنّي بأوصالي يتقطّعها عسلانُ الفلوات بين النواويس وكربلا»[1] وكذا الرؤيا اثناء النوم مثل ما جرىٰ لعليّ الأكبرعليه السلام.

اذا أضفنا هذه الامور الىٰ بعضها تبيّن لنا انّ الامام الحسينعليه السلام كان يعلم بانّ الشهادة هي آخر المطاف في هذه الواقعة، ومع ذلك استصحب معه نساءه وأطفاله، فهل تمّ هذا من أجل الحصول علىٰ الأموال؟ أم من اجل الظفر بالزعامة؟ أم من اجل نيل الشهوات الدنيويّة؟ أيّة شهوة للانسان يمكن اشباعها في صحراء كربلاء؟ لا يمكن اطلاقاً تفسير هذه الحادثة بانّها نهضة من أجل الدنيا وطلب الزعامة والقدرة والقوة. انّه قدّم نفسه للقتل لا لشيء الاّ لإحياء دين جدّهﷺ.

نعم قد يتصوّر البعض ان الحسينعليه السلام قد اخطأ، فبعض المتعصّبين والنواصب المنتسبين الىٰ الاسلام يقولون: لم يكن من حقّ الحسينعليه السلام ان يقوم بهذا العمل، ولكنّهم يعترفون بانّهعليه السلام قد قام به من اجل احياء الدين.

انّ هذه الحادثة بجميع خصائصها ـ اي خصائص كونها مؤثّرة في اعطاء خطّ لمسيرة الانسان وتعليمه درساً في الفداء والتضحية ـ ليست قابلة للخطأ، وهي في كونها قد أتمّت الحجّة علىٰ المسلمين ـ حتّى يعلموا انّه اذا حدثت ظروف مشابهة لظروف زمان الامام الحسينعليه السلام فلابدّ من القيام بنهضة تشبه تلك النهضة ـ ليست قابلة للتفسير الخاطئ. ولمّا لم يكن من الممكن تفسيرها بشكل خاطئ، ولا يرد فيها أيّ توهّم بانّها كانت من اجل الدنيا والحرص علىٰ الزعامة، فلهذا بمجرّد ان يتأمّل الانسان فيها فانّ نور الهداية يشعّ في قلبه ويستيقظ ضميره وتنبعث عواطفه

---

١. بحارالانوار، ج ٤٤، ص ٣٦٦، الباب ٣٧، الرواية ٢.

الدينيّة وينمو في نفسه الاحساس بالمسؤوليّة. فالدّين الذي يستحقّ ان يستشهد من اجله الامام الحسين عليه السلام مع جميع اصحابه واهل بيته وحتّىٰ طفله الرضيع هل من الممكن ان لا نشعر ـ أنا وأنت ـ بالمسؤوليّة ازاءه؟ من أجل هذا كان الحسين عليه السلام «مصباح هدىً وسفينة نجاة» فهو مصباح يضيء للانسانيّة الىٰ يوم القيامة، وايّ انسان ومن ايّ مكان ينظر اليه فانّه يكتشف الطريق الصحيح ولا يستطيع احد ان يوجد فيه نقطة مبهمة.

انّ هذا وجه من وجوه القضيّة، حيث لاحظنا المسلمين منذ البداية ـ وعلىٰ أقلّ تقدير منذ الأيّام الاولىٰ لشهادة الامام الحسين عليه السلام عندما بدأت حركة التوّابين ـ يولون اهمّية كبيرة لاحياء ذكرىٰ هذه النهضة المباركة في البكاء والتضحية وكل ما يدلّ علىٰ العشق لاسم الحسين عليه السلام.

يحتفظون بكميّات ضئيلة من تراب كربلاء بكل احترام وقدسيّة، حتّىٰ اذا ابتلي احدهم بمرض يستعصي علىٰ العلاج ـ والعياذ بالله ـ قدّموا له بمقدار حبّة العدس من تلك التربة المقدّسة ليأكلها وينال الشفاء ببركتها. هذا وجه، والوجه الآخر للقضيّة ممّا ينبغي الالتفات اليه هو: كم حاولوا ان يندرس اسم الحسين عليه السلام؟ ما هو السبب في عداوتهم للامام الحسين عليه السلام؟ ماذا كان يفعل اسم الامام الحسين عليه السلام بحياتهم بحيث كانوا مستعدّين ان يقتلوا الناس حتّىٰ يمتنعوا عن زيارة الامام الحسين عليه السلام؟ لقد اجروا نهراً من الماء علىٰ قبر الامام الحسين عليه السلام حتّىٰ تنمحي آثاره. عمروا الارض فوق القبر الشريف وبذروها لتخفي الزراعة حقيقة هذا المكان. لماذا كلّ هذه المحاولات؟ وأيّ نفع عاد عليهم من هذه العداوات؟

لا نحتاج الىٰ الذهاب بعيداً فهناك من يعيش بيننا من الشيوخ والعجائز وهم يتذكّرون جيّداً منع اقامة العزاء من قبل سلطة رضاشاه. لقد منعوا الوعّاظ من ارتداء ملابس علماء الدين ومنعوا قراءة الرثاء بصوت مسموع وحظروا اقامة المجالس علىٰ

الامام الحسين‌عليه‌السلام. كان عمري آنذاك يناهز الخامسة وأتذكّر أنّ الناس كانوا يعقدون مجالس العزاء ليلاً ويأتي قارئ العزاء مرتدياً البنطلون ثمّ عندما يدخل الىٰ البيت فانه يغيّر ملابسه ويرتدي العمامة، ويُعقد المجلس عادةً في سرداب البيت ولايرفع القارئ صوته حتّىٰ لا يسمعه افراد قوّات الأمن الذين يجوبون الشوارع. ما هي المشكلة التي يوجدها ذكر اسم سيد الشهداء لحكومة بهلوي؟ لماذاً كلّ هذه العداوة؟

ولماذا اليوم يعادون سيّد الشهداء‌عليه‌السلام بصورة «متحضّرة»؟

انّهم يعتبرون انفسهم مستنيرين في الفكر الدينيّ، والصحيح ان نقول انّهم اصحاب الفكر المظلم الذين لا دين لهم!

لماذا يصرّ هؤلاءِ علىٰ انّ استشهاد الامام الحسين‌عليه‌السلام كان قضيّة عاديّة أو أنّها كانت ردّ فعل للعنف الذي استعمله النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله؟ يزعمون انّ النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله قد استعمل العنف مع بني اميّة في غزوة بدر. وهنا في كربلاء جاء بنو اميّة ليثأروا فأشعلوا نار الحرب وقتلوا ابن النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله وأصحابه. فهذه اذنْ هي نتيجة ذلك العنف![1] ومعروف انه في الحرب لا توزّع الحلويات.

في غزوة بدر قتل افراد من المسلمين وافراد من الكفّار، ولكنّ القتلىٰ من الكفّار أكثر وقد نصر الله المسلمين في تلك الغزوة.

امّا «المتحضّرون» السائرون في ركاب الغرب فهم يقولون انّ النّبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله قد أستحدم العنف مع بني امية في غزوة بدر، فجاء ابناء بني اميّة وفعلوا نفس الفعل مع ابناء النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله. فهذا امر طبيعي وردّ فعل عاديّ. كان علىٰ النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله ان لا يقتل اولئك الآباء حتّىٰ لا يقتل اولادُهم اولادَه!

---

١. ليرجع من احب الىٰ المقال الذي كتبه اكبر گنجي بعنوان «خون به خون شستن آمد محال» ونشره في صحيفة «صبح امروز» بتاريخ ١٣٧٨/٢/٢٣ ـ ص ٦، وهو باللغة الفارسية.

ويقول هؤلاء «المستنيرون» انّ من اراد ان يتّعظ بعاشوراء فليأخذ هذا الدرس من هذه المناسبة، وهو: لا تستعمل العنف مع ايّ أحد حتّىٰ لا يُستخدم العنف مع أولادك!

هكذا يطلبون من الناس ان يأخذوا الدرس من عاشوراء. ومن وجهة نظر هؤلاء لابدّ من تعطيل واجب الجهاد والدفاع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتىٰ لا يتعرّض أحد لآخر بشيء.

اي انّ الله تعالىٰ عندما أمر:

«قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ»[1] فأمره سبحانه في غير محلّه والعياذ بالله.

انّ هذه آية قرآنيّة وليست من اقوال شخص مثلي حتىٰ يتّهم بالعنف أو انه منظّر لحركة العنف.

لكنّ هؤلاء المستنيرين يقولون حتّىٰ لو كان القرآن هو القائل فهو مخطئ. لا ينبغي استعمال العنف.

اذن فالله قد اخطأ، والنبيﷺ قد اخطأ حينما ساهم في غزوة بدر، ونتيجة خطأ النبي هذا انّه قد قتلوا ولده! وبهذا تتمّ تبرئة يزيد واتباعه. ما كان لهم من ذنب، وكلّ ما فعلوه انّهم قاموا بردّ فعل طبيعيّ ليس أكثر. عندما يُقتل والد فانّ ابن المقتول يقوم بقتل ابن القاتل.

ثمّ يأتون ليطلقوا علىٰ هذا اسم الاسلام المتحضّر أو انّها قراءة جديدة للاسلام! وتُطبع هذه الامور في صحف الجمهوريّة الاسلاميّة الواسعة الانتشار، وتُسمّم بها افكار الشباب حتّىٰ تصبح نظرة ابنائنا للحسينعليه السلام بهذه الصورة.

لماذا يعادي هؤلاء الامام الحسينعليه السلام؟

الجواب واضح جداً لانّ الحسينعليه السلام مصباح هداية ولا يترك الجوّ مظلماً حتىٰ

---

١. سورة التوبة، الآية ١٤.

يتورّط الناس في الضلال. انّهعليه السلام يضيء الطريق ويبيّن للناس واجبهم، ماذا عليهم ان يعملوا؟ وكيف يدافعون عن دينهم؟ ولا يترك الناس ليفقدوا غيرتهم بذريعة التساهل والتسامح.

انّها صرخة الحسينعليه السلام: «هيهات منّا الذلة». ماذا يستطيعون ان يعملوا مع هذه المدرسة؟ هل يستخدمون اسلوب الترغيب والتطميع ليعرضوا عليه الاموال؟ وهل قَبِل الحسينعليه السلام عرض الاموال عليه؟ وهل وافق علىٰ عرض الرئاسة عليه؟ وحتّىٰ اذا هدّدوه بالقتل فانّه علىٰ أتمّ الاستعداد للشهادة هو وأطفاله، وقد فعلها صلوات الله عليه.

واذا أصبح الانسان من أتباع الحسينعليه السلام فانه لا يتأثّر من الوان التطميع ولا يخاف من انواع التهديد.

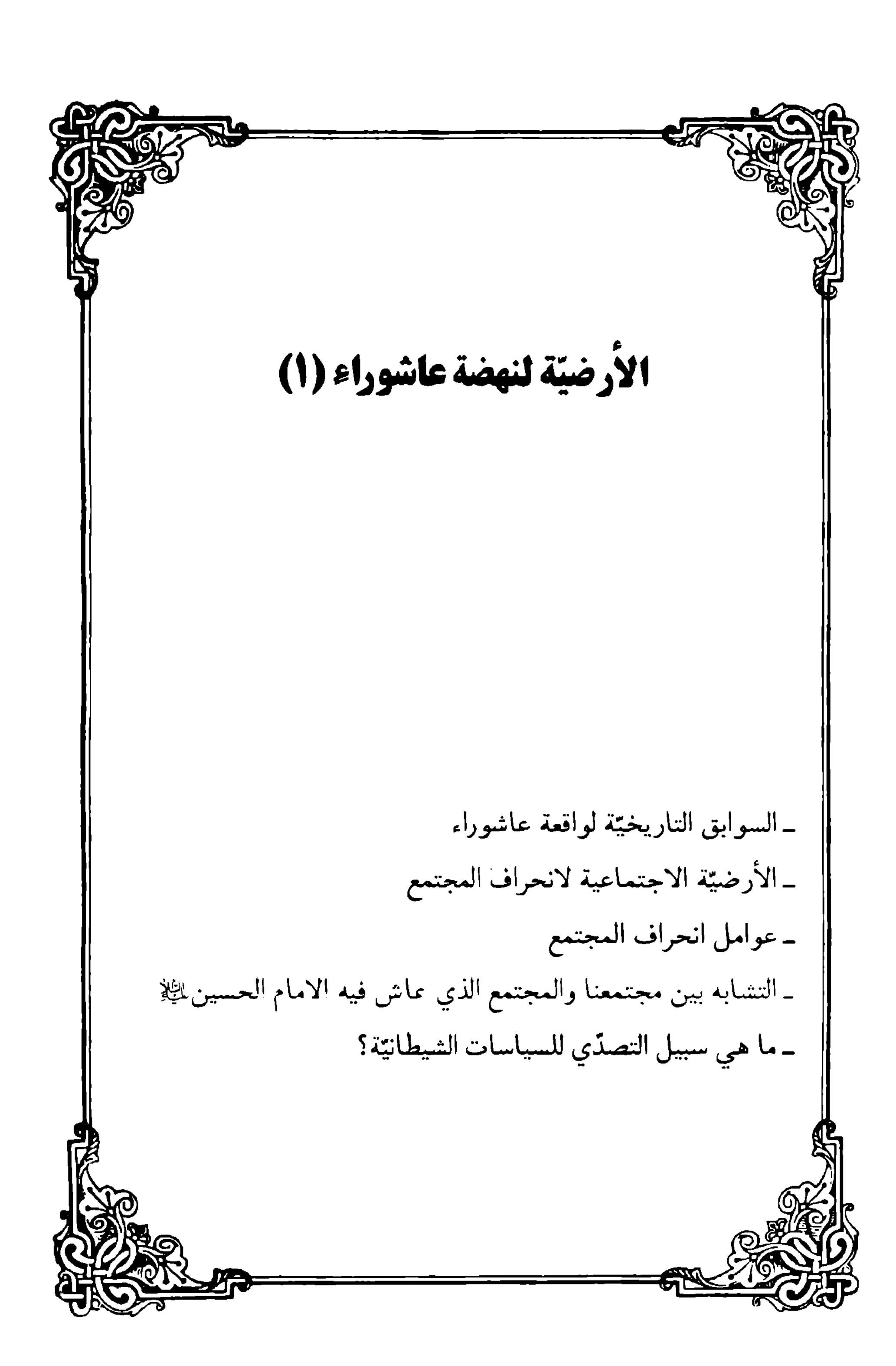
ومن عاش أحداث نهضة الامام الخمينيرحمه الله قبل انتصار الثورة يتذكّر كيف كان الشباب يفتحون صدورهم أمام ازلام نظام بهلوي يقولون لهم: اطلقوا النار علينا فنحن لا نخاف من الموت. وقد كان هذا رمزاً للنصر. من لا يخاف الموت فهو منتصر.

كان اصحاب الحسينعليه السلام يعشقون الموت ليلة عاشوراء، وقد استعمل الشيوخ منهم الخضاب. فهل يمكن الحاق الهزيمة بهذه المدرسة؟ كلاّ، إلاّ اذا نجح المغرضون في تحريفها وتضليل الناس عن حقيقتها.

اذن لماذا يعشق الحسينَعليه السلام المسلمون الحقيقيّون الذين ارتضعوا العزّة والكرامة مع لبن أُمهاتهم؟

ولماذا يعادي الجبناء والعملاء اسم الامام الحسينعليه السلام؟

الجواب واضح كالشمس في رابعة النهار: لانّ الحسينعليه السلام مصباح هداية ولا يترك الناس يتيهون في طريق الضلال.



الأرضيّة لنهضة عاشوراء (١)

ـ السوابق التاريخيّة لواقعة عاشوراء

ـ الأرضيّة الاجتماعية لانحراف المجتمع

ـ عوامل انحراف المجتمع

ـ التشابه بين مجتمعنا والمجتمع الذي عاش فيه الامام الحسين عليه السلام

ـ ما هي سبيل التصدّي للسياسات الشيطانيّة؟

المقدمة:

طرحنا فيما سبق عدة أسئلة، وهدفنا هو تقديم أجوبة علىٰ مثل هذه الأسئلة التي تطرح بشكل طبيعي علىٰ الشباب، ونسعىٰ جهد امكاننا ان تكون الأجوبة واضحة ومقنعة حتّىٰ نؤدّي جانباً من مسؤولياتنا ازاء ثقافة عاشوراء. والاجوبة حاضرة عند الكثير بصورة اجماليّة لكنها قد تكون غائبة عن بعض الشباب بصورتها التفصيليّة في مقام البحث والمناقشة.

مثلاً طرح سؤال يقول: لماذا لابدّ من اقامة العزاء على سيد الشهداء؟ ثمّ طرح هذا السؤال: لماذا يركّز المؤمنون اهتمامهم على احياء ذكرىٰ سيّد الشهداء من بين الأئمة الاطهارعليهم السلام فيقام العزاء غالباً على الامام الحسينعليه السلام؟ ولماذا تذكر الروايات خصائص معيّنة لسيّد الشهداءعليه السلام؟ ولماذا تحتلّ هذه الاهتمامات ومجالس العزاء مكاناً رفيعاً في الثقافة الشيعيّة؟

قدّمنا فيما مضى بعض الأجوبة في هذه المجالات.

واذا تعمّقنا في السؤال أكثر وجدنا أنفسنا أمام سؤال يقول: لماذا لابدّ ان تحدث ظروف علىٰ الرغم من انّه لم ينقَضِ زمان طويل على وفاة النبي الأكرمصلى الله عليه وآله بحيث يستشهد حفيده المفضّل عنده بتلك الصورة الفاجعة بحيث اذا لم نقل انها لا نظير لها فانّه يمكن القول انّها قليلة النظير. ولعلّ الباحث يستطيع ان يجد بعض ما يشبه أحداث كربلاء في التاريخ، ولكنّه لا يوجد نظير في التاريخ لكلّ هذه المجموعة من

الأحداث والمصائب التي تعاقبت في كربلاء في أيّام قليلة متتالية. ومن الواضح انّنا لا نحيط علماً بتاريخ كلّ بقاع الارض، لكنّه في حدود ما سمعناه وما نُقل الينا فانّه لا توجد حادثة أُخرىٰ تتميّز بكلّ هذه الخصوصيّات.

وعلى كلّ حال فقد كانت القضية فاجعة كبيرة، حتّى اذا فرضنا انّ كثيراً ممّا تنقله كتب المقاتل وما يقرأه اصحاب العزاء ليس له سند معتبر فان المطّلعين على التاريخ وكتب المقاتل يعلمون انّ كثيراً من تلك الأحداث قد وقعت. فهناك مجموعة من القضايا اليقينيّة الّتي لاشكّ ولا ترديد في وقوعها. وحتّى اذا اقتصرنا على هذه الموارد اليقينيّة فانّها تثبت ان تصرّفات اعداء الامام الحسينعليه‌السلام كانت قاسية جدّاً لا رحمة فيها وهي بعيدة جدّاً عن الانصاف والانسانيّة وحتّى عن الأخلاق العربيّة، فقد تميّز العرب من بين الامم بصفات يفتخرون بها ويعتبرونها من الصفات الرفيعة وهي كذلك، ومن جملتها كرم الضيافة فهي من صفات العرب القديمة ولا تزال لحدّ الآن، وهي صفة ممتازة يتحلّون بها، فاذا حلّ ضيف على عربي ولم يأكل ولم يشرب شيئاً ممّا يقدّمه له صاحب البيت فانّ هذا التصرّف يعتبر بمنزلة اعلان الحرب عليه.

هكذا ينظر العرب الى أهميّة اكرام الضيف. ومع هذه التقاليد فقد وجّهوا دعوة من خلال كتابتهم لإثنتي عشرة الف رسالة للامام الحسينعليه‌السلام ومن معه ثمّ امتنعوا حتّىٰ عن اعطاء طفل الامام الحسينعليه‌السلام الرضيع الّذي لم يتجاوز عمره ستة اشهر جرعة من الماء بل ذبحوه وهو عطشان.

هل يمكننا ان نجد نظيراً لهذه القسوة في تاريخ العالم؟!

لماذا حدثت هذه المصائب؟ وكيف أمكن وقوع هذه الحادثة العظيمة بتلك الأحداث التي يصعب تصوّرها وهضمها بحيث لا يصدّق الانسان بسهولة أنّها قد وقعت؟

انّ هذا السؤال قد يطرح من ايّ شخص ولاسيّما من الشباب الّذين لا يتمتّعون



بخبرة طويلة في الحياة، فهم يتساءلون باستغراب: لماذا حدث هذا؟ هل انّ مجموعة كافرة جاءت من خارج الحدود الاسلاميّة لتقترف هذه الجريمة البشعة؟

هل انّ الذين تعاملوا بهذه المعاملة القاسية مع ابناء رسول الله ﷺ كانوا من الكفّار والمشركين ام من اليهود والنصارىٰ؟

انّ التاريخ يرفض هذا ويؤكّد انّهم لم يكونوا من هؤلاء. فمع انّ القرآن الكريم يقول: «أَشَدَّ النَّاسِ عَدٰاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ»[1]

ولكنّ احداً لم يُلصق باليهود تهمة قتل الامام الحسين عليه السلام واصحابه. ولم يزعم أحد انّ قاتليه عليه السلام هم من النصارى أو أتباع زردشت، ولم يقل احد انّهم من المشركين.

كيف أقدم المسلمون أنفسهم على مثل هذه الجريمة الشنعاء وهذا الذنب العظيم؟

انّه سؤال مهم وحيويّ ويحتاج الى جواب واضح ومفصّل.

وللوصول الى مثل هذا الجواب لابدّ ـعلىٰ أقلّ تقديرـ من استعراض تاريخ صدر الاسلام ـبعنوان انه مقدّمة للجوابـ منذ عصر ظهور النبي ﷺ ثم عصر الخلفاء. ولكي يكون الجواب واضحاً ومقنعاً لابدّ ان نقوم بدراسة ذلك التاريخ بصورة تحليليّة، الاّ انّ القيام بهذه الدراسة التحليليّة ليس من مجالات تخصّصي العلميّ ولا هو مناسب لهذا المجال المحدود. اذن سوف نقوم بمرور اجماليّ على ذلك التاريخ طالبين من الراغبين في التوسّع ان ينهضوا بالتحقيق في هذا المضمار.

السوابق التاريخيّة لواقعة عاشوراء:

في زمان حياة النبي الأكرم ﷺ كان يعيش بين المسلمين بعض من لم يعتقد

---

١. سورة المائدة، الآية ٨٢.

بالاسلام ولكنّه أسلم مُكرهاً وتظاهر بالاسلام لأغراض معيّنة. وقد أكّدت هذا الموضوعَ آياتٌ من القرآن الكريم، وقد نزلت سورة كريمة اسمها «المنافقون»، وقد جرى الحديث في الاسلام -في موارد متعدّدة- عن المنافقين وهم الذين يظهرون الايمان ولكنّهم في الحقيقة كاذبون، وحتّى انّهم يُقسمون على اظهارهم الايمان، يقول تعالى: «**إذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ اللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ**»[١].

وهناك آيات كثيرة تشير الى وجود هذه الفئة بين المسلمين وتؤكّد انّ هؤلاء لم يؤمنوا بصورة واقعيّة. واحياناً يعدّ القرآن الكريم حتّى اصحاب الايمان الضعيف والمتزلزل من جملة المنافقين، فيقول مثلاً في وصفهم: «... **وَ إِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالىٰ يُراؤُنَ النّاسَ وَ لا يَذْكُرُونَ اللّٰهَ إِلاّ قَلِيلاً**»[٢].

فهم يؤدّون الصلاة في المسجد ولكن من دون رغبة أو رياءً ولا تكون صلاتهم ذكراً لله.

وهناك شواهد عديدة في القرآن الكريم تدلّ على انّ ضعفاء الايمان ومن لم يصل ايمانهم الى حدّ النصاب معدودون من جملة المنافقين. ومن الواضح انّنا الآن لسنا بصدد تعيين مصاديق هذه الآيات الكريمة. بعض هؤلاء قد اسلم بعد فتح مكّة وقد مسح الرسول الأكرمﷺ على رؤوسهم بيد الرأفة والشفقة علىٰ الرغم من كل ما أبدوه من عداوة واحقاد، واسماهم النبيﷺ بـ«الطلقاء» اي الذين اطلق سراحهم، ومن جملتهم كثير من بني اُميّة. وقد عاش هؤلاء فيما بعدُ بين المسلمين وعاشروهم وتزاوجوا معهم. إلّا انّ كثيراً منهم لم يُوفّق للايمان الواقعيّ. ولم يقتصر امرهم على هذا بل كانوا يحسدون النبي الاكرمﷺ، يقول تعالىٰ: «**أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلىٰ ما**

---

١. سورة المنافقين، الآية ١.

٢. سورة النساء، الآية ١٤٢.

آتاهُمُ اللّـهُ مِـنْ فَـضْلِهِ»[١]. وقد كان بعض هؤلاء من قريش ولست احبّ ان اذكر أسماءهم، وعندما كان يُذكر اسم النبيﷺ في الأذان فانّهم يشعرون بالألم. كانت هناك عشيرتان في قريش وهم ابناء عمومة، وكانوا يقولون عن النبيﷺ: انظروا الى ابن العم هذا، كان طفلاً يتيماً ونشأ في عائلة فقيرة لكنّه قد لمع نجمه بحيث اصبح اسمه يذكر الىٰ جانب اسم الله! ولهذا فهم يشعرون بالألم من اعماق قلوبهم.

وعلى أيّة حال فقد نال بعضهم مناصبَ رفيعة في المجتمع الاسلاميّ خلال خمسة وعشرين عاماً بعد وفاة النبيﷺ حتىٰ وصل الدور الىٰ حكومة الامام اميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام.

وأنتم تعلمون انّ معاوية بن ابي سفيان قد عيّنه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب والياً من قِبله على الشام، ثم ثُبِّت في منصبه هذا اثناء خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان. وقد جرى كل هذا قبل ان تصل الحكومة الظاهريّة الى الامام اميرالمؤمنين عليعليه السلام.

وبما ان لمعاوية قرابةً مع الخليفة الثالث فقد أُطلقت يده اكثر في الحكم اثناء خلافة الخليفة الثالث. ومن هنا فقد اعدّ معاوية لنفسه جهازاً ضخماً للحكم في الشام. ومن المعروف ان الشام بعيدة عن المدينة وتُعتبر جزءاً من المنطقة الواقعة تحت نفوذ دولة الروم. وكان سكّان الشام حديثي العهد بالاسلام، وكانوا على اتّصال أشدّ واقوى مع اهل الروم، والعلاقات بينهم حميمة. ولم يتوفّر لأهل الشام ـحينذاكـ ان يطّلعوا على المعارف الاسلاميّة بصورة صحيحة وكاملة، لبُعد منطقتهم جغرافياً عن مركز انطلاقة الاسلام، ولتسلّط حاكم عليهم خلال عشرات السنين، وهذا الحاكم غير راغب في ان يتعلّم هؤلاء الاسلام بشكل جيّد. انّه كان يريد ان

---

١. سورة النساء، الآية ٥٤.

يترأّس عليهم وان يشيّد سلطنة، ولا يهمّه بعد ذلك آمن الناس بالاسلام ام لم يؤمنوا.

واستمرّ هذا الوضع حتى سُلّمت الخلافة الظاهريّة للامام اميرالمؤمنين عليعليه‌السلام بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان. وهنا قام معاوية بالتمرّد على الحكومة الشرعيّة للامام عليعليه‌السلام بذريعة انّ علياًعليه‌السلام هو قاتل عثمان، وقرّر القيام بمحاربة الامامعليه‌السلام.

انّني ابيّن هنا خلاصة ما جرى، واشير فقط الى النقاط المهمّة في التاريخ.

وقد أمضى معاوية مدّة في محاربة اميرالمؤمنين عليعليه‌السلام حتّى استطاع بالتالي ان ينهي حرب صفين لصالحه وضدّ الامام عليعليه‌السلام، وذلك من خلال مساعدة عمرو بن العاص وبعض اقاربه واصدقائه وشخصيّات قريش قبل الاسلام، وبالتآمر والتخطيط ومساعدة الخوارج ايضاً.

وفي حرب صفّين طُرحت مسألة التحكيم التي أثمرتْ اعطاء الخلافة لمعاوية، وبالتالي فقد استُشهد اميرالمؤمنين عليعليه‌السلام بيد الخوارج.

وبعد الامام عليعليه‌السلام جاء دور الامام الحسنعليه‌السلام، وقد استمرّ الامام الحسنعليه‌السلام لفترة قصيرة في النضال والجهاد الذي بدأه ابوه الامام عليعليه‌السلام. ولكنّه بعد فترة استغلّ معاوية الأجواء السائدة آنذاك وفعل فعلاً اضطرّ فيه الامام الحسنعليه‌السلام للموافقة على الصلح. وبهذا نقترب الى الوقائع الحاسمة. ويأخذ معاوية بوضع الخطط الماهرة جدّاً. واذا اردنا ان نبيّن ونسمّي بعض السياسيين لتلك المرحلة والمراحل التي سبقتها ممّن كانت افكارهم مؤثّرة في الطبقة المتوسطة من الناس، وكانوا نوابغ في السياسة الشيطانيّة، فانّه لابدّ ان نعدّ معاوية في طليعة الزعماء المتبنّين للسياسة الشيطانيّة.

ومن الواضح انّنا نقوم هنا بدراسة تحليليّة. وأمّا اذا أردنا اثبات هذا الموضوع بالتفصيل من الناحية التاريخيّة فانّه يستلزم دراسة الوثائق التاريخيّة. لكنّ الدراسة

التحليليّة تثبت انّ معاوية قد انتهى الى هذه النتيجة وهي انّه لابد ان يستغلّ تلك الظروف الموجودة لصالح حكومته وللتوسّع في بسط سلطانه. وصحيح انّه يطلق على حكومته اسم «الخلافة» ولكنّها ـ في حقيقة الأمر ـ كانت سلطنة ملكيّة مثل ما كان موجوداً آنذاك في منطقتي الروم وفارس. فقد كان من طموحهم ان يصبحوا مثل كسرى وقيصر، وان يحقّقوا سلطنة مثلهم.

وقد وجد هؤلاء أرضيّة صالحة في المجتمع آنذاك وقد استغلّوها لإيجاد حكومتهم واستمرارها.

الأرضيّة الاجتماعيّة لانحراف المجتمع:

١ ـ المستوى الثقافي للمجتمع: انّ أوّل ارضيّة هي المستوىٰ الثقافيّ المنخفض للناس. صحيح انّه قد مرّت عقود متعدّدة على ظهور الاسلام وانتشاره، لكنّ الرقيّ الثقافيّ ليس امراً يسيراً بحيث يمتدّ بهذه السرعة من المدينة الى أقصىٰ نقاط الشام وينفذ في أذهان الناس هناك. انّ تربية الناس علىٰ أساس الثقافة الاسلاميّة ورفع مستوى وعيهم ليس شيئاً يحصل بهذه السهولة. ولاسيّما اذا كانت حكومة المنطقة بيد شخص مثل معاوية.

وعلى كلّ حال فانّ الارضيّة التي ساعدت معاوية في تحقيق أهدافه وكان يحسب لها الحساب هي انخفاض المستوىٰ الثقافيّ للمجتمع هناك.

٢ ـ روحيّة الارتباطات القبَليّة: وهناك ارضيّة اخرى استغلّها معاوية وهي روحيّة التمسّك بالعلاقات القبَلية. فالوضع الثقافي كان يفرض في حالة اقدام رئيس القبيلة على عمل ان يقتفي اثرَه جميعُ أفراد القبيلة أو اكثرهم على أقلّ تقدير. وهناك أمثلة كثيرة تثبت هذا الأمر في الجانب الايجابيّ وفي الجانب السلبيّ منه. فاذا آمن رئيس قبيلة بالنبي الأكرمﷺ فانّ سائر أفراد قبيلته سوف يدخلون الاسلام بيسر

وسهولة ومن دون مقاومة، واذا ارتدّ رئيس قبيلة عن الاسلام ـ كما حدث ذلك بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ ـ فانّ اعضاء قبيلته سوف يرتدّون عن الاسلام بلا عناء مقتفين اثره.

ان تبعيّة أفراد القبيلة لرئيسهم كانت ارضيّة يحسب معاوية لها حسابها وقد استغلّها الى أبعد مدىٰ.

٣ ـ ضعف الايمان: وهناك ارضيّة اخرى ساعدت معاوية وهي ضعف ايمان الناس، ولاسيّما في منطقة الشام حيث كان أهلها يفتقرون الىٰ المربّين الدينيّين، فقد كان ضعف الايمان هناك بارزاً اكثر. وحتّى في نفس المدينة حيث نال الناس التربية الاسلاميّة تحت اشراف النبي الاكرم ﷺ فانّه لم تمض فترة طويلة على وفاة النبي ﷺ حتّى نسي الناس واقعة الغدير، فضلاً عن سكّان الشام، فقد سجّل التاريخ لهم في ذلك الزمان قصصاً عجيبة في الجهل وعدم الوعي.

كانت هذه ألواناً من الأرضيّة استغلّها معاويّة لصالحه:

وهي جهل الناس، وانخفاض مستواهم الثقافيّ، وسيطرة روح القبيلة عليهم.

عوامل انحراف المجتمع:

هناك عوامل ثلاثة استغلّها معاوية للعمل والنشاط في تلك الأنواع الثلاثة من الارضيّة.

ومن الواضح انّ استغلال هذه العوامل الثلاثة ليس امراً جديداً، إلا انّ معاويّة قد حقّق نجاحاً باهراً في تشخيصها واستغلالها الىٰ ابعد حدّ ممكن. وعادةً فانّ جميع السياسيين في العالم منذ اقدم العصور وحتىٰ العصر الحديث يستغلّون هذه العوامل الثلاثة.

١ ـ الإعلام: العامل الأوّل هو الإعلام، حيث يبذل السياسيون جميعاً غاية

جهدهم لتغيير افكار الناس بواسطة الإعلام ودفعهم نحو الجهة الّتي يريدونها. وبما انّ الثقافات والمجتمعات مختلفة فانّ استغلال عامل الاعلام يختلف ايضاً. ففي ذلك العصر لم يكن مطروحاً في اعلام المجتمع الاسلامي موضوع حقوق الانسان او التّعددية او ما شابه ذلك، فلم يكن أحد في المجتمع الاسلاميّ يلتفت الى ذلك، لانّ الاسلام كان هو الحاكم، ولانّ الناس كانوا معتقدين بالله تعالى وبالنبيﷺ، ولم يكن هناك أحد يهتمّ بالقراءات المتنوّعة للدين، وما شابه ذلك ممّا نلاحظه اليوم في مجتمعنا. لكنّه كانت هناك امور اخرى يمكن استغلالها في مجال الإعلام.

ومن جملة وسائل الاعلام التي كانت مستغلّة في ذلك الزمان هو الفنّ والأدب ولاسيّما الشعر. فقد كانت للشعر مكانة رفيعة ومهمّة بين العرب في ذلك العصر. والكلّ يعلم انّ معاويّة كان يبذل غاية جهده لاستغلال الشعراء المعروفين والبارزين حتّى ينظموا الشعر في مدحه وذمّ معارضيه، ويحاول بمختلف الوسائل ان ينشر ذلك الشعر بين الناس. ولعلّ من أبرز هؤلاء الشعراء هو الأخطل النصراني، فقد كان شاعراً مجيداً، وقد ربّىٰ تلامذة في هذا المضمار.

أمّا بين المتمسّكين بالاسلام أكثر فقد كان القرآن والحديث هو مورد اهتمامهم. ولهذا سعىٰ معاوية للترغيب في وضع الحديث. ومن جملة الوضّاعين للحديث ابوهريرة، وقد اعترف بهذا جماعة من علماء السنّة انفسهم وكتبوا كتباً لإثبات ذلك. كان يجعل احاديث عجيبة ثم ينسبها الى النبيﷺ. وكان الناس البسطاء يصدّقون بذلك وتنطلي عليهم الحيلة. وكذا الأمر فيمن كان يطلق عليهم اسم «القرّاء». وقد كانت للقارئ مكانة رفيعة في ذلك الزمان. والقراءة لا تعني فقط انه يقرأ القرآن الكريم بالتجويد واللحن الجميل، وانّما كان علماء الدين الكبار يطلق عليهم ايضاً اسم القرّاء، فهم الذين يقرأون القرآن بشكل جيد ويفسّرونه ويبيّنون مفاهيمه. وفي أغلب الأحيان يكونون حافظين له عن ظهر غيب.

وقد ركّز معاوية بالخصوص على هذه الطوائف الثلاث: القرّاء والشعراء والمحدّثين واستغلّهم في تشييد جهاز إعلاميّ ضخم منسجم لصالحه.

٢ ـ الترغيب: كان معاوية يخدع كثيراً من الناس بواسطة الشعر والحديث والقرآن، لكنّ جميع الناس لم يكونوا واقعين تحت تأثير هذه الألوان من وسائل الاعلام. ولهذا كان يخدع رؤساء القبائل عن طريق التطميع والترغيب فكان يغريهم بالمناصب والهدايا والجوائز الثمينة وآلاف الدنانير من الذهب ليستميلهم نحوه. ونحن ننظر اليوم الى قطعة صغيرة من الذهب فنراها ثمينة، فكيف اذا كان العطاء الف دينار من الذهب أو مليون دينار من الذهب؟! ويقال انّ هذه الأرقام سهلة عندهم. وعندما كان يرسل الكميّات الضخمة من الذهب الى زعيم قبيلة فانّ القليل جداً كان يستطيع المقاومة ولا يخضع لهذا الاغراء. واستغلّ معاوية هذه الوسيلة في شراء ذمم رؤساء القبائل.

٣ ـ التهديد: وبالتالي فانّه كان يخضع سائر الناس في المجتمع بواسطة التهديد. فكل من تحدّثه نفسه بالعصيان وينتقد معاوية أو يذمّه فانّه كان يُحضَر فوراً ويُضرب ويُسجن وبالتالي يُقتل.

لقد استغلّ معاوية هذه العوامل الثلاثة وهي «الإعلام» بواسطة الشعراء والمحدّثين والقرّاء، وعامل «الترغيب» بالنسبة الى رؤساء القبائل والشخصيّات الاجتماعيّة المؤثّرة، وعامل «التهديد» بالنسبة الى سائر الناس، ووجّه هذه الوسائل جميعاً ليسوق المجتمع نحو أهدافه الشيطانيّة ويدفع به نحو الانحراف.

لقد صاغ معاوية المجتمع الشاميّ بواسطة تلك العوامل الثلاثة وفي ظل تلك الألوان من الأرضيّة التي أشرنا اليها، وصبغه بالصبغة الّتي أحبّها وأدار شؤونه بالشكل الذي يريد.

فماذا كانت نتائج فعل معاوية؟ وكيف تربّىٰ الناس في ظلّ سلطته؟ نحن لا نملك

الفرصة الكافية هنا لنبيّن هذا الموضوع بالتفصيل، لكنّنا نقول انّ معاوية قد صاغ المجتمع الذي يطمح اليه بعد استشهاد الامام اميرالمؤمنين عليعليه‌السلام وخلال فترة وجيزة من زمان الامام الحسنعليه‌السلام اي ما يقرب من عشرين عاماً (من عام اربعين الى عام ستين للهجرة تقريباً).

وقبل استشهاد الامام عليعليه‌السلام كان معاوية يحكم الشام ما يقرب من عشرين سنة اخرىٰ منذ زمان عمر بن الخطّاب وحتّىٰ استشهاد الامام عليعليه‌السلام، وخلال هذه الفترة قد اعدّ الأرضيّة لما يصبو اليه ايضاً. لقد كان يتمتّع بتجربة كافية، وقد عرف الناس وجرّبهم، ثمّ بالتالي وضع هذه الخطة ونفّذها مستعيناً بتلك العوامل الثلاثة.

وفي الأعوام الأخيرة من عمر معاوية كتب وصيّته. كان راغباً جدّاً ان تبقى هذه السلطنة في عائلته. وكان يحبّ ان يخلفه يزيد في الزعامة، ولكنّه كان يعلم جيّداً بعدم كفاءة يزيد للرئاسة. وقد بذل غاية جهده لكي يربّيه بواسطة أفراد محنّكين وانتدب اناساً للاشراف عليه. وقد ترك معاوية ليزيد وصيّة ايضاً. وحسب ما نقل فانّ معاوية يوجّه الخطاب الى يزيد في تلك الوصية قائلاً: لقد اعددت الأرضيّة لسلطنتك بشكل لم يفعله والد آخر لولده، فالحكم معدّ لك بشرط ان تراعي عدّة اشياء: أوّلاً أوصاه بعدّة امور تتعلّق بسكّان المدينة والحجاز. وامّا سكّان العراق فانّهم يحبّون تغيير حاكمهم باستمرار، فلو طلبوا منك في كل يوم ان تغيّر حاكمهم فافعل ذلك فان افضل من ان يُصلت عليك مائة الف سيف، واكّد عليه باحترام سكّان الحجاز، لانّهم يرون انفسهم المتولّين الأصليّين للاسلام، فاذا جاءوك فأكرم وفادتهم، وقدّم لهم الجوائز، وان لم يأتوك فابعث اليهم من يمثّلك ليتفقّد أحوالهم ويطيّب خواطرهم. وبعد هذه النصائح يقول له: هناك عدّة أشخاص لا يخضعون لك بسهولة وهم: ابن ابي بكر، وابن عمر، وابن الزبير، وبالتالي ابن عليعليه‌السلام. ثلاثة منهم هم من ابناء الخلفاء، والرابع (وهو ابن الزبير) كان أبوه متصدّياً للخلافة وهو أحد

الستّة اصحاب الشورى المكلفين باختيار الخليفة. لابدّ لك من الاهتمام بشأن هؤلاء الأربعة. ويبيّن معاوية ليزيد كيف يتصرّف مع كل واحد من هؤلاء حتّى يصل الى الامام الحسين عليه السلام فيقول: لا تصطدم بالحسين! وابذل غاية وسعك لتحصل منه على البيعة، فان لم يبايع وقاتلك ثمّ انتصرت عليه فتعامل معه بالرحمة والشفقة. فليس من مصلحتك الاصطدام بالحسين. وحتّى اذا انجرّ الصراع بينكما الىٰ الحرب، وحقّقت نصراً في الحرب، فلا تتعامل مع الحسين بالقسوة لانّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وله مكانة رفيعة عند الناس، وشخصيته تختلف عن الآخرين.

هكذا ينصح معاوية ابنه، ولكنه لم يحصل شيء من هذا، فبمجرّد أن وصل يزيد الى الخلافة ـ كما ينقل التاريخ ـ فقد أصدر امره الى حاكم المدينة ان يأخذ له البيعة من عدّة اشخاص، فان امتنعوا عن البيعة فاقطع رؤوسهم. ولا اريد ان اخوض في التفاصيل، فقد سمعتموها مرّات كثيرة، ولعلّ الشباب لم تتكرّر عليهم، وعلى أيّة حال فلست احبّ أن اطيل في نقل التاريخ، وكلّ ما أهدف اليه هو انّ اقدم تحليلاً للقارئ الكريم ليعرف كيف انسحب الناس بهذه السهولة وفي هذه المدّة القصيرة من الاسلام وأقدموا على قتل سبط نبيهم، ولم يكن شخصاً عاديّاً وانّما هو عزيز المؤمنين ومحبوبهم، اذا رأوا ظاهره عشقوا جماله، واذا تعاملوا معه عشقوا أخلاقه، واذا طلب منه شخص شيئاً فانّه كان يلبّي له طلبه من دون ان تلتقي نظرات السائل بعيني المسؤول حتّى لا يصاب بالاحراج والخجل. مثل هذا الانسان العظيم قتلوه بتلك الوحشيّة وذلك الوضع الفاجع. لماذا لابدّ ان يحدث مثل هذا؟

كان قصدنا من بيان هذه المقدمة هو ان تنظروا الى ثقافة ذلك المجتمع كيف كانت؟ وكيف يتصرّف الناس؟ والمؤمنون الواقعيّون الذين نفذ الايمان في أعماق قلوبهم لم يكونوا قليلين في ذلك الزمان فحسب، وانّما هم دائماً قليلون، وسيبقى الأمر على هذا المنوال في المستقبل أيضاً. وحُنكة القائد في المجتمع تتمثّل في ان

يوجّه فكر وعقيدة الناس المتوسّطين وإلّا فانّه من غير الممكن عمليّاً ان يرفع هؤلاء جميعاً إلى المستويات العالية جدّاً. القائد المحنّك هو الذي يبذل جهده ليوجّه أفكار الناس المتوسّطين ولو قليلاً وبصورة تدريجيّة نحو الخير بحيث يقتربون الى الحقّ يوماً بعد يوم. وامّا المؤمنون اصحاب الكمال الذين لا تغيّرهم الظروف ولا تؤثّر فيهم المغريات فهم قلّة جداً، وحتّى في ذلك الزمان كانوا قليلين جداً. وقد استغلّ معاوية الضعف الثقافيّ وضعف الايمان وضعف المعرفة ونجح في دفع الناس الى الجهة التي يريدها مستعيناً بالعوامل الثلاثة: الإعلام والترغيب والتهديد.

ولو حاول الامام الحسينعليه السلام او الامام الحسنعليه السلام أو أيّ امام آخر ان يقاوم معاوية ويواجهه في تلك الظروف لتعرّض للاغتيال السرّي، ثمّ تنشط بعد ذلك أجهزة الاعلام، بالشعر الذي ينشدونه وبالأحاديث التي يجعلونها، لتُمطر المعارضين بألوان التهم والافتراءات ويشيعونها بين الناس، ويقوم وعّاظ السلاطين وعلماء السوء بدورهم في تضليل الناس. وقد كان هذا دورهم في جميع المجتمعات وكلّ الأزمنة ولاسيّما في مجتمع ديني تتّجه فيه العيون الى أفواه علماء الدين.

والقرآن الكريم يؤكّد على انّ ايّ فساد او اختلاف قد وقع في ايّ دين فهو يعود الى علماء السوء هؤلاء الذين باعوا انفسهم للشيطان:

«فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ»[١].

انّ اساس الفساد وايجاد الاختلاف والفوضى والانحراف والفتنة هو بيد الذين يعرفون الطريق، انّهم لصوص يحملون المصابيح. والحكّام الطغاة مثل معاوية قد شخّصوا مثل هؤلاء الأفراد واستعملوا معهم اسلوب التطميع واشتروا ضمائرهم بالأموال.

---

١. سورة الجاثية، الآية ١٧.

واذا شعر واحد من هؤلاء العلماء بغيرة دينيّة فانه يُعزل من الساحة الاجتماعيّة بتهديده بالقتل أو غيره. وقد جرى ذلك مع كبار اصحاب اميرالمؤمنين علي عليه السلام حيث تمّ اغتيالهم واحداً بعد آخر أو أنّهم صلبوا بأعذار واهية. حجر بن عدي وميثم التمّار وامثالهما ممّن كانوا راسخين في ايمانهم ولم تؤثّر فيهم تلك العوامل فانّ نهايتهم كانت القتل والإعدام. وقد تمّ قتلهم تارة بصورة رسميّة علنيّة وتارة اخرى بصورة اغتيال غير رسمي.

فالذي دفع الناس للانحراف عن احكام الاسلام ـ وحتّى انهم تخلّوا عن عواطفهم الدينيّة وعاداتهم القوميّة واخلاقهم العشائرية وحبهم لاكرام الضيف ـ هو هذه العوامل الثلاثة التي استغلّها معاوية الى أبعد الحدود.

وفي جميع الأزمان تؤدّي هذه العوامل الثلاثة الى الفساد والفتنة والانحراف. هكذا كان الأمر في الماضي وسيبقى في المستقبل.

واذا أردنا ان نكتسب درساً من عاشوراء فلنأخذ هذا الدرس ونتأمّل كيف أقدم الناس على مثل هذا التعامل القبيح مع الامام الحسين عليه السلام الذي طالما رأوه في حضن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد شاهدوا الحسين مراراً يأتي الى النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وهو يخطب على المنبر فاذا اقترب الحسين عليه السلام الى المنبر فان النبي صلى الله عليه وآله ينزل من درجات المنبر ويحتضن الحسين عليه السلام ويهدّئ من روعه لانّ النبي صلى الله عليه وآله لا يستطيع ان يتحمّل بكاء الحسين عليه السلام. هكذا كان يوصي الناس عمليّاً برعاية الحسين عليه السلام، ولكنّ هؤلاء الناس فعلوا بالحسين تلك الجرائم المخزية.

التشابه بين مجتمعنا والمجتمع الذي عاش فيه الامام الحسين عليه السلام:

وكذا الأمر في الوقت الراهن فكلّ من يخطّط لدفع المجتمع الاسلاميّ في مسير منحرف فانّه ليس أمامه سوى الوسائل الثلاث وهي عامل الاعلام والترغيب

والتهديد. لا ينبغي ان يتصوّر احد انّ من يريد القضاء علىٰ حكومة الثورة الاسلاميّة في ايران لابدّ ان يأتي من اقصىٰ العالم، وانّما يوجد منافقون في أعماق المجتمع الايرانيّ، وهم يقومون بنفس الدور الذي قام به المنافقون في صدر الاسلام مع الحسينعليه السلام. في ذلك العصر. ما كانت هناك حاجة ليأتي اناس من الروم او ايران او الصين وانّما ابناء عمّ الحسينعليه السلام نفسه نهضوا بالمهمّة. ولست اقصد أبناء عمه المباشرين ومن دون واسطة، وانّما أقصد من ابناء العشائر المتعلّقة بقريش. فبنو اميّة وبنو هاشم ابناء عمومة. وفي المجتمع المعاصر تأتي المساعدات الأجنبيّة لتضيف مصيبة الى مصيبة الخيانة الداخليّة. لكنّ الدور المباشر تنهض به العناصر الداخليّة. فلا يخطر في بال أحد انّهم اذا أرادوا لمسيرة الثورة الاسلاميّة في ايران ان تنحرف فانّ امريكا مضطرّة للتدخّل بصورة مباشرة. وانّما أمام امريكا خِيار آخر أسهل وأفضل، حيث تبذل جهدها لتتعرّف على العناصر الداخليّة المناصرة لها فتدعمهم اعلاميّاً وتسخو لهم بالدعم الماليّ واحياناً أشياء اخرى كاثارة الفتن والاضطرابات والاغتيالات. وصحيح انّ كثيراً من موارد الاغتيالات التي جرت في الجمهورية الاسلاميّة الايرانيّة قد تمّت بأيدي المنافقين من اعضاء منظمة مجاهدي الشعب، لكنّ هؤلاء المنافقين لا يحملون الجنسيّة الامريكيّة، وانما جاءوا من هذا المجتمع الايراني، وكثير منهم قد بدأ نشاطه على أساس الدفاع عن الاسلام. فهذا الملحد الذي يهاجم الاسلام اليوم ويهاجم الامام الخمينيقدس سره في مقابلة صحفيّة نشرت له في خارج البلد قد نشأ وترعرع في المجتمع الاسلامي ولعلّه في يوم مّا كان يعيش في هذا المجتمع بعنوان كونه احد حرّاس الامام الخمينيقدس سره، واليوم ينكر الاسلام ويقول ان الامام الخمينيقدس سره لابدّ ان يجعل في متحف التاريخ[1]، انّ مثل هذا

---

١. ليرجع من احب الى صحيفة «كيهان»، العدد المؤرخ ١٣٧٩/١/٢٤هـ.ش، حيث يوجد فيه تقرير للمقابلة

الشخص لم يكن من المحتّم ان يأتي من امريكا. لكنّ مثل هؤلاء الأفراد الذين امضوا جانباً من عمرهم في هذا المجتمع بعنوان كونهم حرّاساً للامام الخميني صاروا أيادي لأمريكا. ألا تلاحظون تصريحات وزير الخارجية الأمريكيّة او سائر الشخصيّات الأجنبيّة تبدي سرورها لانتشار الديمقراطيّة ـ كما يزعمون ـ في ايران، حيث أصبحت المطبوعات حرّة تكتب ما تشاء؟

اذا كان الأعداء قد عقدوا الأمل بالعودة الى ايران مرّة اخرىٰ ليبسطوا سلطتهم الشيطانيّة من جديد فذلك اعتماداً منهم على مثل هذه الانحرافات التي ظهرت من أمثال هؤلاء هنا وهناك.

ومع الأسف الشديد فقد تغلغل بعض هؤلاء الى الأجهزة الحكوميّة.

واذا كان الامام الحسين عليه السلام «مصباح هدى» يعكس نور الهداية في قلوب الناس فيضيء لهم السبيل، فانّه في هذا الزمان ايضاً لابد لنا ان ننتفع بنور الحسين عليه السلام.

ان الطريق الذي سلكه اعداء الاسلام في الماضي وحرّفوا فيه الاسلام ومسخوه وانتهىٰ بهم الأمر الى قتل الحسين عليه السلام، يحاول اعداء الاسلام اليوم ان يسلكوا نفس ذلك الطريق ويضعوا العراقيل في طريق حسين زماننا ليمنعوه من مواصلة مسيرته. وهم يستخدمون اليوم نفس العوامل ويستغلّون نفس الوسائل، فالسبل العامّة هي نفسها: الاعلام والترغيب والتهديد. وكلّما أجهدتُ نفسي في التفكير لأجد عاملاً رابعاً فاني لم اظفر به. نعم الأرضيّة مختلفة، فلعلّهم يستغلّون ألوانا أخرىٰ من الأرضيّه، لكن العوامل هي نفسها تلك العوامل الثلاثة.

لاحظوا اليوم ماذا يفعل أعداء الاسلام بالنسبة الى الاسلام، أهم يقصّرون في مجال الإعلام؟ أيّة تهمة لم يلصقوها به، وايّ افتراء لم يفتروه عليه؟ وفي كثير من

الصحفيّة التي اجراها اكبر گنجي مع المجلة الالمانية (تاكس اشبيجل).

هذه الصحف التي تُطبع وتُنشر في داخل ايران وتُؤمَّن ميزانياتها من بيت مال المسلمين تَطبع وتَنشر هذه التهم والافتراءات وتُوزّع بأعداد كثيرة، ويتأثّر بها كثير من الشباب. هل تتصوّرون انّ ذنب هؤلاء الأشخاص اقلّ من ذنب من أقدم على قتل سيد الشهداء عليه السلام؟ ماذا ينقص هؤلاء عن اولئك؟

أيكون ذنب هؤلاء أهون من ذنب معاوية واصحابه وانصاره؟

أيكون ذنب من يدافع عن هؤلاء باسم الدين اقلّ من ذنب ابي هريرة وامثاله؟ انّه بمقدار ما اتّسع فيه الاسلام في العالم اليوم وسوف يتّسع اكثر يكون ذنبهم اكبر أيضاً. الذين يعملون الصالحات يكون ثوابهم أكبر، والخائنون يكون ذنبهم اعظم. لانّ مجال ذلك العمل الصالح وهذه الخيانة أوسع وأشمل.

في ذلك الزمان الذي كان فيه معاوية متسلّطاً فقد تسلّط على أُناس أغلبهم لا يميّز بين الذكر والانثىٰ من الحيوانات، حيث يصلّي الخليفة صلاة الجمعة في يوم الأربعاء ولا يعترض عليه أحد، وفي احدى المرّات جاء أحد الخلفاء الامويّين الى صلاة الصبح وهو سكران فأمّ الناس وصلّى اربع ركعات بعنوان كونها صلاة الصبح، ولمّا قيل له انّ صلاة الصبح ركعتان، أجابهم بانّي اليوم فرح مسرور وان شئتم لزدتكم اكثر!

في ذلك العصر كان يحكم أعداء الاسلام على مثل هؤلاء الناس، امّا اليوم فان خداع الشباب الذين ترعرعوا في ظل الثورة الاسلاميّة غير ميسور بهذه السهولة، ولكنّ حيل الاعداء قد اصبحت اكثر تعقيداً واشدّ خفاءً.

وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام: تأمّلوا في تاريخ الجاهلية قبل بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هل يمكنكم أن تجدوا بين الأُمّة العربية شخصاً أقسى قلباً من حرملة؟ انّه الشخص الذي ذبح طفل الامام الحسين عليه السلام الذي لم يتجاوز عمره ستة اشهر وكان يمرّ بحالة احتضار ويقضي آخر لحظات حياته، ذبحه بسهم مسموم وجهّه الى

رقبته. هل يمكنكم ان تجدوا حيواناً أحقر من هذا؟ هل وجد قبل الاسلام شخص بهذه الدناءة؟ أنا لا اتصوّر وجود شخص بهذه الدرجة من القسوة من بين جميع المتوحّشين الذين عاشوا قبل الاسلام. ولكنّه بعد ظهور الاسلام وانتشاره ظهر شياطين مثل يزيد وحرملة والشمر بكلّ ما يتميّزون به من قسوة للوقوف في وجه الاسلام.

هناك ملاحظات عجيبة يشير اليها القرآن الكريم، ومن جملتها انّ القرآن عندما ينزل فانّه يكون سبباً لهداية المؤمنين، امّا بالنسبة للظالمين المصرّين على الفساد والانحراف والكفر فانّه يزيدهم في نفس الاتّجاه الذي اختاروه لأنفسهم، يقول تعالى:

«وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظّالِمِينَ إِلاّ خَسٰاراً»[١].

انّ النتائج المترتّبة على نزول المطر هي انّه في مزرعة الزهور تنمو الورود الجميلة والعطرة، أما في الأراضي التي فيها اشجار مسمومة فان السمّ ينتشر اكثر بواسطة نفس ذلك المطر.

وفي المجتمع الاسلاميّ يترعرع وينضج أمثال سلمان وابي ذر وعمّار وميثم التمّار وسعيد بن جبير، ويظهر فيه أيضاً من يقول للامام الحسينعليه‌السلام في ليلة عاشوراء: لو قتلنا تحت رايتك سبعين مرّة ثمّ أُحيينا لتمنّينا ان نستشهد معك مرّة اخرى.

هذا من جهة، ومن جهة أُخرى نلاحظ ايضاً نموّ تلك القسوة وانعدام الرحمة فيمن وقفوا في وجه الامام الحسينعليه‌السلام. من يتنكّر للهداية الالهيّة ويشيح بوجهه عن رحمة الله فانّ شقاءه يزداد وقسوته تشتّد.

١. سورة الاسراء، الآية ٨٢.

وكذا الأمر في الثورة الاسلاميّة الايرانيّة فهي من ناحية قد ربّت زهوراً قليلة النظير طيلة التاريخ الاسلاميّ. اتذكر عندما بدأت دراساتي الدينيّة وانتميت الى سلك علماء الدين فقد تعرّفت ـ الى حدّ مّا ـ على تاريخ الاسلام، ومن اهمّ القضايا التاريخيّة التي تركت في نفسي اعظم الأثر وحملتني على الاعجاب هي قصّة حنظلة غسيل الملائكة، فقد عاش هذا الشاب (حنظلة) في صدر الاسلام ثم تزوّج، وفي اليوم الذي اعقب ليلة زفافه شارك في غزوة أُحد، وقد اشترك في القتال قبل ان يجد الفرصة للقيام بغسل الجنابة من الليلة الماضية، ثم سرعان ما نال الشهادة في سبيل الله، فقال الرسول الأكرمﷺ: اني ارى الملائكة قد جاءت بالماء من السماء وغسّلت به حنظلة[١]. ومن هنا فقد اطلق عليه اسم حنظلة غسيل الملائكة.

انّ هذه القصّة كانت عجيبة جدّاً بالنسبة اليّ: شاب في ليلة زفافه يعرض عن أحلىٰ ليلة في عمر الزواج ويشارك في جبهة القتال ثم يستشهد.

ولكنّنا في أحداث هذه الثورة الاسلاميّة المباركة نملك مئات بل آلافاً من امثال حنظلة غسيل الملائكة، انّها زهور نمت وعطّرت بشذاها الآفاق. كم عدد الشهداء الذين طلبوا من الله عز وجلّ ان تضيع اجسادهم بعد الشهادة ولا يتمّ العثور عليها لدفنها. هناك احد طلاب العلوم الدينيّة وهو من اقرب اصدقائنا[٢] وقد ساهم في جبهة القتال عدّة سنوات حتى أصبح قائداً لفرقة من فرق القوّات المسلّحة، ولم يكن قد تزوّج حينذاك، وقد قال: انني آمل في الزواج من فتاة علويّة حتى اصبح محرماً مع السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام، فذهب واقترض مبلغاً من المال مقداره عشرة آلاف تومان وتزوّج فتاة علويّة. انّ هذا المناضل الذي قضى ربيع شبابه في جبهات القتال لا يبقىٰ

---

١. بحار الانوار، ج ١٧، ص ٢٦، الباب ١٤، الرواية ١.

٢. المقصود به هو المرحوم الشيخ مصطفى ردانی‌پور.

مع زوجته سوىٰ ليال معدودات ويعود في اليوم الثالث من زواجه الى جبهات القتال فينال الشهادة. وقد طلب من الله تعالى ان تضيع آثار جنازته، وهكذا حدث.

في ظلّ هذه الثورة أزهرت ورود من ناحية، تتجسّد في هؤلاء الشباب واليافعين الذي قطعوا في ليلة واحدة المسافة التي يقطعها الآخرون في مائة سنة. وفي مقابلهم تربّى أيضاً منافقون ملحدون يقلّ نظيرهم في الشيطنة والنفاق على مدى التاريخ. ومع الأسف فانّ هؤلاء المنافقين اليوم ينالون الاحترام والتقدير من قِبل أشخاص! لماذا؟ لأنّهم نشطوا اجهزتهم الإعلاميّة منذ البداية وأخذوا بإدانة العنف والدعوة الى التساهل والتسامح، فانتزعوا من الناس حميّتهم وغيرتهم الدينيّة حتى لا يتنفّس احد ويعترض على هجماتهم الجبانة الموجّهة ضد أساس الاسلام، واذا تجرّأ احد واعترض فانّهم يصفونه بأنه نصير العنف او المخطِّط للعنف، ولابدّ من الحكم عليه بالاعدام! هكذا كان دور الإعلام منذ البداية وهو مستمرّ الآن بنحو أتمّ وأكمل.

وهذا هو نفس الدور الذي قام به معاوية وجميع شياطين العالم وهم يلعبون لعبتهم السياسيّة. وأستخدموا اسلوب التطميع ايضاً فأرسلوا الهدايا الى من لا نريد ذكر اسمائهم. وقد منحوا المناصب والمسؤوليّات لأشخاص يشاركونهم في الحزب أو في الائتلاف الحزبي. وبالتالي لجأوا الى التهديد، فعلىٰ الرغم من انهم يدينون العنف لكنهم لم يعفّوا عن تهديد معارضيهم، سواء عن طريق الهاتف او الصحيفة أو بأية وسيلة ممكنة. وهذه هي عين السياسة التي انتهجها معاوية.

ما هي سبيل التصدّي للسياسات الشيطانيّة؟

والآن اذا أراد شخص أن يتصدّي لمثل هذه الألاعيب السياسيّة فما هي السبيل الى ذلك؟

انّها نفس السبيل التي بيّنها الامام الحسينعليه السلام. والشرط الأوّل للتصدّي لهذا اللون

من اللعب السياسيّة هو ان لا تتعلّق قلوبنا بالدنيا. فالحسينعليه السلام قد ربّىٰ أولاده واحبّاءه وأصحابه بشكلٍ بحيث عندما أراد ان يختبر ذلك الشاب الذي لم يتجاوز عمر الزهور حيث كان في الثالثة عشرة من عمره ليرىٰ تصميمه على الشهادة، فسأله الامامعليه السلام: كيف تجد طعم الموت، فأجاب القاسم بن الحسن: «الموت احلى عندي من العسل»[١] لم يكن هذا شعاراً من القاسم بن الحسن في محضر عمّه الامام المعصومعليه السلام، وانّما كان ترديداً باللسان لما كان يشعر به في اعماق الجنان. هل تتصوّرون كيف يمكن ان يتحوّل طعم الموت عند شاب في الثالثة عشرة من عمره الى شيء احلى من العسل؟ أجل انّه ليس ايّ موت كان، وانّما هو الموت في سبيل الله، وفي طريق اداء الواجب الشرعي، ومن أجل خدمة الاسلام. وإلّا فانّ الموت بذاته ليس حلواً، ولكن لمّا كان المجال هو مجال الشهادة سأله الإمامعليه السلام عن طعم الموت عنده فأجاب بأنه أحلىٰ من العسل.

فان اردنا الاستمرار في طريق الحسينعليه السلام فلابدّ لنا من التصدّي لهذه المؤامرات الشيطانيّة المعقّدة. وفي البداية لابدّ ان نعيش هذه الروحية:

«قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»[٢].

«قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادقينَ»[٣].

ألا يودّ الحبيب ان يلقى محبوبه؟

لابدّ ان نتعلّم هذا من اهله.

ولابدّ ان نلقّن أنفسنا هذه القيم، ولابدّ ان نتحرّك عمليّاً في نفس هذا الاتّجاه،

---

١. وسيلة الدارين في انصار الحسينعليه السلام، ص ٢٥٣.

٢. سورة آل عمران، الآية ٣١.

٣. سورة الجمعة، الآية ٦.

بحيث لا تتعلّق قلوبنا بالآمال الدنيويّة، وان لا يخدعنا الأحمر والأصفر، وان نعدّ الموت والشهادة في سبيل الله اكبر مفاخرنا، عندئذ نستطيع ان نحافظ علىٰ طريق الله.

هذا هو الدرس الذي قدّمه لنا ابوعبدالله الحسين عليه السلام.

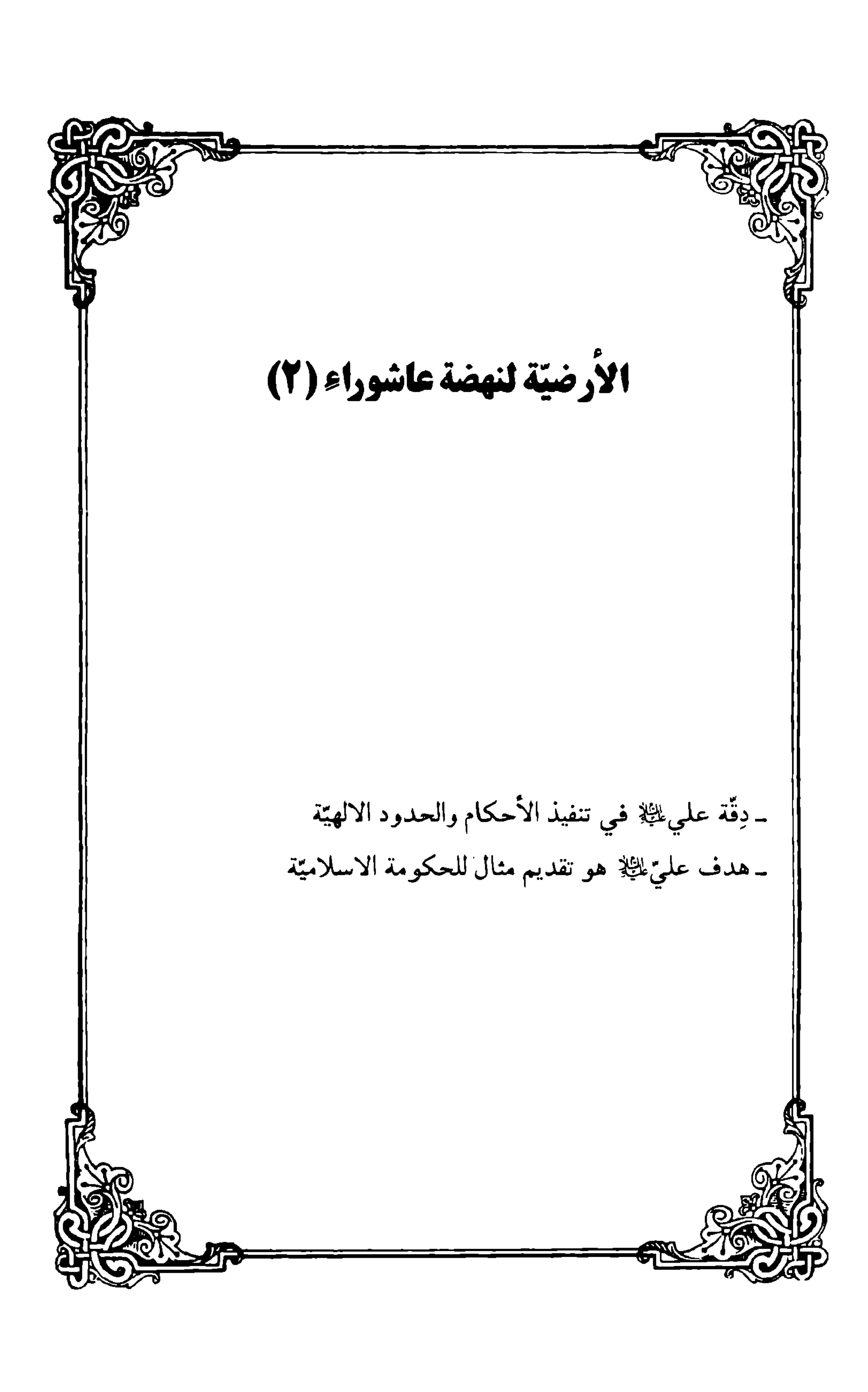
كيف يمكننا ان نصبح حسينيّين وان نعشق الحسين عليه السلام من دون ان نتعلّم منه هذا الدرس؟

بين شبابنا الأعزّاء الكثير ممّن يتأسّى بالقاسم بن الحسن.

في احدى المرات كنت احاضر في احدىٰ المدن، وعندما عدت ليلاً الى البيت المقرّر ان استريح فيه جاءني ابن صاحب البيت وهو شاب لا يتجاوز عمره الثالثة عشرة وقال لي: لديّ موضوع سرّي احبّ ان أبوح لك به ـ ولعلّه شعر بالحياء ان يطرحه معي أمام ابويه ولهذا اراد ان يسرّني به ـ وعندما حان وقت مغادرتي لتلك المدينة قال لي ذلك الشاب: لم استطع أن أبوح لك بما في نفسي. فأخذته جانباً وقلت له تحدّث بما تشاء، فاستجاب قائلاً: ادع لي ان يرزقني الله الشهادة!

انّ هؤلاء الشباب نالوا تربيتهم في مدرسة الامام الحسين عليه السلام، انّهم رفقاء القاسم بن الحسن. وشيوخنا رفقاء حبيب بن مظاهر.

لا ينبغي لنا ان نبقى بعيدين عن هذا الركب المقدّس. انّ رمز انتصارنا هو ان نعدّ الموت في سبيل الله شرفاً وفخراً. فان اشتعلت نيران الحرب فنحن على أتمّ استعداد للشهادة، كما فعل شهداؤنا وحقّقوا ما نفتخر به. هناك الكثير من الشباب الذي ذهبوا الى الامام الخميني قدس سره وتوسّلوا اليه ان يدعو لهم بالشهادة. ومع الأسف كلما مرّ الزمان على نهاية الحرب فانّ هذه القيم يعلوها غبار النسيان. إلّا انّه ببركة الامام الحسين عليه السلام في هذه الأيام نشاهد ظواهر تدلّ على إحياء تلك القيم من جديد.



الأرضيّة لنهضة عاشوراء (٢)

- دِقّة علي عليه السلام في تنفيذ الأحكام والحدود الالهيّة
- هدف عليّ عليه السلام هو تقديم مثال للحكومة الاسلاميّة

المقدمة:

طرحنا في الفصل السابق سؤالاً قد يخطر على بال كثير من الشباب، وهو: كيف أقدم المسلمون ـ وهم معتقدون بالدين ويؤدّون الصلاة والصيام والجهاد وقد ساهم الكثير منهم في الغزوات، وأكثرهم قد حظي بمرافقة اميرالمؤمنين علي عليه السلام أو قاتَل تحت رايته ـ مع هذا كلّه كيف أقدم هؤلاء على قتل الحسين بن علي عليه السلام بتلك الصورة الفاجعة وهو الانسان العظيم الّذي يتمتّع بذلك الشرف الرفيع والعزّة والمحبّة؟

قلنا انّه لكي تتّضح أبعاد الموضوع لابدّ لنا من الرجوع الى الماضي واستعراض تاريخ صدر الاسلام. وقد أشرنا ـ بصورة اجماليّة ـ في الفصل السابق الى وضع البلد الاسلاميّ في زمان معاوية، بعد استشهاد أميرالمؤمنين علي عليه السلام وحتّى وصول يزيد الى الخلافة.

وخلاصة ما ذكرناه هو انّ معاوية ـ من بين الشخصيّات المعروفة لذلك العصر ـ كان يتمتّع بذكاء حادّ، بحيث كان يطلق عليه اسم «داهية العرب». واشتهرت سياسته وذكاؤه وفراسته وتدبيره الى الحدّ الذي كانوا يوجّهون فيه اللوم الى الإمام علي عليه السلام قائلين انّ علياً عليه السلام لا يملك سياسة معاوية وإلّا لانتصر عليه ولم يستطع معاوية ان بحقق ما كان يصبو اليه.

ولعلّ الامام اميرالمؤمنين يشير الى هذا الموضوع بقوله:

«لولا كراهية الغدر لكنتُ من ادهى الناس»[١].

أي انّ معاوية ليس اذكى ولا أكثر تدبيراً وسياسةً منّي ولكنّ التقوى هي التي تقيّدني بحيث لا أسمح لنفسي أن أفعل أيّ شيء.

دِقّة عليعليه السلام في تنفيذ الأحكام والحدود الالهيّة:

يحسن بنا أن نشير هنا الى ملاحظة بعنوان كونها جملة معترضة، وهي قد تخطر هذه الشبهة على بعض الأذهان الساذجة، وهي: لو أنّ اميرالمؤمنين عليّاًعليه السلام قد ساير معاوية أو الآخرين الى حدّ مّا لم يكن الأمر لينتهي الى ما انتهى اليه.

وفي العصر الحاضر يبذل البعض غاية جهدهم لتضعيف مقام الولاية بشكل عامّ، ومقام عصمة النبي الأكرمصلى الله عليه وآله والأئمة الأطهارعليهم السلام بشكل خاص، وذلك من خلال الطعن في بعض مجالات سلوكهم، ويثيرون الشبهات حتى تفقد الأجيال اللاحقة ايمانها العميق بعصمة هؤلاء وافضليّتهم. فيوحون بهذه الشبهة مثلاً: لعلّه كان هناك طريق أفضل، ولعلّ هؤلاء العظماء قد اخطأوا في بعض الموارد. واذا جاءت «لعلّ» فقد فُتح الباب على مصراعيه، وأصبح كلّ شيء قابلاً للتشكيك. وهذا هو ما يفعلونه اليوم بكلّ دِقّة وتخطيط.

قد تطرح الشبهة بهذه الصورة (وارجو العذر على كيفيّة تصويرها) حيث يقولون: حينما هجم الناس على عليّعليه السلام يبايعونه بذلك الشكل المنقطع النظير، ممّا يصوّره الامام أميرالمؤمنينعليه السلام نفسه فيقول: «حتّى وطئ الحسنان» فقد كان من بين هؤلاء بعض الشخصيّات البارزة في ذلك العصر، جاءوا وبايعوا عليّاًعليه السلام، مثلاً طلحة والزبير لم يكونا من الناس العاديّين. وكما تعلمون فانّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قد

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٠.

عيّن في أواخر أيّام حياته شورى مكوّنة من ستّة اشخاص هم الذين سوف ينتخبون واحداً منهم خليفة للمستقبل. وكان طلحة والزبير من جملة هؤلاء الستّة. اذن هذان الشخصان كانا مرشّحين للخلافة، وقد جاءا وبايعا عليّاً عليه السلام للخلافة.

وهنا يأتي دور أصحاب الشبهة ليعلّقوا بقولهم: ألم يكن من المناسب لعليّ عليه السلام ان يدعو هاتين الشخصيّتين وان يقوم بعمل يطيّب به خاطريهما، كأن يقدّم لهما هديّة، وعندما يطلبان منه وقتاً للّقاء فانّه يخفّ الى لقائهما ويكرم وفادتهما، ولانّهما قد بايعاه كان ينبغي له عليه السلام ان يعقد معهما جلسة تكريم ويخاطبهما: اخويّ العزيزين اهلاً بكما! وانّي لم أظفر بالخلافة إلّا بفضلكما، حيث قمتما بتأييدي فوصلتُ إلى الخلافة، فأنا شاكر لكما هذا التأييد!

هل في هذا الكلام المعسول ضير؟!

ثمّ يعدّ لهما مائدة طعام ممّا تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين.

والامام عليّ عليه السلام كان يعلم ماذا يدور في ذهن كل واحد منهما، واذا لم نقل انه كان يتمتّع بعلم الامامة وانه يعلم بأحداث المستقبل فعلى أقلّ تقدير كان يحتمل ذلك من خلال معرفته بوضعهما الروحيّ وتركيبة شخصيّتهما، فهو يحتمل انّه اذا لم يسايرهما فسوف يشنّان عليه حرباً كحرب الجمل، فلكي لا يحدث مثل هذا ولا تقع الحرب ولا تهرق الدماء ولا تفكّك القوى ـ وانّما تستخدم هذه القوى في اعادة بناء البلد لتحقيق التقدّم الاقتصاديّ ـ كان من الأفضل ان يقول لهما: تعالوا لنتعاون ونفكّر معاً، قدّموا لنا مخطّطكم ونحن نتوفّر على دراسته. أو حتّى انّ جانباً من الدولة الاسلاميّة قد جعلته تحت تصرفكما وأنتما اللذان تديرانه. ان أحببتما ولايتي الكوفة والبصرة فهما طوع امركما. وان رغبتما في الشام ومصر فرغبتكما نافذة. المهمّ انّنا نتعاون ونتقاسم.

هكذا كان ينبغي ان يتعامل معهما، ثمّ يطلق ايديهما في بيت المال. وحتّى لو

فرضنا انّهما يسيئان استغلال بيت المال قليلاً فان ذلك افضل من انفاق كميّة هائلة من بيت المال على الحرب والقتال وإسالة الدماء.

هذا هو لون التفكير السياسيّ الذي كان شائعاً بين الناس في ذلك العصر. وبهذه الطريقة كانوا يصبّون اللوم على عليعليه السلام. فهؤلاء هم الذين كانوا يقولون انّ علياًعليه السلام لا يعرف السياسة، او انّ معاوية اكثر سياسة منه.

وهذا النوع من الكلام هو الذي كان يؤذي عليّاًعليه السلام ويحرق قلبه، وحتى انّه لم يستطع ان يقنع بعض اصدقائه.

وقد كانعليه السلام يعرف معاوية ويعرف ايّ عنصر خبيث هو، وما هي سياسته، وكيف استحوذ على قلوب الناس ثم ركب على اكتافهم؟ وكان على علم ببذخ معاوية وكيفيّة تصرّفه بأموال المسلمين وبيت المال حيث كان يجود بمئات الآلاف بل احياناً بملايين الدراهم والدنانير وينثرها على مختلف الأفراد. فلو أنّ علياًعليه السلام استخدم السياسة مع امثال هؤلاء الشخصيّات وسايرهم لكان افضل من وقوع تلك الحروب واهراق تلك الدماء وصرف تلك المبالغ الهائلة.

وفي العصر الحاضر يُسمع مثل هذا الكلام حول الامام الخمينيقدس سره أو حول القائد المحنّك آية الله السيد الخامنئي. فيقولون مثلاً: لو جرت مسايرة الشخصيّة الفلانيّة ما انجرّ الوضع الى هذه النتيجة السيّئة.

اذن هذه الشبهات لا تزال مطروحة في سياسة عليعليه السلام.

ويمكننا ان نقول في الجواب على هذه الشبهات بان الامام علياًعليه السلام كان يتمتّع بعلم الامامة أو انّ الله تعالى قد أمره بما فعل، فهل تطلبون من عليّعليه السلام ان يخالف أوامر الله سبحانه؟

لكنّ هذا سوف يكون جواباً تعبّدياً. فنحن نعتقد انّ الامامعليه السلام معصوم لا يخطئ، وهو يعمل حسب ما أمره الله تعالى، فقد كان ذلك واجبه الشرعي.

وهذا جواب مقنع لنا الى حدّ مّا، لكنّه غير مقنع للشباب الواقعين تحت تأثير هذه الشبهات، فلابدّ لنا اذن من تقديم جواب أوضح واكثر اقناعاً.

واستغلّ الفرصة في هذا المجال لأُوجّه اللوم الى اخوتي علماء الدين: لماذا لم نتدارس مثل هذه المسائل الّتي هي مورد حاجة الناس ولم نعدّ لها اجوبة مناسبة بحيث يستطيع الجميع ان يفهمها وتكون مقنعة لهم. إمّا أنّنا لم نعدّ مثل هذه الأجوبة وامّا انّنا لم ننشرها لتصل الى أيدي الشباب المتعطّش لها.

لابدّ لنا ان نقدّم جواباً واضحاً لهذا السؤال وهو: لماذا لم يستخدم علي عليه السلام سياسة المسايرة والانعطاف وتبادل الابتسامات؟ ولماذا كان متشدّداً الى هذا الحدّ بحيث كان يردّد انّني لا أسمح لمعاوية أن يحكم حتى ليوم واحد؟ اذا كنتُ أنا الخليفة فانّه لا يحقّ له ان يتصرّف اطلاقاً. وفي نفس الوقت يستقبل معاوية طلحةَ والزبيرَ ويتودّد اليهما. انّ طلحة والزبير ليسا شخصين عاديّين وانّما هما من اكبر الشخصيّات في العالم الاسلاميّ ومن جملة المرشّحين للخلافة. عندما كان هذان يحلاّن ضيفين عند عليّ فانّه كان يطفئ مصباح بيت المال ليضيء مصباحاً آخر. فاذا سئل عليه السلام ما الفرق بين هذين؟ كان جوابه: ان المصباح الأوّل متعلّق ببيت المال وقد كنت مشغولاً بمهامّه فمن حقّي استخدام مصباحه، امّا الآن فأنتما في زيارة شخصيّة لي وتتحدّثان في شؤون خاصّة، ولا حقّ لي عندئذ ان استخدم مصباح بيت المال. ويستولي عليهما العجب ويقولان فيما بينهما اذا لم يكن علي عليه السلام على استعداد لاستخدام مصباح بيت المال لفترة قصيرة ونحن من الشخصيّات الاسلاميّة المهمّة ونريد التحدّث في امور تتعلّق بمصالح البلاد الاسلاميّة ـ هكذا كانا يصوّران القضيّة ـ وهو لا يوافق على استخدام مصباح بيت المال قليلاً، فكيف يمكننا ان نتعامل معه ونتعاون؟

انّ هذين الشخصين قد انتفعا كثيراً في زمان الخليفة الثالث، وقعت في ايديهما املاك

وثروات ضخمة وامتلكا غلماناً واماءً كثيرة! وقد نقلت في هذا المضمار قصص عديدة.

والآن يواجهان هذا التشدّد من اميرالمؤمنينعليه السلام.

ما هو الجواب على هذا السؤال؟

وهل هناك جواب آخر غير الجواب بانّ عليّاًعليه السلام معصوم ولا يفعل شيئاً إلّا بأمر الله عزّ وجلّ؟

هل لدينا جواب واضح بحيث نقدّمه للشباب فيقنعهم؟

هدف عليعليه السلام هو تقديم مثال للحكومة الاسلاميّة:

يبدو لنا هذا الجواب الذي سوف نشرحه، ونرجو من القرّاء ان يتأمّلوا فيه، فان توصّلوا الى جواب افضل فليطلعونا عليه.

الجواب الذي يبدو لنا انّه صحيح هو: لو كان هذا الأمر قد حدث فكيف كنّا نعرف عليّاًعليه السلام؟ لو نقل التاريخ لنا هذه القصة وهي: في احدى الليالي زار طلحة والزبير خليفة المسلمين علي بن ابي طالبعليه السلام ودار الحديث بينهم حول شؤون الدولة الاسلاميّة، وبالتالي اتّخذ الخليفة هذا القرار وهو ان يبعث احدهما والياً من قبله الى العراق والثاني الى مصر.

لو كان التاريخ قد سجّل مثل هذه الحادثة فكيف كنّا ننظر أنا وأنت الى عليعليه السلام؟ وهل كنّا نرى أيّ فرق بين عليّ وطلحة والزبير؟ وهل كان بامكاننا ان نفرّق بين معاوية وعمرو بن العاص وعليّعليه السلام؟ وأقصى ما يمكن قوله حينئذ هو انّ عدّة شخصيّات عقدوا اجتماعاً تشاوروا فيه واتّخذوا قراراً. في يوم مّا بايعا شخصاً آخر واليوم جاءا يبايعان عليّ بن ابي طالبعليه السلام. في السابق عيّن الخليفة الأوّل ـ بعد التشاور مع بطانته ـ معاوية والياً على الشام، ثمّ جاء من بعده الخليفة الثاني ثمّ الخليفة الثالث واقرّا ولايته على الشام. والآن جاء دور طلحة والزبير ليصبحا واليين

على العراق ومصر. لو كان هذا قد حدث للزم منه ان ينظر أكثر من مليار مسلم ومن جملتهم مئات الملايين من الشيعة فلا يجدون فرقاً بين عليعليه السلام وطلحة والزبير، بل سوف لا يقولون بفارق بين عليّعليه السلام ومعاوية.

واذا كنّا اليوم نعلم انّ لعليّعليه السلام منزلةً اخرى، وقد كان في اتّجاه ومسير آخر فذلك بفضل ما بذله علماؤنا من جهد خلال الف وثلاثمائة عام لتوضيح الفوارق بين عليّعليه السلام وغيره، وقد تولّى آباؤنا وامّهاتنا زرع نتائج تلك الجهود المباركة في أنفسنا منذ نعومة أظفارنا.

وامّا اذا قيل: عقد عدّة اشخاص اجتماعاً تقاسموا فيه الحكم والسلطة، فانّه لن يكون هناك فرق بينهم، وغاية ما يمكن قوله حينئذ انّ عليّاً أحسن منهم قليلاً.

وليس هذا اكتشافاً جديداً، وانّما الامام عليّعليه السلام كان يبدي اسفه من المقارنة بينه وبين معاوية فيقولعليه السلام:

«الدهر أنزلني ثمّ أنزلني حتّى يقال عليّ ومعاوية»[1].

وفي ذلك الزمان أيضاً كان بعض أصحاب النبيصلى الله عليه وآله وبعض من استظلّ براية عليّعليه السلام سنين عديدة وانتفع من مجلسه يقول: انّ لمعاوية بعض الوان الحسن، فله جود وكرم، وله تدبير جيّد يدير به البلد الاسلاميّ.

وهؤلاء الأشخاص كانوا اذا أغضبهم شيء من عليّعليه السلام فانّهم يلجأون الى معاوية. وحتّى بعض المقرّبين الى الامامعليه السلام كلّما كانت لهم طلبات لم يلبّها لهم الامام عليّعليه السلام فانّهم كانوا يقصدون معاوية. كانوا ينظرون الى هذين الاثنين على انّهما من طراز واحد غير انّهم كانوا يعتقدون بانّ علياًعليه السلام اكثر عدلاً وعبادة.

لو كان هذا الذي فرضناه قد وقع فعلاً فكيف كنّا ننظر ـ أنا وأنت ـ الى عليّعليه السلام؟

---

١. فرحة الغرى، ابن طاووس، ص ٧.

ولو كانت هذه رؤيتنا للاسلام ولعليّ عليه السلام، وكنّا ننظر الى هذا السلوك على انّه هو واجب الخليفة الاسلاميّ، ففي هذه الحالة ايّ اختلاف يبقى بين الخلافة الاسلاميّة والحكومات الدنيويّة امثال سلطنة كسرى وقيصر؟ هؤلاء كانوا يتعاملون بهذه الطريقة، وهي اذا واجهوا معارضاً لهم لا يستطيعون التخلّص منه فانّهم يجلسون معه على طاولة المفاوضات ويستسلمون لبعض طلباته ويتبادلون معه الابتسامات، كي يتجنّبوا الحروب وإراقة الدماء وأساليب العنف.

أليس الوضع بهذه الصورة في العالم كله؟

وعندئذ ايّ فرق بين حكومة عليّ عليه السلام وحكومة كلنتون أو غيره من الطغاة؟

اذا كنّا مطّلعين اليوم على حقيقة الاسلام ولدينا مذهب التشيّع فانّ ذلك من بركات هذا اللون من سلوك عليّ عليه السلام.

صحيح انّ عليّاً عليه السلام لم ينجح في إلحاق الهزيمة بمعاوية والقضاء عليه، لكنّه ترك لنا هذا الفكر والمنهج وأوضح لنا سياسة الاسلام. فالاسلام لا يسمح بالمساومة على الاصول والأُسس. من الممكن ان يُضحّى بالمصالح الشخصيّة في سبيل الاسلام، ومن الممكن التضحية بالمصالح الجزئيّة من أجل تحقيق المصالح الكليّة، لكنّ الأُسس والاصول لا يجوز المساس بها اطلاقاً حتى ولو بمقدار رأس الإبرة، بل لابدّ من المحافظة عليها.

لو لم يتصرّف عليّ عليه السلام كما تصرّف فمن أين نعرف ـ أنا وأنت ـ انّ للاسلام منهجاً خاصّاً للحكم وانّه لا يسمح للديمقراطيّة الغربيّة ان تحكم البلد الاسلاميّ؟ وكيف كنّا نعرف انّ الاسلام يلزمنا بتنفيذ أحكام الله؟

عندما بايع الناس عليّاً قالوا له نبايعك على سيرة الشيخين، ألم يكونا مسلمين؟ أما كانا خليفتين للنبي صلى الله عليه وآله؟ ألا يُعدّان أبوين لزوجتين من أزواج النبي صلى الله عليه وآله؟ ألم يبايعهما المسلمون؟ فالمطلوب منك أنت يا علي عليه السلام ان تسير بسيرتهما.

فأعلنها عليّ عليه السلام صريحة قائلاً: انّي ارفض هذا الشرط. وان اردتم البيعة لي فلابدّ ان تبايعوني على ان اعمل حسب كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله. لا علاقة لي بآراء الآخرين، وفي ايّ مورد يكون فيه حكم الله ثابتاً فانّي لا التفت حتّى الى آرائكم، ولو فرضنا أنّكم جميعاً عارضتم في تطبيق حكم الله فأنا اطبّقه ولا يهمّني شيء.

انّ مثل هذه السياسة لا تنسجم مع أُسس الديمقراطيّة. ولو لم يتصرّف عليّ عليه السلام كما تصرّف ما كان بامكاننا اليوم ان ندّعي بانّ للاسلام نظاماً خاصّاً للحكم، وله اصول وأُسس لابدّ من تنفيذها. وفي غير هذه الصورة يصبح الاسلام ديناً عائماً تابعاً للأذواق والقراءات المختلفة. فهناك قراءة للخليفة الأوّل، وقراءة اخرى للخليفة الثاني، وقراءة ثالثة هي لعليّ عليه السلام. ما هو الفرق بين القراءات المختلفة؟ وانّى لنا ان ندّعي بأنّ قراءة عليّ عليه السلام هي الصحيحة، بينما القراءات الاخرى غير صحيحة اذا اصطدمت بقراءة عليّ عليه السلام؟ وعلى ايّ أساس كان من الممكن ان نقول انّ لدينا قراءةً للاسلام تنتسب الى المعصوم عليه السلام ويجب على الجميع ان يخضعوا لها؟

وحسب ايّ معيار كان يمكننا القول انّ الوقوف في مقابل رأي المعصوم هو تطفّل مرفوض؟

لو كان عليّ عليه السلام قد سار بالسيرة التي يريدونها لقالوا: أرأيتم كيف سار الخليفة الاول بسيرة، والخليفة الثاني بسيرة، وعليّ عليه السلام بسيرة؟ لقد كان مثل الآخرين. وعندئذ كيف نشخّص انّ رأيه كان أفضل من آراء الآخرين؟ انّ الخلفاء السابقين ارسلوا معاوية الى الشام من أجل مصالحهم ولكي لا يزاحمهم. فلو كان عليّ عليه السلام قد اقرّهم على هذا الفعل فأيّ فرق بينه وبينهم؟ وعلى أيّ معيار كنّا نشخّص انّ سيرة واحدة من مجموع هذه السير كانت على أساس رأي المعصوم، وأمّا البقيّة فقد كانت مبنيّة على رأي غير المعصوم؟ أنّى لنا حينئذ ان نلتفت الى انّ مورداً واحداً منها هو الصحيح، وأمّا الباقي فقد كان خطأً؟

حتّى انّه يمكن ادّعاء عكس ذلك فيقال: اذا كان من حقّنا ان نحكم، آخذين بالاعتبار هذه المعايير فلابدّ ان نقول ان رأي الخلفاء الذين سبقوا عليّاًعليه السلام كان هو الأصح! لانّه حسب ما اتّخذوه من تدبير لم تجر إراقة دماء في الشام والعراق، ألم يقل القرآن الكريم: «**وَ الصُّلْحُ خَـيْرٌ**»؟ اذن بما انّ الاسلام هو دين الرأفة والرحمة والصلح والسلام وتبادل الابتسامات، وقد سار عليّعليه السلام بسيرة مخالفة لهذا الجّو حيث حارب أصحاب الجمل وصفّين والنهروان، فعليّعليه السلام هو المخطئ! قضى اربع سنوات وتسعة اشهر ـ هي كل فترة خلافته ـ في حروب مستمرّة، اذن قراءة عليّعليه السلام لم تكن صحيحة!

لكنّ عليّاًعليه السلام ما كان يهدف الى ان يقدّم منهجاً لزمانه فحسب، وانّما كان يهدف الى ان يقدّم منهج الحكومة الاسلاميّة الى الناس في جميع العصور الى يوم القيامة. فالاسلام يهدف الى العدالة، فان أمكن تحقيق العدالة بهدوء وعن طريق الصلح والسلام فانّه لا يجوز ان تراق حتى قطرة دم واحدة ولا يصحّ توجيه ابسط اهانة الى ايّ انسان. فعليّعليه السلام هو نفس ذلك الشخص الذي عندما سمع انّ خلخالاً انتزع من رِجل امرأة يهودية قال: «فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا اسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً»[١].

لم يكن عليّعليه السلام على استعداد لان يُنتزع خلخال من رِجل امرأة يهوديّة، فهل من المعقول ان يقوم هذا الشخص بذبح سبعين الفاً من الناس من دون مبرّر؟!!

لو كنّا ـ أنا وأنت ـ نفكّر بالطريقة العصريّة ماذا كنّا نقول عن عليّعليه السلام؟

أما كنّا نقول انّه عنيف، قاسي القلب، ليس له رؤية سياسيّة، ونصفه بأوصاف من هذا القبيل؟

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.



واقول لنفسي: توقّف ولا تندفع في الجرأة.

لكنّ عليّاًعليه السلام لم يكن ينظر الى زمانه فحسب، ولم يكن يفكّر في حكومته فقط، بل كان لابدّ ان يقدّم نموذجاً للحكومة الاسلاميّة، حتّى يستطيع ايّ انسان ان يتأسّى به في اقامة الحكومة الاسلاميّة الى يوم القيامة.

عندما كان الامام الخمينيقدس سره مقيماً في باريس قصده المراسلون الصحفيون من كل أرجاء العالم وسألوه: اذا انتصرتم على الشاه فما هي نوعيّة الحكومة التي سوف تتولّى زمام الامور في ايران؟ فأجاب الامام قائلاً: «حكومة عليّعليه السلام، انّ مثالنا وقدوتنا هي حكومة عليّعليه السلام»[١].

وبعد انتصار الثورة صرّح الامام نفسه قائلاً: مع كلّ الوان المشقّة التي تحمّلناها فانّنا الآن نشمّ رائحة من الاسلام فقط، أمّا الحكومة المثاليّة فهي الحكومة التي حققّها عليّعليه السلام، ونحن نتحرّك في هذا الاتّجاه بالمقدار الذي تسمح به الظروف ويعيننا الناس عليه، انّ هدفنا هو تلك الحكومة، ونحبّ ان نكون بهذه الصورة.

لم يقلرحمه الله انّ قدوتنا هي الديمقراطيّة الاوربيّة او الامريكيّة. لم يقل ايضاً انّ اسوتنا هي حكومة الخليفة الاول او الخليفة الثاني او غيرهما، وانّما قالقدس سره انّ قدوتنا هي حكومة عليّعليه السلام.

لم يكتف عليّعليه السلام بتعريف الحكومة الاسلاميّة بأقواله البليغة، وانّما قام بتعريفها عمليّاً من خلال برنامج حكومته التي استمرت خمس سنوات تقريباً.

أمّا معاوية فقد استغلّ نقاط الضعف الموجودة في المجتمع الاسلاميّ آنذاك ـوقد أشرنا اليها فيما سبقـ وقد بذل غاية جهده ليغيّر طريقة التفكير هذه وليحلّ محلّها طريقة اخرى للتفكير. حاول ان يجري للناس عمليّة غسيل للدماغ، ثم

---

١. صحيفهٔ نور، ج ٢، ص ٤٧، باللغة الفارسيّة.

يطرح لهم منهجاً آخر. وعلى هذا الأساس نشّط سياسته المذكورة، فاستغفل الشخصيّات الكبيرة ورؤساء القبائل بالتطميع، فقد بذل لهم وجاد عليهم حتى اشترى ضمائرهم. وكثير من الناس كان تابعاً للرؤساء، ففي ايّ اتّجاه يتحرّك رئيس القبيلة فانهم يقتفون أثره. وقد سيطر على الآخرين من خلال استعمال سياسة التهديد وإثارة الرعب.

انّ معاوية خلال عشرين عاماً من حكومته لم يترك وسيلة إلّا استغلّها، فمن ناحية استخدم البذل والجود، ومن ناحية اخرى لجأ الى الرعب والاغتيال وسياسة القتل وإراقة الدماء بلا حدّ ولا حصر، والاعتداء على أعراض الناس، أمثال بسر بن ارطاة وسمرة بن جندب، كان يرسلهما ليتصرّفا بشكل بحيث لا يجرؤ احد على القيام بأي اعتراض. ولم يبق في العالم الاسلاميّ سوى افراد معدودين ولاسيّما في العراق والحجاز يُطلق عليهم اسم «حواريّي عليّ عليه السلام»، وأمّا سائر الناس فقد استولى عليهم الرعب من سياسة معاوية. فاولئك الحواريّون كانوا محترمين عند الناس، وحتّى الضعفاء واهل الدنيا كانوا يكنّون الحبّ لتلك الشخصيّات من أجل منزلتهم الرفيعة. ونحن ايضاً نعيش نفس هذه الحالة بشكل أو بآخر، يعني انّنا قد نرتكب بعض الذنوب، لكنّنا نشعر بالمحبّة والتقدير للأشخاص ذوي التقوى والتدين. مثلاً قد لا نراعي الاحتياط في الأموال لكن اذا صادفنا شخصاً نزيهاً يدقّق في موضوع الانفاق من بيت المال فانّنا نحبّه ونجلّه. فقد لا نتمتّع بهذه الهمّة العالية لكنّنا اذا رأينا الطيّبين فانّنا نشعر بالسعادة.

وعلى كلّ حال فقد كان في ذلك الزمان اشخاص عرفوا باسم حواريّي علي عليه السلام، وقد سار التاريخ على تسميتهم بهذا الاسم. وكان من جملتهم مالك الأشتر الذي ارسله عليّ عليه السلام والياً على مصر ثمّ قتل، وكذا محمد بن ابي بكر، وعدد آخر من الأشخاص الذين كانوا يتمتّعون بالمنزلة الاجتماعيّة بالاضافة الى منزلتهم المعنويّة،

نالوا النصيب الأوفر من الزهد والتقوى، واطّلعوا على علوم البلايا والمنايا، وكانوا يخبرون أحياناً عن الغيب. فبعض أصحاب عليّ عليه السلام كانت لديه أنباء عن استشهاده واستشهاد آخرين. ومن بينهم أربعة اشخاص كانوا هم الأبرز: حُجْر بن عدي وعمرو بن الحَمِق الخزاعي ورُشيد الهَجَري وميثم التمّار، فهؤلاء الأربعة لم يكن من الممكن تطميعهم بأي شكل من الأشكال. وكلّما حاول معاوية ان يخدعهم باظهار الاحترام لهم والتمجيد بهم لكي يستميلهم نحوه فانّهم لم يبدوا أيّ استجابة له. انّ هؤلاء الكرام كانوا يعرفون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله معرفة حقيقيّة ويعشقون عليّاً عليه السلام عشقاً الهيّاً، وقد وقفوا حياتهم لبيان فضائل عليّ عليه السلام ومناقبه. وقد كان معاوية متحيّراً بشأنهم، لكنه قرّر بالتالي ان يقتلهم: حُجر بن عدي من ناحية، وعمرو بن الحَمِق الخزاعي من ناحية اخرى. ثم ارسل رأس عمرو بن الحَمِق الخزاعي الى زوجه. وقد كتبت هذه المرأة العظيمة جواباً ارسلته الى معاوية، وقد أغضبه جوابها الى الحدّ الذي أمر باخراج تلك السيّدة الكريمة من البلد الإسلاميّ.

وفي أحد الأيام جاء عمرو بن الحمق الى الامام اميرالمؤمنين عليه السلام وقال له: والله يا أميرالمؤمنين اني ما اجبتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ولا ارادة مال تؤتينيه ولا ارادة سلطان ترفع به ذكري، ولكنّي اجبتك بخصال خمس: انك ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوّل من آمن به، وزوج سيدة نساء الامّة فاطمة بنت محمد، ووصيّه، وابو الذريّة التي بقيت فينا من رسول الله، واسبق الناس الى الاسلام، وأعظم المهاجرين سهماً في الجهاد. فلو انّي كلّفت نقل الجبال الرواسي ونزح البحور الطوامي حتى يأتي على يومي في أمر أُقوّي به وليّك وأُهين به عدوك ما رأيت اني قد أدّيت فيه كلّ الّذي يحقّ علي من حقّك. فقال عليّ عليه السلام: اللهم نوّر قلبه بالتقى،

واهده الى صراطك المستقيم، ليت أنّ في جندي مائةً مثلك!!»[١].

لا نصادف مثل هذه الزهور العطرة وعلى هذا المستوى من الإيمان إلّا بأعداد ضئيلة.

وقد قام معاوية بقتل هذين الرجلين الكريمين، اي حجر بن عدي وعمرو بن الحمق، بكل قسوة، متحمّلاً كلَّ النتائج المترتّبة على ذلك الفعل الدنيء.

انّ قتل مثل هؤلاء كان يكلّفه غالياً، لانّه لا يحبّ ان يكون سيّئ السمعة بين المسلمين، ولكنّه كان يعتقد انّه لا مفرّ من ذلك. فعندما وجد انّ هذين لا يستسلمان بأيّ شكل من الاشكال، ولا يمكن ترويضهما ولا تطميعهما فقد أمر بقتلهما. وبقي شخصان آخران من حواريّي عليّ عليه السلام وهما رُشيد الهجري وميثم التمّار.

وعندما مات معاوية في الشام فقد اخبر ميثم التمّار اصحابه قائلاً: لقد هبّت عاصفة وأظنّ أنّ معاوية قد مات في الشام. والذين كانوا يعرفون ميثم التمّار جيداً علموا انّه لا يتكلم من دون علم.

وبعد فترة قصيرة اصبح عبيد الله بن زياد والياً على الكوفة وحدثت القصّة المعروفة مع ميثم. فقد كان ميثم منهمكاً في نشر فضائل عليّ عليه السلام وهو يدعو الناس الى اتّباع اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله. وكلّما حاول عبيد الله ان يروّض ميثم التمّار فانّه لم ينجح في ذلك. وفي الأيّام التي سبقت دخول الامام الحسين بن علي عليه السلام الى العراق ـ اي في نفس الوقت الذي كان فيه مسلم بن عقيل في الكوفة وعبيد الله بن زياد يطارده ليقتله ـ نقل انه: «مرّ ميثم التمّار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسديّ عند مجلس بني اسد فتحدّثا حتى اختلفت اعناق فرسيهما. ثمّ قال حبيب: لكأنّي بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب في حبّ اهل بيت نبيه عليه السلام ويبقر بطنه على الخشبة. فقال ميثم: واني لأعرف رجلاً أحمر له

---

١. بحار الانوار، ج ٣٢، ص ٣٩٩، الباب ١١، الرواية ٣٧١.

ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه ويُقتل ويُجال برأسه بالكوفة. ثمّ افترقا.

فقال اهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذبَ من هذين.

قال: فلم يفترق اهل المجلس حتى أقبل رُشيد الهجري فطلبهما فسأل اهل المجلس عنهما فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رشيد: رحم الله ميثماً نسي: «ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم»! ثمّ ادبر. فقال القوم: هذا والله أكذبهم. فقال القوم: والله ما ذهبت الأيّام والليالي حتّى رأيناه مصلوباً على دار عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر وقد قتل مع الحسين ورأينا كلّ ما قالوا»[1].

هكذا ربّى عليّ عليه السلام مثل هؤلاء الأبطال. وبالتالي قتل عبيد الله بن زياد ميثم التمار ورشيد الهجري، لماذا؟ لأنهما ما كانا مستعدَّين للاستسلام لمطالبه غير المشروعة.

وقد نقل احد الرواة قال: «سمعت ميثماً النهرواني يقول: دعاني اميرالمؤمنين صلوات الله عليه وقال: كيف أنت يا ميثم اذا دعاك دعيّ بني اميّة عبيد الله بن زياد الى البراءة منّي؟ فقال: يا اميرالمؤمنين! انا والله لا ابرأ منك. قال: اذن والله يقتلك ويصلبك، قلت: اصبر فذاك في الله قليل. فقال: يا ميثم اذاً تكون معي في درجتي»[2].

وأنتهز هذه الفرصة لأُوجّه كلمة عتاب لأصدقائي علماء الدين تتلخّص في انّنا عندما ندرس ونحقّق في المسائل المتعلّقة بموضوع «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» نقول انّه واجب ما لم يشكّل خطراً على الروح، فاذا كان فيه خطر على روح الانسان فانّ التكليف ساقط.

واحبّ أن اتساءل: هل انّ ميثم التمّار لم يكن يعلم بانّه اذا تعرّض روحه للخطر فانّ حفظ الروح واجب ولابدّ حينئذ من استعمال التقيّة؟ أليس من الواجب ان يحافظ الانسان على روحه؟

---

١. بحار الانوار، ج ٤٥، ص ٩٢، الباب ٣٧، الرواية ٣٣.

٢. بحار الانوار، ج ٤٢، ص ١٣٠، الباب ١٢٢، الرواية ١٣؛ ج ٧٥، ص ٤٣٣، الباب ٨٧، الرواية ٩٥.

وهذا السؤال وارد في مجال حجر بن عدي ورشيد الهجري وعمرو بن الحمق ثمّ في مجال سعيد بن جبير وغير هؤلاء من كبار الصحابة.

يروى ان الحجّاج بن يوسف الثقفي ارسل إلى سعيد بن جبير فأحضر عنده، فطلب منه البراءة من عليّ عليه السلام فرفض ذلك بشكل حاسم. فقطعوا لسانه وهدّدوه بالموت فلم يتبرأ من ولاية عليّ عليه السلام فقتل رضوان الله عليه.

وروي ايضاً عن قنوا بنت رُشيد الهجري، قالت: سمعت ابي يقول: أخبرني أميرالمؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا رشيد كيف صبرك اذا أرسل اليك دعيّ بني اميّة فقطع يديك ورجليك ولسانك؟ قلت: يا أميرالمؤمنين آخر ذلك الى الجنّة؟ فقال: يا رشيد انت معي في الدنيا والآخرة. قالت: والله ما ذهبت الايام حتّى أرسل اليه عبيد الله بن زياد الدعي فدعاه الى البراءة من أميرالمؤمنين عليه السلام فأبى ان يتبرأ منه. وقال له الدعي: فبأيّ ميتة قال لك تموت؟ فقال له: اخبرني خليلي أنّك تدعوني الى البراءة فلا ابرأ منه، فتقدّمني فتقطع يديّ ورجليّ ولساني، فقال: والله لأُكذبنّ قوله. قال: فقدّموه فقطعوا يديه ورجليه وتركوا لسانه، فحملت اطرافه يديه ورجليه. فقلت: يا ابت هل تجد الماً لما أصابك؟ فقال: لا يا بنيّة إلّا كالزحام بين الناس. فلمّا احتملناه واخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله، فقال: ائتوني بصحيفة ودواة اكتب لكم ما يكون الى يوم القيامة فأرسل اليه الحجّام حتى قطع لسانه فمات رحمه الله في ليلته»[1].

ولديّ كلمة عتاب مع اخوتي علماء الدين وهي اننا لابدّ ان نحقّق اكثر في هذه المجالات، حتّى نستطيع القول في ايّ مورد وفي ايّ زمان تجوز البراءة من الامام المعصوم عليه السلام تحت عنوان التقيّة؟

وفي ايّ مجال يجوز ارتكاب بعض المحرّمات من أجل التقيّة، وما هي تلك

---

١. بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٤٣٣، الباب ٨٧، الرواية ٩٥.

المحرمات؟ هل هناك موارد لا تستطيع التقيّة ان تحول دون اداء الواجب الشرعي ام لا؟ اذا كانت فما هي تلك الموارد؟

وبالتالي نحن نلاحظ وجود شخصيّات عظيمة تتمتّع بدرجة عالية من التقوى بحيث تأتي بعد درجة المعصومعليه‌السلام ولديها علم البلايا والمنايا، ولكنّها ما كانت مستعدّة للتبرّي من عليّعليه‌السلام للمحافظة على أرواحهم، لماذا ولأيّ سبب كان ذلك؟ ألم يكن من الأفضل ان يبقى هؤلاء احياء، ليطول الزمان الذي ينفقونه في تعليم الناس الحقّ والمعارف الأصيلة؟ ثمّ أليس بقتلهم تُسلب منهم امكانيّة القيام بواجب التعليم؟ وعلى أقلّ تقدير كان من المناسب ان يستعملوا التقيّة، فلماذا لم يلجأ هؤلاء الكرام الى التقيّة؟ ما هو مبرّرهم الشرعي؟ أما كان لديهم علم بموضوع التقيّة؟ وعندما كان عليّعليه‌السلام يخبرهم بمستقبلهم لماذا لم يأمرهم بالتبرّي منه عندما يُطلب منهم ذلك حفاظاً على ارواحهم؟

يؤسفني أن أقول انّنا لم نحقّق في هذه الامور إلّا قليلاً، ولعلّ أفضل شخص قام بالمهمّة في هذا المضمار هو الامام الخمينيقدس‌سره، حيث انّ اوّل فتوى صريحة له كانت هي: التقيّة في مجال الامور المهمّة حرام ولو بلغ الامر ما بلغ[١].

أمّا الآخرون فانّهم لم يصدروا مثل هذه الفتوى، لانّهم لم يقوموا بالتحقيق مثله، أو انّهم ما كانوا يملكون الجرأة على اصدار مثل هذه الفتوى. امّا الامام الخمينيقدس‌سره فقد كان يتمتّع بالشهامة وقد قام بهذا التحقيق، ولهذا أعلنها صريحة بقوله: لابدّ من اقامة النظام الاسلاميّ، حتّى لو تعرّضت ارواحكم للخطر، وحتّى لو قتل في سبيل ذلك مئات بل آلاف الأشخاص. لابدّ من القضاء على الأشخاص المتصدّين لمحو الاسلام، عقائد الاسلام وقيمه، والتقيّة في هذا المجال حرام، وان بلغت النتائج ما بلغت.

---

١. صحيفهٔ نور، ج ١، ص ٣٩، ج ٧، ص ٣٦، باللغة الفارسية.

هذه هي فتوى الامام‌ﷺ، أمّا نحن تلامذته ـ اذا كنّا أهلاً لنُعدّ من تلامذته ـ فقد قصّرنا ولم نواصل الطريق الذي بدأه.

لابدّ ان نبيّن بشكل سليم الأُسس الفقهيّة لهذه المسألة حتّى يتّضح تماماً في ايّ مورد يجوز استعمال التقيّة وفي ايّ مورد يجب، وهل هناك موارد يكون استعمال التقيّة فيها جائزاً لكنّ ترك استعمالها أرجح؟

انّ مثل هذه الأسئلة مطروح للبحث، ولكنّي أرجو ان يتّسع مجال مثل هذه البحوث وان تكون هذه المعارف الجليلة في متناول أيدي جميع الناس. أليست هذه الأحكام جزءاً من الدين؟ ألسنا في هذا العصر بحاجة ماسّة الى هذه الأحكام؟ هل لدينا اطمئنان بأنّا سوف لن نحتاج الى هذه الأحكام؟ اذا لم نقم ببيان وشرح هذه الأحكام بالشكل الصحيح فسوف يقوم الشياطين بطرح موضوع التساهل والتسامح ثمّ ينسبونه الى الاسلام، وبهذا يسلبون من المسلمين غيرتهم، ويثيرون في أنفس المسلمين الشكّ والشبهة بانّ النظام اذا كان يطلق عليه اسم النظام الاسلاميّ فلابدّ من التسليم لكلّ شيء يحدث في ظلّه.

عندما كان عليّ‌عليه‌السلام على رأس السلطة فانّه اذا اخطأ الوالي جاء الناس الى الامام‌عليه‌السلام يشكونه. ولعلّكم سمعتم بهذه القصة فقد روي: «أنّ سودة بنت عمارة الحمدانيّة قالت: جئت الى اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب في رجل قد ولاّه صدقاتنا فجار علينا، فصادفته قائماً يصلي، فلما رآني انفتل من صلاته ثمّ اقبل عليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطّف، وقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال: اللهمّ أنت الشاهد عليّ وعليهم، وانّي لم آمرهم بظلم خلقك، ثمّ أخرج قطعة جلد فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين، فاذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتّى



يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام. ثم دفع الرقعة الي... فجئت بالرقعة الى صاحبه فانصرف عنّا معزولاً»[١].

انّ اولئك الناس ما قالوا: لمّا كانت حكومة عليّ عليه السلام حكومة اسلاميّة اذن لابدّ من قبول كل جزئيّاتها.

ومن الذي يقول انّ المسؤول الذي يعمل رسميّاً ضد الاسلام، وهو المسؤول الذي يقول فيه قائد الثورة الاسلامية: انه لم يعمل شيئاً واحداً لصالح الاسلام، وبعض اعماله هي ضدّ الاسلام مائة بالمائة ـ وقد سمعت بأُذني هذا القول من لسان قائد الثورة ـ من الذي يقول انه لا يحقّ لنا الاعتراض على مثل هذا الشخص لانّه مسؤول في الحكومة الاسلامية؟ اذن لماذا شُرّع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ لماذا نبقى صامتين ونحن نلاحظهم يلعبون بالاسلام؟

ويزعمون انّهم تابعون لأفكار الناس. وحتّى لو فرضنا ان هذا الأساس صحيح ـ وهو غير صحيح قطعاً ـ أليس المعترضون جزءاً من الناس؟

كيف يحقّ لمجموعة قليلة من الشباب والفتيات ان ينزلوا الى الشارع ويرقصوا ويتبادلوا القبلات، ولكنّ الناس المؤمنين لا يحقّ لهم ان يعترضوا وان يبدوا مخالفتهم لهؤلاء؟ هل في هذه الحالة يحدث ما يهدّد استتباب الأمن؟ أليس من واجب مسؤولي الجمهوريّة الاسلاميّة ان ينهضوا بالدفاع عن الدستور الرسميّ للبلد؟

ألم ترد مادّة في القانون تنصّ على انّ المطبوعات لا يحقّ لها ان تكتب شيئاً مخالفاً لأُسس الاسلام والأخلاق العامّة؟[٢].

ألم ينشر في مطبوعاتنا ـ خلال هذه السنين الأخيرة ـ امور مخالفة لأُسس

---

١. بحار الانوار، ج ٤١، ص ١١٩، الباب ١٠٧، الرواية ٢٧.

٢. قانون المطبوعات، الفصل الرابع، المادة السادسة، باللغة الفارسيّة.

الاسلام؟ انّ الذي أقسم على الدفاع عن القانون لماذا لم يتحدّث بشيء؟ أيصحّ الاكتفاء بهذه الذريعة وهي انّ القانون قد أعطى الحريّة للمطبوعات؟ هل انّ القانون قد أعطى المطبوعات الحريّة المطلقة؟ في نفس هذا القانون نلاحظ وجود هذا القيد وهو انّ المطبوعات لا يحقّ لها ان تكتب شيئاً مخالفاً لأُسس الاسلام والأخلاق العامّة. وفي غير هذه الصورة لابدّ من الخضوع لقانون العقوبات. انّ القانون الصادر من شورى الثورة الثقافيّة يعتبر وزير الارشاد هو المسؤول عن جميع المطبوعات وألوان النشاطات الثقافيّة[١].

فلماذا إذنْ لا تُراقب مثل هذه النشاطات؟ وليت الأمر يقتصر على عدم المراقبة، لماذا يعطون الضوء الأخضر للمطبوعات المنحرفة؟ لماذا يضعون تحت تصرّف أصحابها التسهيلات والامكانيّات؟ أمن أجل ان يتجرّؤا صراحة على مقدّسات الاسلام وعلى شخصيّة سيد الشهداء عليه السلام؟ هكذا تكون الحكومة الاسلامية؟

اذا كان قائدنا ـ وهو نور عيوننا ونفديه بأرواحنا ـ هو الوليّ الفقيه فانّ ذلك لا يعني انّ جميع الامور صالحة وانّ جميع التصرّفات هي مورد تأييدنا. في كلّ مورد يثبت فيه التخلف لابدّ من الاعتراض.

اذا كانت مسألة مخالفة لفكر الجناح الحاكم ممّن يسمّون انفسهم بالإصلاحيين ـ لابدّ من بيان ماهيّة هذا الإصلاح، وهل يمكن بالتسمية ان يتحوّل «الافساد» الى «اصلاح»؟ يقول تعالى: (**وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لٰكِنْ لا يَشْعُرُونَ**)[٢].

ـ اذا لم ينسجم موضوع مع ذوق هؤلاء فانّهم يدفعون الى الشوارع عدداً قليلاً

---

١. قانون اهداف وواجبات وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ـ المادة الثانية.

٢. سورة البقرة، الآيتان ١١ ـ ١٢.

من المتحلّلين ليقوموا بالمظاهرات، ولا نجد احداً يقف في وجوههم، ويدّعون انّهم تابعون لرغبة الناس، ولرغبة الشباب بالذات. أليس الناس والشباب هم الذين يملأون هذه المجالس الحسينيّة؟ انّ ثمانين بالمائة من الناس الحاضرين في مثل هذه المجالس هم من الشباب. ليس المهمّ ان تتعالى الأصوات بشعارات تدافع عن الشباب، بل المهمّ ان نتساءل: ماذا قدّمتم لهؤلاء الشباب؟ انّ هؤلاء الشباب يريدون الدين ويحبّون الحسينعليه السلام.

فاذا كان المدّعون للاصلاحات صادقين ومخلصين في دفاعهم عن الدستور وعن الديمقراطيّة فلينظروا ماذا يريد هؤلاء الناس ثمّ ليعملوا بذلك. ألم يزعموا انّهم يعملون حسب ما يريد الناس؟ أليس هؤلاء الحاضرون في المجالس الدينيّة من الناس؟ ام ان مفهوم الناس لا ينطبق إلّا على عدد قليل من الشباب الواقعين تحت تأثير الدعايات الأمريكيّة والذين قد أفسدت اخلاقَهم افلامُ الفيديو المنحطّة؟ هل واجبنا فقط هو ان نبتسم لهؤلاء ونرسل اليهم القبلات؟ وما هو الموقف من الشباب المتديّن الملتزم؟ أليس هؤلاء من الناس؟ وحسب الدستور ألا ينبغي الالتفات الى مشاكلهم وتلبية طلباتهم؟ ألا يصرّح القانون انه لابدّ من الحيلولة دون المفاسد والتجاوز على احكام الاسلام والقيم الاسلاميّة؟

ان كنتم صادقين فلماذا لا تولون اهتماماً بهذا الجانب؟

ولماذا لا ترى أعينكم إلّا الطرف المقابل لهم؟

استمعوا قليلاً الى هؤلاء الشباب المؤمنين ايضاً.

قبل فترة قصيرة قام الناس باعتراض شديد على مضامين بعض الصحف ـ ولم أكن أنا موجوداً في داخل البلد ولكنّي سمعت بذلك الأمر ـ وقاموا بتحصّن عجيب، وقد ساهم في هذه الاعتراضات مجموعة من العلماء الكبار، من جملتهم آية الله المشكيني، وآية الله جوادي آملي، وآية الله النوري.

أمّا المسؤولون فلم يفعلوا ايّ شيء ازاء هذا التحصّن وقد مرّ عليه عدّة شهور.

أليس مراجع التقليد من جملة الناس؟ ألا يجب الاهتمام بأقوالهم؟

وبالتالي يقول البعض انّ هذا التحصّن غير قانوني!

وبعض المحافظين قال انّ المظاهرات التي اقيمت لدعم القيادة العليا للثورة هي مظاهرات غير قانونيّة!

على أساس ايّ قانون تكون هذه الأحكام؟

انّ عشرة من المحافظين لم يعطوا الرخصة باقامة هذه المظاهرات[١].

لكن هل اهتمّ الناس بهذه المواقف؟

انّ الناس يعتزّون بدينهم، واذا شعروا بانّ دينهم يتعرّض للخطر فانّهم لا يلتفتون الى هذه الامور، ولا ينبغي أيضاً أن يلتفتوا اليها.

نعم اذا أمر قائد الثورة الاسلاميّة بشيء فانّ امره مطاع ونضعه على رؤوسنا، كما كنّا نفعل مع أوامر الامام الخميني﴿. واذا نهى عن شيء فلابدّ من الانتهاء عنه.

لكنّ القائد المكرّم لم يقل: لا تبدوا مواقفكم ولا تعترضوا ولا تنقدوا.

لو أنّ امّتنا قد وجّهت نقدها بصورة قانونيّة هادئة لهذه الهجمة الثقافيّة العارمة لم يصل وضعنا الثقافيّ الى ما وصل اليه. لكنّه مع الأسف استُغفل الناس وخُدّروا، لقد صوّروا للناس انه لمّا كان النظام اسلاميّاً فلابدّ من الطاعة في جميع الموارد!

إلّا انّ هذه مغالطة لابدّ من التنبيه عليها، فمجرّد كون النظام اسلاميّاً لا يوجب الطاعة لكل مسؤول فيه ولا يحرّم الاعتراض عليه. فاذا لاحظنا تخلّفاً من أحد فلابدّ من الاعتراض عليه ولابدّ ان نصرخ في وجهه ليعرف العالم انّنا جزء من هذه الأُمّة. انّ الاذاعات وقنوات التلفزيون الأجنبيّة تصوّر الشؤون الايرانيّة وكأنّ الناس في

---

١. صحيفه كيهان ١٣٧٨/٤/٢٤ هـ.ش، باللغة الفارسية.

ايران ـ غير فئة قليلة ـ متحلّلون من القيم، متأثّرون بالغرب، هاربون من الاسلام.

لابدّ ان نثبت للعالم انّنا نحن الأُمّة الحيّة، وأمّا الآخرون فليسوا سوى خلايا سرطانيّة وغدد مَرَضيّة. انّ الذين صنعوا هذه الثورة الاسلامية المباركة وتحمّلوا أثقالها هم هؤلاء الناس المؤمنون. هم الذين انضووا تحت راية الحسينعليه السلام وثاروا حسب معاييره وقدّموا الشهداء لإحياء احكام الاسلام. فكيف يمكن الآن ان يعيشوا مستقرّين مطمئنّين وهم يرون احكام الاسلام يُتلاعب بها بأسوء الأشكال؟ هل هذا هو الدين؟ وهل هذا هو سبيل الله؟ وهل هو طريق الامام الحسينعليه السلام؟ هل الدستور الرسميّ للبلد يقول بذلك؟ هل مراجعنا يقرّون هذه الامور؟ ايّ دين يرضى بهذا؟ ايّ ديمقراطيّة تسمح بهذا؟

انّ الطرف المقابل ينظر الى قوانين حقوق الانسان على أساس انها إنجيله، وينظر الى الدستور على اساس انّه قرآنه، فليكن ذلك كما تقولون، فنحن نطالبكم بالعمل حسب هذا الدستور وحسب تلك الديمقراطيّة. انّ اكثر من تسعين بالمائة من الشعب الايرانيّ يريد تطبيق الأحكام الاسلاميّة، فلا تخدعوا انفسكم. واللهِ العظيم انّ سكوت هؤلاء الناس ناشئ من طيبتهم ومن تصوّرهم انّ قائد الثورة الاسلاميّة لا يرضى بالاعتراض.

في يوم مّا كانت لي محاضرة في احدى مدن خراسان، وبعد الفراغ من المحاضرة اصرّت سيدة على مقابلتي ولمّا حضرت قالت: لديّ موضوع احبّ آن نوصله للسيد القائد. فقلت: سوف افعل ذلك ان شاء الله اذا تهيّأت الظروف. قالت: أخبر السيد القائد بانّه والله العظيم لولا الاحترام لشخصك الكريم لارتدينا ـ نحن السيدات ـ الأكفان واوقفنا فلانا وفلانا و... عند حدّهم، والذي يحول بيننا وبين هذا التصرّف هو احتمال انّك غير راض عنه.

انّ امّتنا اختارت السكوت عن بعض التصرّفات احتراماً للقيادة وحفاظاً على

الأمن والاستقرار، وإلّا فانّ الناس لا يوافقون اطلاقاً على أن يموت الاسلام في هذا البلد. وأنا اوصي اخوتي الاعزّاء واخواتي الكريمات ان يوصلوا اعتراضاتهم ـبطريقة قانونيّة منطقيّة ـ الى أسماع المسؤولين، وليقولوا بوضوح انّنا لا نريد هذه الامور. وهذه الطريقة في الاعتراض ليست جريمة ولا ارهاباً ولا اثارة للشغب. فهل هناك من يعدّ مجرّد المخالفة لسلوك معيّن او سياسة خاصّة او لمسؤول بعينه عملاً ارهابيّاً او استعمالاً للعنف؟

اذا كان من يقول بذلك من المسلمين فكيف يفسّر سلوك عليعليه السلام أو حتّى سيرة النبي الأكرمصلى الله عليه وآله نفسه؟

ينقل التاريخ انّ النبيّصلى الله عليه وآله قام بسبعين غزوة خلال عشر سنوات بعد هجرته المباركة، وان عليّاًعليه السلام قام بثلاثة حروب كبيرة خلال فترة حكمه التي لم تكمل خمس سنوات، وقد ذهب ضحيّة هذه الحروب ما يناهز مائة الف قتيل من المسلمين. فكيف يمكن تفسير مثل هذه الموارد؟

نعم اذا ساد في المجتمع منطق التساهل والتسامح فان مثل هذه التصوّرات تخطر على اذهان الشباب، ثم يأتي الجبناء الذين لا دين لهم ليقولوا ان الخمينيّ لابد ان يوضع في متحف التاريخ، فقد ذهب الاسلام، انّها مشكلة الاسلام، انه لا يستطيع ان ينسجم مع الديمقراطيّة[١].

---

١. صحيفة كيهان، العدد المؤرخ ١٣٧٩/٢/٢٤ هش، وهو تقرير عن اللقاء الصحفي الذي اجراه اكبر گنجي مع الصحيفة الالمانيّة تاكس اشبيگل.

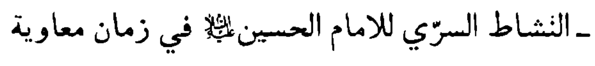
الأرضيّة لنهضة عاشوراء (٣)

ـ أساليب استخدام معاوية لعوامل الانحراف في المجتمع

المرحلة الاولى: قبل خلافة عليّ عليه السلام

المرحلة الثانية: أثناء فترة خلافة اميرالمؤمنين عليه السلام

المرحلة الثالثة: بعد استشهاد الامام عليّ عليه السلام



ـ النشاط السرّي للامام الحسين عليه السلام في زمان معاوية

المقدمة:

طرحنا سؤالاً في الفصلين السابقين وقلنا انّ الجواب عليه يحتاج الىٰ مقدّمة توضيحيّة، وتحدّثنا في هذا المجال بما تيسّر خلال الفصلين الماضيين، ونحاول ـ بعون الله ـ ان نكمل الجواب في هذا الفصل.

كان السؤال هو: لماذا انقلب المسلمون، وحتّىٰ الذين عاشروا اميرالمؤمنين عليه السلام وانتفعوا من تعاليمه، بل وحتّىٰ الذين وجّهوا الدعوة للامام الحسين عليه السلام لكي يتصدّىٰ لولاية الأمر والحكومة الاسلاميّة ـ انقلبوا بعد فترة قصيرة وسلّوا سيوفهم في وجه الامام الحسين عليه السلام وذبحوه بذلك الوضع الفاجع وتلك المصائب العظيمة؟

لو أنّنا لم نسمع هذه القصّة مرّات عديدة في كلّ عام لما كنّا تصدّق بهذه السهولة بانّ مثل هذه الواقعة يمكن ان تحدث، ولكنّ هذه الحادثة هي من يقينيّات التاريخ ولا يوجد ايّ شك أو شبهة في وقوعها.

ولكي نستوعب الجواب علىٰ هذا السؤال قلنا انّه لابدّ من الرجوع الى الوراء لنستعرض وضع صدر الاسلام قبل واقعة عاشوراء ولاسيّما الفترة التي استلم فيها بنو اميّة مقدّرات الناس في الشام، لنرىٰ نوعيّة الظروف التي كانت موجودة في ذلك الزمان، بحيث استطاع البعض ان يستغلّ تلك الظروف ويوجد فاجعة كربلاء العظيمة.

وقد ذكرنا انّ المجتمع الاسلاميّ كان مبتلى بألوان من الضعف، وقد شكّلت نقاط

الضعف هذه أرضيّة صالحة لكي يستغلّها سياسيّون مثل معاوية معتمداً علىٰ عوامل معيّنة للوصول الىٰ أهدافه.

وتتعلّق نقاط الضعف غالباً بانخفاض مستوىٰ الناس في مجال المعلومات الدينيّة والثقافيّة وسيطرة ثقافة القبيلة علىٰ المجتمع، بحيث اذا قام رئيس القبيلة بعمل فانّ أبناء قبيلته يقتفون اثره مغمضي الأعين. وقد كانت مثل هذه الامور أرضيّة خصبة لكي يسيء استخدامها السياسيون.

وأمّا العوامل الّتي استخدمها معاوية، مثل جميع السياسيين الباحثين عن الدنيا، فهي تتلخّص في ثلاثة أشياء، وان كان من الممكن ان نأخذ بعين الاعتبار تفريعات مختلفة لبعض هذه العوامل، إلّا انّ العوامل الاساسيّة هي هذه:

١ ـ تطميع رؤساء القوم والشخصيّات البارزة: أي انّه كان يشتري ذمم الرؤساء والصفوة في المجتمع، بواسطة بذل الأموال والجوائز لهم واعطائهم المناصب، ثمّ ينفّذ أهدافه عن طريقهم.

٢ ـ تهديد عامّة الناس: اي انّه كان يثير الرعب في نفوس عامّة الناس باستخدامه لألوان القسوة والاغتيالات وفرض الصعوبات غير الانسانيّة.

٣ ـ اللجوء الى الإعلام: ويمكن تقسيم هذا العامل الى مجموعات فرعيّة أشرنا اليها من قبل. وقد بيّنا جانباً من الوسائل التي استغلّها معاوية للاعلام، وكيف كان يناور بألوان مختلفة من التكتيك في هذا المجال.

أساليب استخدام معاوية لعوامل الانحراف في المجتمع:

تتفاوت أساليب استخدام هذه العوامل في المراحل المختلفة من حكومة معاوية، ويمكن تقسيم فترة حكومته ـ من هذه الناحية ـ الىٰ ثلاث مراحل علىٰ أقلّ تقدير:

المرحلة الاولىٰ: قبل خلافة عليّ عليه السلام، ففي هذه المرحلة كانت الظروف مواتية

جدّاً لمعاوية، وذلك لأنّ أرض الشام منطقة بعيدة ولم يكن لها ارتباط قويّ بالحكومة المركزيّة، فالناس هناك لم يشاهدوا النبي الاكرمﷺ وصحابته الكبار إلّا قليلا. ومن ناحية اخرىٰ فقد اطلق الخليفة الثاني والخليفة الثالث ـ ولاسيّما الثالث ـ يد معاوية الى حدّ بعيد، ولم يُلحظ منهما اهتمام بالسيطرة علىٰ معاوية.

وفي مثل هذه الظروف كان الأرضيّة مساعدة لكيَ يقوم معاوية بأيّ لون من ألوان النشاط، ولم يدّخر وسعاً، فقد قام معاوية خلال هذه الفترة بتربية المجتمع الشاميّ حسب رغبته.

المرحلة الثانية: أثناء فترة خلافة اميرالمؤمنين عليه السلام، وقد تغيّر تكتيك معاوية في هذه المرحلة ولاسيّما في مجال الإعلام. فقد قام بتوجيه اصابع الاتّهام الىٰ عليّ عليه السلام وأصحابه، وأشاع بين الناس انّ الخليفة الثالث قد قُتل على أيديهم، وحينئذ لابدّ من أخذ دية المقتول منهم واجراء القصاص العادل علىٰ منفّذ الجريمة، ويتعيّن علىٰ عليّ عليه السلام ان يسلّم قاتلي عثمان الىٰ معاوية.

وقد اختلق هذه الفرية وأشاعها وركّز عليها إعلامه بحيث انطلت الحيلة علىٰ كثير من الناس فصدّق بهذا الكذب. وهكذا مهّد معاوية لاجتذاب عدد من الناس وشنّ بهم حرب صفّين ضدّ الامام عليّ عليه السلام، وقد قتل في هذه الحرب آلاف المسلمين من الطرفين. وليس من السهل اقتتال الاخوة المسلمين وفي حرب مواجهة بالسلاح الابيض خلال عدّة سنوات، وليس باستخدام وسائل القتل الجماعيّ مثل ما هو سائد اليوم، وانّما هي مسألة شديدة التعقيد، وقد انتهت هذه المرحلة باستشهاد الامام اميرالمؤمنين عليه السلام.

المرحلة الثالثة: بعد استشهاد الامام عليّ عليه السلام، وقد توفّرت أرضيّة جديدة في هذه المرحلة الثالثة. وقد كانت الظروف في هذه الفترة بشكل يبدو علىٰ الناس فيها الضجر من الحرب. وحتّىٰ الأصحاب المقربون للامام عليّ عليه السلام فقد خلّفوا وراء

ظهورهم ثلاث حروب كبيرة هي حرب الجمل وصفّين والنهروان، وهم الآن يواجهون مشاكل كثيرة.

واستغلّ معاوية الفرصة أسوء استغلال واشترىٰ ـ بالمال والتزوير ـ ذمم قادة جيش الامام الحسن عليه السلام وأجبره عليه السلام علىٰ قبول الصلح.

وبهذا أحكم معاوية قبضته علىٰ جميع أرجاء البلاد الاسلاميّة، فلم يقتصر حكمه علىٰ الشام بل امتدّت سلطته لتشمل مصر والعراق والحجاز واليمن وشمال إفريقيا.

ولم يكن أحد من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله يزاحم معاوية إلّا الامام الحسن عليه السلام، وقد أخرجه من الساحة السياسية بقضيّة الصلح. وفي هذه الأجواء يشعر معاوية انه يستطيع ان يفعل أيّ شيء يحبّه.

وقد استغلّ معاوية هذه العوامل الىٰ أبعد الحدود بحيث يمكن القول انّ الآلام التي تحمّلها الامام الحسن عليه السلام ثمّ من بعده الامام الحسين عليه السلام الىٰ عشرة اعوام بعد وفاة الامام الحسن عليه السلام كانت اشدّ واقسىٰ من غربة سيد الشهداء ومظلوميّته في يوم عاشوراء. ومع الأسف فنحن لا نملك المعلومات الكافية عن هذه المرحلة، ولا هي من الامور التي تثير مشاعر الناس وعواطفهم حتّىٰ يتمّ بذكرها إحياء تلك الخواطر. فلا يبقىٰ أمامنا سوىٰ اللجوء الىٰ العقل لنفهم به مدىٰ الظلم الذي صُبّ علىٰ أهل بيت النّبي عليهم السلام ومدىٰ الآلام التي كانوا يعانون منها. لقد وظّفوا اعلامهم الىٰ أبعد حدّ، حتّىٰ انّهم في جميع خطب الجمعة كان لابدّ من صبّ اللعنات ـ والعياذ بالله ـ بشكل رسميّ علىٰ الامام اميرالمؤمنين عليه السلام، وكان يعدّ هذا الأمر جزءاً من الآداب العباديّة للناس. فخطيب الجمعة والناس معه يشاركونه في لعن عليّ عليه السلام.

وكان الامام الحسن عليه السلام والامام الحسين عليه السلام يشاهدان هذه الامور ولكنّهما لا يستطيعان ان يفعلا ايّ شيء لإيقاف هذا العدوان.

ومادام الامام الحسن عليه السلام علىٰ قيد الحياة فقد كان الامام الحسن والامام

الحسين عليه السلام يسلّي احدهما الآخر ويبثّه ما في نفسه، وامّا بعد استشهاد الامام الحسن عليه السلام فانّ الامام الحسين عليه السلام كان يبتلع الآلام ويكتم ما في نفسه ولم يكن لديه احد يشكو اليه همّه.

وقد قضىٰ عليه السلام السنين العشر ـ وهي كلّ الفترة المتبقيّة من عمر معاوية بعد الامام الحسن عليه السلام ـ في المدينة وهو يكتم همومه. وقد امتدّت الفترة الفاصلة بين استشهاد اميرالمؤمنين عليه السلام وواقعة كربلاء حوالي عشرين عاماً تقريباً. ما يقرب من عشرة اعوام من هذه الفترة كان الامام الحسن عليه السلام فيها علىٰ قيد الحياة، ولكنّه خلال السنين العشر الاخرىٰ كان فيها الامام الحسين عليه السلام وحيداً. وقد سجّل التاريخ مناقشات جرت بين المدافعين عن الامام الحسين عليه السلام والآخرين، وأحياناً سُجّلت مكاتبات جرت بين الامام الحسين عليه السلام ومعاوية، وفي عدة مرّات جرت صدامات شفهيّة بين هذين الاثنين، وهي تعكس وحدة ومظلوميّة الامام الحسين عليه السلام. وقد سافر معاوية الىٰ الحجاز مرّتين واصطحب معه مجموعة من قادة الشام العسكريين الىٰ مكّة والمدينة، وبقي هناك فترة من الزمن يحاول فيها إعداد الأرضيّة لولاية عهد يزيد ابنه. وقد وقعت مناقشات خلال هاتين السفرتين بين معاوية والامام الحسين عليه السلام. والتقىٰ معاوية خلالهما ايضاً بمجموعة من الشخصيّات المحترمة والمشهورة في المدينة ممّن لا يستسلم لمعاوية، وجرت في تلك اللقاءات مناقشات بينه وبينهم. وكان هؤلاء الأفراد من الشخصيّات البارزة التي لم تكن مستعدّة للخضوع لسلطة يزيد، بينما كان معاوية يصرّ علىٰ اخذ البيعة منهم له.

وفي احدىٰ المناقشات التي جرت بين معاوية والامام الحسين عليه السلام فيما يتعلّق بولاية عهد يزيد دعا معاوية الامام الحسين عليه السلام لكي يخلو به في حديث خاص، فوافق الامام عليه السلام علىٰ عقد هذا اللقاء. ولمّا التقيا قال معاوية: انّ جميع أهل المدينة مستعدّون لقبول ولاية عهد يزيد، ولم يبق إلّا أربعة اشخاص ـ أنت احدهم ـ هم

الذين يرفضون هذه القضيّة، وانت تتزعّمهم، فان أنت قبلت ولاية يزيد وبايعت فالآخرون سوف يوافقون أيضاً، وبهذا تتحقّق مصلحة الامّة الاسلاميّة في وحدتها وانسجامها، وتتمّ الحيلولة دون اراقة الدماء. فلماذا لا تبدي موافقتك؟ ولماذا ترفض البيعة ليزيد؟

فقال الامام الحسين عليه السلام: لقد أمسكتَ بزمام السلطة كلّ هذه الفترة وسفكت الدماء ونشرت الفساد. فالآن وفي آخر أيام حياتك لا تحمل علىٰ ظهرك وزراً اكبر، ولا ترهن نفسك بذنوب يزيد، كيف ترضىٰ لنفسك ان تسلّط علىٰ الناس شخصاً مثل يزيد، بينما يوجد بين الناس من أبوه وامّه وهو افضل وللناس انفع من يزيد وامّه وابيه. ايّ دافع يحملك علىٰ ان تسلّط علىٰ الناس مثل هذا الشخص (يزيد)؟

فقال معاوية: كأنّك تحاول ان تطرح نفسك؟ بمعنىٰ انّك تريد ان تقول انّ اباك وامّك أفضل من ابوي يزيد، وانّك ايضاً افضل من يزيد؟

فقال الامام عليه السلام: وماذا يحصل اذا قلت ذلك؟

قال معاوية: أمّا ما قلته من انّ امّك افضل من امّ يزيد فقد صدقت. لانه ان لم يكن لفاطمة عليها السلام إلّا انّها من قريش، بينما اُم يزيد ليست من قريش لكان ذلك كافياً ـ لاحظوا طريقة التفكير! هذه هي العصبيّة القوميّة ـ وعلاوة علىٰ كون امّك من قريش فهي ابنة النبي صلى الله عليه وآله أيضاً. اذن لا شك بانّ اُمّك افضل.

أمّا قولك انّ اباك افضل من أبي يزيد فهذا محلّ تأمل، لانّك تعلم ان ابا يزيد واباك قد تصارعا وقد حكم الله لصالح أبي يزيد. ـ لاحظوا الىٰ ايّ مدىٰ ينزع فيه الانسان الحياء بحيث يحاول ان يثبت أفضليّة معاوية علىٰ اميرالمؤمنين عليه السلام أمام الحسين بن علي عليه السلام ـ وأمّا قولك انّك أفضل من يزيد فالواقع يثبت خلاف ذلك، فيزيد أفضل منك بكثير للمجتمع الاسلاميّ. فقال الامام عليه السلام متعجّباً: تقول يزيد شارب الخمر افضل منّي؟ (تأمّلوا في سياسة معاوية) قال معاوية في جوابه: لا تقع في

غيبة ابن عمّك! (لمّا كانا من عشيرتين تنتميان الى قريش لذلك يقال انهما أبناء عم).

معاوية يقدّم النصيحة للامام الحسينعليه السلام قائلاً: لا تلجأ الىٰ العنف! وتغتاب ابن عمّك وتذكره بسوء! فيزيد لا يذكرك ابداً بسوء. وبناءً على هذا فهو افضل منك!

يزيد الذي يلاعب الكلاب ويشرب الخمر ولا يتمتّع بأيّة شخصيّة يقارنه مع الحسين بن عليعليه السلام الذي هو جوهرة الانسانيّة والشرف ثمّ يقول له: يزيد أفضل منك! ويحاول ان يظهر بمظهر المقدّسين فيقدّم الدليل على أفضليّة يزيد: بأنّك تقع في غيبة يزيد وأمّا يزيد فهو لا يغتابك[١]!

ونفس هذه السياسة يقوم بها جميع اللاعبين بالسياسة في كلّ أرجاء العالم.

في زمان الشاه أيضاً كان يقول «علم»: انّ الامبراطور لا يترك صلاة العشاء!

سمع انّ المؤمنين يقولون: صلاة الليل مهمّة جدّاً، فتصوّر انّ صلاة الليل هي صلاة العشاء، لذا قال: كيف يقول هؤلاء العلماء انّ الشاه ليس له دين؟ فالامبراطور لا يترك صلاة العشاء ايضاً!

ونظير هذا القول نسمعه اليوم حول بعض المسؤولين، فبعض الخنّاسين يقول في أحد المسؤولين ـ وهو من المضادّين للاسلام ـ انّه حافظ للقرآن وحافظ لنهج البلاغة أيضاً! ولا يترك اطلاقاً صلاة الليل!

السياسة هي السياسة.

هكذا تجري الامور علىٰ طول التاريخ، حيث تُحرّف الحقائق ويتمّ التلاعب بالمفاهيم والقيم والمقدّسات.

ماذا يقول الامام الحسينعليه السلام في مقابل كلام معاوية، وبأيّ منطق يتحدّث معه؟

انّ معاوية يقول: ابو يزيد افضل من ابيك، لانّهما تصارعا وقد حكم الله لصالح ابي يزيد.

---

١. الفتوح، ج ٤، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٤.

هذا هو المنطق الجبريّ الذي كان بنو اميّة يروّجون له، فاذا نالوا السلطة قالوا: هذه ارادة الله!

ونظير هذا التحريف قد وقع في قصّة اخرىٰ وهي انّ اميرالمؤمنينعليه‌السلام لم يشترك في ايّ حرب خلال حكم الخلفاء الثلاثة، فهو وان كان لا يشترك فيها شخصيّاً لكنّه كان يرسل ابناءه. وفي احدىٰ الحروب طلب الخليفة الثاني من اميرالمؤمنين ان يخرج الىٰ القتال فاعتذرعليه‌السلام عن الخروج قائلاً: انّ لديّ ما يشغلني في المدينة. وبعد هذا الموقف التقىٰ الخليفة الثاني بابن عباس فقال له: أتعلم ما هو الشيء الذي منع ابن عمك من المساهمة في القتال؟ فقال: لا. فقال الخليفة الثاني: بقي عليّ في المدينة حتّىٰ «يرشّح نفسه للخلافة»[1]، بمعنىٰ انه يعدّ الأرضيّة ليصبح خليفة من بعدي. يقول ابن عباس: قلت له: انه لا يرىٰ نفسه بحاجة الىٰ مثل هذا، لانّه يعتقد بانّ النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله قد عيّنه اماماً للامّة. فقال الخليفة الثاني: «كان يريد رسول الله، ولكنّ الله لم يرد»!

انّه منطق المغالطات الذي كانوا يلجأون اليه في ذلك العصر، وقد استخدمه معاوية أيضاً، ولهذا قال: انّ الله قد حكم لصالحي ضدّ عليّ، لانّه قد خرج من الدنيا قبلي، حيث قُتل علىٰ يد الخوارج.

وقد لجأ يزيد بن معاوية الىٰ نفس المنطق في المجلس الذي أعدّه لاستعراض الأسرىٰ بعد استشهاد الامام الحسينعليه‌السلام، حيث قال لزينب بنت عليّعليه‌السلام: أرأيت فعل الله بأخيك؟ لقد نصرنا الله عليه!

فمن أبرز النقاط التي كان يركّز عليها إعلام معاوية خلال هذه الفترة التي امتدّت عشرين عاماً، ولاسيّما مع شيعة عليّعليه‌السلام أو مثل غالبية سكّان الكوفة ـ حتّىٰ اذا لم

---

١. شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ج ١٢، ص ٨٠.

يكونوا من شيعة عليّ فانهم ليسوا ضدّه ـ هي هذه النقطة: ماذا كانت الثمرة من حكم عليّ لهذا البلد ما يقرب من خمس سنوات؟ كم سالت الدماء؟ وكم عدد النساء الأرامل؟ وكم عدد الأطفال اليتامىٰ؟ وكم هو عدد الأراضي الزراعيّة التي بقيت معطّلة من دون زراعة بسبب انشغالكم بالقتال؟ وكيف تضرّرت تجارتكم وبقيتم متخلّفين من الناحية الاقتصاديّة؟ من هو المسؤول والمقصّر في كل هذا؟ لو كان عليّ قد صالحَنا من البداية لم تقع الحرب ولم تجر الدماء ولم تحصل هذه المآسي ولم تُرمّل هذه النساء ولم تُيتّم هذه الأطفال ولم نواجه كل هذا الخراب والتخلّف الاقتصادي. كانت هذه من النقاط المهمّة التي استغلّت ضد عليّعليه السلام.

ارجو ان تتأمّلوا في نصوص نهج‌البلاغة لتلاحظوا انّ عليّاً كيف يلوم أصدقاءه وفي أيّ مجال؟

يقولعليه السلام مثلاً: «فيا عجباً! عجباً ـ والله ـ يميت القلب ويجلب الهمّ.... فاذا أمرتكم بالسير اليهم في ايّام الحرّ قلتم: هذه حمّارة القيظ، أمهلنا يُسبّخ عنّا الحرّ، واذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم: هذه صبّارة القُرّ، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد، كلّ هذا فراراً من الحرّ والقُرّ، فاذا كنتم من الحرّ والقُرّ تفرّون فأنتم والله من السيف أفرّ!»[١].

هكذا كان عليّعليه السلام يوجّه اللوم الىٰ الناس في عدّة مواقع. ولم يكن هذا إلّا نتيجة للإعلام القويّ الّذي كان يبثّه معاوية وأزلامه في عمق المجتمع العراقيّ آنذاك وقد كان تابعاً لحكومة اميرالمؤمنينعليه السلام، وبهذه الطرق الملتوية كانوا يثيرون الناس علىٰ الامامعليه السلام ويهيّئون الأرضيّة للتمرّد والعصيان.

ألسنا نواجه مثل هذا الإعلام في عصرنا؟ أليست الصحف عندنا تنشر مواضيع

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

تؤكّد علىٰ انّ الحرب بين العراق وايران لو توقّفت بعد تحرير مدينة «خرمشهر» لما كنّا نعاني اليوم من هذه المشاكل العسيرة[١]!

انّ قادة حزب «نهضت آزادي» و«جبهه ملّي»، وهم الذين قال فيهم الامام الخميني‌ﷺ: «هؤلاء هم اسوء من المنافقين»[٢] هم الذين يرسمون اليوم سياسة البلد من وراء الستار، بعضهم قد غيّر اسمه وبعضهم باقٍ علىٰ الاسم السابق، وكلّ منهم يقوم بدوره، ويصدر منهم مثل هذا الكلام.

ما هي النقطة التي يجسّمها إعلامهم؟

يقولون: لو لم تحدث هذه الحرب لم تحصل كل هذه المآسي في البلد. من هو المقصّر في هذه الحرب؟ يقولون: هم علماء الدين! فحكومة علماء الدين هي التي فرضت هذه الحرب علىٰ الناس! لو انّهم وافقوا علىٰ الصلح مبكّراً لم تصل الحالة الىٰ ما نحن فيه! والمشاكل الاقتصاديّة التي نعاني منها الآن هي نتيجة قطع العلاقة مع أمريكا! ولو أقدمت ايران الآن علىٰ إعادة العلاقات الطبيعيّة مع امريكا لانحلّت مشاكلنا!

ومع انّ هذه الشبهات قد تمّ تحليلها مرّات عديدة واجيب عليها بأفضل وجه ولكنّ الذين تجرّدوا من الحياء يعيدون نفس تلك الأقوال. انّهم يتّخذون نفس السياسة التي كان ينتهجها معاوية.

كانت سياسة معاوية تؤكّد علىٰ انّ الكلام الخاطئ حتّىٰ لو كان خطؤه واضحاً مثل الشمس في رابعة النهار فانّه يصبح تدريجيّاً مقبولاً عند الناس اذا تمّ تكراره بكثرة.

وهؤلاء ايضا يلعبون نفس اللعبة السياسيّة.

في بعض الموارد نفس السيد قائد الثورة الاسلاميّة قد بيّن في خطاباته موضوعاً من المواضيع بكلّ صراحة وأجاب عليه بكل وضوح، مثلاً بالنسبة للعلاقة مع

---

١. اكبر گنجى في مقال له تحت عنوان «عاليجناب سرخ پوش» في صحيفة «صبح امروز» بتاريخ ١٣٧٨/١٠/٢٩ هـ .ش، ص ١٢، باللغة الفارسيّة.

٢. صحيفة نور، ج ٢٢، ص ٣٨٤، باللغة الفارسية.

امريكا فانه تناوله بالبحث تفصيليّاً في العام الماضي، وقد بحثه الكتّاب والمفكّرون الآخرون واثبتوا بالشواهد التاريخيّة والعلميّة انّ العلاقة مع امريكا ليس فقط لا تحلّ مشاكلنا الاقتصاديّة، وانّما سوف تزيدها أضعافاً مضاعفة. لاحظوا نموذج ذلك في الدول الاخرىٰ. أليست تركيا من الاقمار الدائرة في فلك امريكا؟ بينما الشعب التركي يعلن الاعتصام مطالباً بزيادة الرواتب بنسبة خمسين في المائة. هذا هو وضع الاقتصاد التركي. والكلّ يعرف انّ تركيا تعتبر نور البصر بالنسبة لامريكا، وهي من اكبر البلاد الاسلاميّة وكانت مركز الخلافة العثمانية، لكنّ امريكا دفعت هذا البلد الىٰ ادنىٰ مستوىٰ من الذل بحيث يأكل فضلات العدوّ الاسرائيليّ، لابدّ ان يصبحوا عملاء لاسرائيل حتّىٰ تجود عليهم اليد الاسرائيليّة بشيء من الأسلحة.

لكن هل يتّعظ هؤلاء الافراد بمثل هذا المصير البائس؟ كلاً، مع انّهم يرون هذه النتائج فهم يصرّون علىٰ انّ مشكلتنا هي انّنا لم نتقارب مع امريكا، ولو عادت علاقاتنا مع امريكا لانحلّت مشاكلنا! انّه نفس المنطق الذي كان يشيعه معاوية. ومن الواضح انّه في عصر معاوية لم تكن قضيّة امريكا هي محور البحث ولم يكن أصحابه من جماعة «نهضت آزادي»، ولكن لاحظوا التشابه بينهما: اولئك كانوا يعترضون علىٰ الحرب وعلىٰ تنفيذ الاحكام والحدود الاسلاميّة، ويقولون لماذا لا نتقارب مع الكفار؟ بينما يؤكّد عليّ عليه السلام علىٰ انّ واجب الحاكم الاسلاميّ هو تنفيذ احكام الاسلام والمحافظة علىٰ القيم الاسلاميّة قبل كل شيء، ثمّ بعد ذلك يصل الدور الىٰ الاهتمام بالاقتصاد وسائر الامور.

اولئك كانوا يصرّون علىٰ ان الاولويّة للزراعة والتجارة، ثمّ اذا بقي لنا وقت وفراغ بال وكانت حاجة ماسّة للجهاد فإننا نذهب الىٰ الجهاد وإلّا فإننا نصالح!

واليوم من هم المدافعون عن منطق معاوية؟ ومن هم المتمسّكون بمنطق عليّ عليه السلام؟

لقد استغلّ معاوية نقاطاً ركّز عليها في إعلامه بحيث صرف قلوب الناس عن عليّ عليه السلام وحكومته وحكومة آل النبي صلى الله عليه وآله، ووصلت به الجرأة الىٰ الحدّ الذي يحاول فيه ان يثبت أفضليّة يزيد علىٰ الامام الحسين عليه السلام، لمن؟ للامام الحسين عليه السلام نفسه!!

النشاط السرّي للامام الحسين عليه السلام في زمان معاوية:

في مثل هذه الظروف ماذا كان يمكن للامام الحسين عليه السلام ان يقوم به من عمل؟ لم يبق أمامه عليه السلام من عمل سوىٰ ان يبحث هنا وهناك ـ وبصورة سرّية ـ عن أفراد معدودين يهديهم الىٰ الصراط المستقيم. وانتم تعلمون انّ الناس يتوافدون علىٰ الديار المقدّسة من مختلف البلاد الاسلاميّة ولاسيّما في موسم الحج، ولهذا كان يسعىٰ الامام الحسين عليه السلام للاتّصال بهم في المسجد الحرام أو في منىٰ أو في عرفات ويحدّثهم في الشؤون المهمّة ويبيّن لهم ارشاداته.

وأرجو أن تتأمّلوا في كلمات الامام الحسين عليه السلام في هذه المجالات. ونشير هنا الىٰ نموذجين منها: ففي أحد الاجتماعات الذي عُقد ـ كما يبدو ـ في منىٰ دعا الامام عليه السلام مجموعة من الناس الذين يحتمل انّ كلامه سوف يؤثّر فيهم، وقد جمعهم في مكان بعيد عن عيون معاوية وجلاوزته ثمّ قال لهم:

«اسمعوا مقالتي واكتموا قولي»[١].

ايّ سرّ اريد أن افشيه لكم؟ اريد أن أقول لكم: انّ هذه الحكومة ليست حكومة اسلاميّة، فالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قد عيّن ـ بأمر من الله تعالىٰ ـ عليّاً عليه السلام خليفة من بعده، ولكنّ المسلمين لم يقبلوا ذلك وقالوا نحن نريد حكومة ديمقراطيّة! وبالتالي انتهىٰ امر الخلافة الىٰ معاوية، حيث لم يراع حرمة أيّ شيء. أترون معاوية كيف يصبّ الظلم

---

١. بحار الانوار، ج ٤٤، الباب ٢١، الرواية ١٦.

علىٰ الناس؟ وكيف يهمل الاحكام الاسلاميّة؟ وكيف يتهاون بالمقدّسات الاسلاميّة؟

يقول الامام الحسينعليه السلام: أردت فقط أن اقول لكم: اعلموا انّ هذه الحكومة ليست علىٰ حقّ، ولا أريد أن اقول لكم انهضوا أو ثوروا عليها. اسمعوا كلامي واحفظوا السرّ ولا تخبروا أحداً بان الحسينعليه السلام قال لنا مثل هذا الكلام، «ثمّ ارجعوا الىٰ أمصاركم وقبائلكم من أمنتم ووثقتم به فادعوهم الىٰ ما تعلمون».

لماذا كلّ هذا التكتّم والتستّر والعمل السرّي؟

هل انّ الامام الحسينعليه السلام كان يريد بهذه الوسيلة ان يوفّر الأرضيّة لحكومته؟

كلاّ، لانّه كانعليه السلام يعلم حقيقة الأوضاع والنتيجة النهائيّة، وهو نفسهعليه السلام يبيّن الغاية من هذا القول: «فانّي أخاف أن يندرس هذا الحقّ ويذهب» أخاف أن ينسىٰ الناس انّ الاسلام حقّ، وأخاف أن يجهل الناس نوعيّة الحكومة الحق، وان لا يعرفوا ما هي القيم الاسلاميّة؟

لقد جرىٰ هذا في ظروف كانت فيه الحكومة بيد معاوية، ولم يكن الامامعليه السلام قادراً علىٰ المقاومة والتصدّي العلنيّ، ولو كان الامام الحسينعليه السلام قد أقدم علىٰ مثل هذا لتمّ اغتياله ولم تحصل أيّة نتيجة ايجابيّة لهذا الاغتيال، ولهذا كانعليه السلام حريصاً علىٰ الاتّصال بالأشخاص تارة بصورة فرديّة واخرىٰ بشكل مجموعة صغيرة، ويؤكّد عليهم ان يكونوا حافظين للسرّ، ويبيّن لهم أنّني خائف من اندراس الحقّ تماماً علىٰ وجه الأرض بحيث يُنسىٰ ولا يدري أحد عندئذ ما هو الحقّ.

اذا كان الناس يعرفون الحقّ ولكنّ الأهواء وحبّ المناصب وعبادة اللذّات تمنعهم من العمل بذلك الحقّ فالأمر سهل علىٰ العلماء، لانّ الحجّة قد تمّت علىٰ الناس، وللعلماء حجّتهم في انّ الناس يعرفون الحقّ ولكنّهم مع ذلك لا يعملون به.

واما اذا كان الحقّ في طريقه الىٰ النسيان فانّ مسؤوليّة العالم تغدو أصعبَ وأشدّ تعقيداً، فان تيسّر له ان يتحرّك بصورة علنيّة فعلىٰ الأقل يطمئنّ قلبه بانّني أدّيت

واجبي. غاية الأمر انّهم يقتلونه، مثل ما حدث للشيخ فضل الله حيث صلبوه، وليس اكثر من ذلك، لكنّه مستريح البال انّه قد ادّىٰ ما عليه من واجب. هل كان الشيخ فضل الله خائفاً من الإعدام؟ كلاّ، وانّما كان مطمئنّ الضمير الىٰ انّه قد قام بما يجب عليه.

أمّا اذا كانت الظروف بشكل بحيث لا يمكن الجهر بالكلام الحقّ، حيث تلصق بالمتكلّم ألوان التهم، وصحيح انّ الاتهام أمر سهل، لكنهم يؤطّرون الانسان بإطار بحيث لا يعود كلامه مؤثّراً، وفي هذه الحالة يتساوىٰ الكلام وعدمه. وعندئذ اذا تكلّم بالحقّ فانّه يقتل ولا يترتب علىٰ قتله ايّ أثر ايجابيّ. وهذا هو الذي كان يؤذي الامام الحسين عليه السلام روحيّاً، فقد تحمّل عليه السلام مثل هذا العذاب.

أرجو من القارئ الكريم ان يتوقّف قليلاً وينظر هل هذا العذاب والمظلوميّة أشدّ أم الشهادة في يوم عاشوراء؟ لقد عاش الامام الحسين عليه السلام هذا العذاب الروحي خلال عشرين عاماً ولاسيّما اثناء السنين العشر بعد استشهاد الامام الحسن عليه السلام. يقول عليه السلام: «فانّي اخاف ان يندرس هذا الحق ويذهب» ثمّ يواصل كلامه فيؤكّد انّني مطمئّن بوعد الله ﴿وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1] لكنّ هذه الظروف التي خلقها بنو اميّة تؤدّي الى ذهاب الحقّ ونسيانه.

لاحظوا انّ الامام الحسين عليه السلام لا يستطيع ان يجهر بالحق وهو في بيته، في المدينة، في مسقط رأسه، في المكان الذي طالما شاهده المسلمون محمولاً علىٰ كتف النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، لابدّ أن ينتظر ايّام الحجّ ليجمع بعض الناس في منىٰ لكي يحدّثهم بالحق بصورة سرّية.

والنموذج الآخر هو كلام الامام الحسين عليه السلام مع مجموعة من الصفوة خلال سفر الحج. فهو عليه السلام قد استغلّ هذه الفرصة ووفّر المقدمات مستعيناً بأصحابه والمخلصين

١. سورة الصف، الآية ٨.

له فتعرّفوا علىٰ بعض الشخصيّات وعقد معهم اجتماعاً سرّياً تحدّث اليهم فيه. وفي بداية حديثه عليه السلام وجّه اللوم لهذه النخبة من الناس وخاطبهم بأنّكم لا تعملون بواجباتكم، فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر، فأنتم خائفون علىٰ أرواحكم وأموالكم. ثم يقول عليه السلام:

«اللهم انّك تعلم انّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام»[1].

اللهم انّك تعلم انّ كلّ ما قمنا به منذ زمان والدنا اميرالمؤمنين عليه السلام ولحدّ الآن لم يكن منّا منافسة لأحد علىٰ جيفة الدنيا ولا منافسة علىٰ الحكم والمناصب الدنيويّة. وما كنّا نهدف الىٰ الحصول علىٰ حطام الدنيا، «ولكن لنري المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك»، كل هذه الجهود كانت ـ بالدرجة الاولىٰ ـ من أجل أن نبيّن للناس أُسس الدين وقيمه، بحيث نقوم بواجبنا في هدايتهم، ليميّز الناس بين الحقّ والباطل، ولئلاّ يضيع الحقّ وسط السحب السوداء والمياه العكرة، ثمّ ـ بالدرجة الثانية ـ كانت من أجل أن نصلح ـ بالمقدار الميسور لنا ـ الأعمال الفاسدة وأن نحول دون وقوع الأعمال المنحرفة في المجتمع الاسلاميّ، وكان هدفنا في ظلّ القيام بواجباتنا هو: «ويأمن المظلومون من عبادك».

قارنوا ما قاله معاوية للامام الحسين عليه السلام: اذا بايعت يزيداً فسوف يستتبّ الأمن الاجتماعيّ، الىٰ ما يقوله الامام الحسين عليه السلام من أنّ الهدف من نهضتي هو أن يأمن المظلومون، وهذا يعني أنّك يا معاوية أنت الذي صادرت أمن الناس واعتديت علىٰ أرواحهم وأموالهم وأعراضهم. عندما جاء بسر بن أرطاة الىٰ المدينة فقد اعتدىٰ علىٰ أعراض المهاجرين والأنصار. لم يكن قد مرّ علىٰ وفاة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله سوىٰ عدّة عقود من الزمن حتّىٰ جاء من يطلق علىٰ نفسه اسم خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١. بحار الانوار، ج ١٠٠، ص ٨١، الباب ١، الرواية ٣٧.

ليغتصب أعراض المسلمين، ومع كلّ هذا يقول معاوية بوقاحة للامام الحسينعليه السلام: لو قمت بالبيعة ليزيد لاستتبّ الأمن! ماذا يعني الأمن حسب ذوق معاوية؟

يعني تسلّط بني اميّة بحيث يفعلون ما يشاءون. هذا هو معنىٰ استتباب الأمن عندهم!

لكنّ الامام الحسينعليه السلام يقول: انّني أنهض من أجل أن يصل المظلومون الىٰ الأمن.

ثمّ يواصل الامامعليه السلام كلامه فيقول: «ويعمل بفرائضك وسننك واحكامك» فهدفنا هو أن يشيع بين الناس في المجتمع العمل بالواجبات والمستحبّات وتُطبّق فيه أحكام الله. نحن لم ننهض من أجل المال والمناصب، وليس هدفنا من تعريض أنفسنا للخطر هو الظفر بالملذّات الدنيويّة الهابطة. كلّ من يخاطر بحياته من أجل الله والدين لا يمكن ان يكون هدفه المال والمناصب، لانّ هذه الامور لا تنفعه شيئاً بعد الموت. وانّما أملُنا هو أن يسيطر دين الله علىٰ المجتمع وأن تُنفّذ فيه احكام الله.

ثمّ يواصلعليه السلام كلامه فيقول: «فانّكم إلّا تنصرونا وتنصفونا قوي الظلَمة عليكم».

جسّموا في أذهانكم الجوّ الذي يتحدّث فيه الامامعليه السلام، فقد تعرّف على صفوة من المسلمين ثمّ جمعهم في جلسة سرّية وأخذ يتحدّث اليهم فيقول: ان لم تنصرونا ولم تستعملوا الإنصاف معنا فانّ الظلَمة يشتدّ ساعدهم عليكم: «وعملوا في اطفاء نور نبيّكم»، فهل أنتم راضون بهذا وتحبّون أن يحدث مثل هذا؟ ان لم تكونوا راضين بهذه النتيجة فلا تتركونا وحدنا نواجه هذا التحدّي، فعلىٰ أقلّ تقدير لا تدّخروا وسعاً في مساعدتنا باللسان. وان لم تخفّوا لمساعدتنا فستبتلون بهذا المصير، وهو أن يتسلّط الظالمون عليكم ثمّ لا يلتفت أحد الىٰ استغاثتكم.

هكذا كان يتصرّف الامام الحسينعليه السلام في المدينة لفترة طويلة امتدّت عشرين عاماً. لا يمكنه أن يصبح خطيباً لصلاة الجمعة، لانّ السلطة آنذاك ما كانت لتسمح له بذلك، فالخطيب يعيّنه معاوية ولابدّ أن يصبّ اللعنات علىٰ عليّعليه السلام، والامام الحسينعليه السلام جالس يسمع ذلك.

لو كان الحسينعليه السلام قد نهض في مثل هذه الظروف فانّ غاية ما يمكن الحصول عليه من نتيجة هي أن يقول بعض الناس الطيبين ممّن يحبّونه: أسفاً علىٰ الامام الحسينعليه السلام لقد خسرناه، وبعد فترة قصيرة يغمره النسيان.

لو وجّهنا السؤال اليوم الىٰ الغالبيّة من شيعة عليّعليه السلام ومحبّيه: كم مرّة سمعوا باسم عمرو بن الحمق أو رشيد الهجري؟ وكم عدد الذين يعرفونهما؟

فانّ الجواب واضح للجميع. ولو كان الحسينعليه السلام قد نهض في تلك الظروف لكان مصيره أن يصبح واحداً من هؤلاء.

ماذا جرى لزيد بن علي بن الحسين؟

كم تعرف الغالبيّة العظمىٰ من الشيعة من تاريخ زيد بن عليّ؟ وكم هو عدد المجالس التي تقام لإحياء ذكراه؟ وهل يسكب الناس الدموع علىٰ مصيبته؟ مع انّه نهض وقُتل وصُلب جسده وبقي مدّة من الزمن مصلوباً.

لو أنّ الامام الحسينعليه السلام كان قد نهض في عصر معاوية لواجَه مثل هذا المصير، لانّ الناس ما كانوا ليرحّبوا بمثل هذه النهضة، حيث انّ معاوية كان يؤدّي اعماله بخبث وشيطنة ولم يكن مثل يزيد يفعل من دون سياسة ولا تخطيط. فمن شيطنة معاوية ان يقوم بنهي الامام الحسينعليه السلام عن المنكر قائلاً: لا يجوز لك ان تقوم بغيبة يزيد. أتذكّر في أوائل الثورة الاسلاميّة عندما كان الامام الخمينيرحمه الله يذكر الشاه بسوء فان بعض المقدّسين كان يقول: لست أدري هل انّ الاستماع الىٰ هذا اللون من الغيبة جائز أم غير جائز!

واليوم ايضاً اذا غضضنا النظر عن السيّئين والمنحرفين فانّ أصحاب النظرة القصيرة ومعوجّي السليقة موجودون بين الناس الطيّبين وهم لا يعرفون متى وأين وبأيّة كيفيّة لابدّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبعض اللوم يتّجه اليّ والىٰ

أمثالي حيث قصّرنا في بيان هذه المسائل للناس بصورة صحيحة.

اذن السبب في أنّ الامام الحسينعليه السلام لم ينهض في زمان معاوية هو انّ الظروف لم تكن بشكل يستطيع فيهعليه السلام ان يسجّل رسالته في التاريخ بمظلوميّته وشهادته حتّىٰ تبقىٰ خالدة ولا تضيع في غياهب التاريخ. لكنّهعليه السلام قام بهذه المهمّة في زمان يزيد بشكل مدروس ومخطّط. ومن الواضح انّ هذه الخطّة كانت معدّة من قبل، وهناك شواهد كثيرة تدلّ علىٰ انّ الامام الحسينعليه السلام كان يعرف ماذا يفعل. فقد قالها كثيراً وكرّرها عدّة مرات في اثناء الطريق: انّ الشهادة هي نهاية هذا السفر. وقد كانت خطّة الهيّة محكمة لكي ينال الامام الحسينعليه السلام الشهادة بتلك الصورة حتّى يخلد اسمه الىٰ الأبد كمصباح مشعّ يضيء جميع العوالم في جميع العصور، بحيث يصبح اُنشودة يترنّم بها حتّى الكفّار وعبدة الأصنام واليهود والنصارىٰ، ولا شكّ انّكم سمعتم جوانب من هذا الأمر من أفواه العلماء والواعظين وقد اُلّفت كتب كثيرة في هذا المجال.

وبناءً علىٰ هذا اذا عدنا الىٰ السؤال القائل: كيف أصبح الناس مستعدّين لقتل الامام الحسينعليه السلام؟

فانّ الجواب هو: لقد تمّ شراء بعض الضمائر بالأموال.

كما نلاحظ هذا الأمر يتكرّر في زماننا، حيث يمكن شراء بعض الأصوات في البرلمان، فقد نشرت الصحف المحلّية انّ ممثّل إحدىٰ المدن في البرلمان صرّح بانه قد عرض عليه مبلغ من المال في مقابل التصويت لشخص[1]، ولم يكذّبه احد.

في ذلك العصر أيضاً كان يبذل معاوية الأموال لكي يشتري بها ضمائر الأشخاص ويجتذبهم نحوه.

والفريق الآخر استعمل معهم اسلوب التهديد والتخويف واستخدام القسوة والقتل.

---

١. صحيفة بيان، العدد المؤرخ ١٣٧٨/١٠/١٥ هـ.ش، ص ٢، باللغة الفارسية.

وعلىٰ كلّ حال استخدم الخداع مع عامّة الناس بما يناسبهم من الدعاية والإعلام.

في مثل هذه الظروف التي وقع فيها الناس تحت تأثير إعلام معاوية المسيطر علىٰ العقول، ومن ناحية تمّ شراء بعض الضمائر بالأموال، ومن ناحية اخرىٰ كان الخوف يخيّم علىٰ المجتمع ـ في مثل هذه الأجواء لا تبقىٰ للناس ارادة ولا اختيار حقيقي للانتخاب الواعي.

يأتي مسلم بن عقيل الىٰ الكوفة ويخطب الناس ويوضّح لهم الحقائق فيبايعونه. لكنّهم يبايعونه في الصباح ويكسرون بيعته في الليل. وكذا الأمر في من كتب الرسائل للامام الحسين عليه السلام ودعاه الىٰ تسلّم زمام السلطة. هؤلاء الناس أنفسهم شهروا السيوف علىٰ الامام الحسين عليه السلام وقتلوه مظلوما. انّهم هم الذين تسابقوا الىٰ كربلاء لسفك دم أبي عبد الله عليه السلام.

في صباح اليوم العاشر من المحرّم عندما أراد عمر بن سعد أن يدفع بقوّاته نحو خيم ابي عبدالله الحسين عليه السلام صلّىٰ ثم قال:

«يا خيل الله اركبي! وبالجنّة أبشري!»[1].

من جاء من الخيّالة لسفك دم الحسين عليه السلام فهو من خيل الله! وقتل الحسين عليه السلام هو الطريق الىٰ دخول الجنّة! لماذا؟ لكي يصل عمر بن سعد الىٰ السلطة فيصبح والياً علىٰ الريّ!

لابدّ لنا ان نأخذ العبرة في حياتنا من مشاهد التاريخ هذه.

فالحسين عليه السلام قد ظفر بالشهادة قبل أكثر من ألف وثلاثمائة عام، وقد هلك يزيد أيضا. ولكنّنا يجب أن ننتفع من مجالس العزاء علىٰ الامام الحسين عليه السلام لنعرف ماذا يجب علينا ان نعمل اليوم. انّ طريق يزيد لم ينتنه، وانّ طريقة تفكير عمر بن سعد لم تضمحلّ، وانّ اسلوبهم السياسيّ لم يتغيّر. أجل ان الاشخاص يتغيّرون ولكنّ

---

١. بحار الانوار، ج ٤٤، الباب ٣٧، الرواية ٢.

سياستهم هي هي، وانّ الخنّاسين منبثّون في كلّ مجال وهم يستخدمون نفس الاسلوب. يذهبون الىٰ العلماء ويوسوسون لهم بانّ المسؤول الفلاني يتمتّع بمستوىٰ رفيع من الدرجات المعنويّة وله خدمات جليلة للاسلام، واذا لم يكن هذا واصحابه في السلطة فانّ الاسلام يندرس في هذا البلد وتأتي امريكا لتحطّم كلّ شيء!

ونقول: انّ هذا الكلام لا يقنع حتىٰ الأطفال:

أوّلاً: ماذا استطاعت أمريكا أن تعمل حينما كانت متسلّطة علىٰ ايران بحيث كان كلّ شيء في يدها حتّىٰ تستطيع اليوم ان تفعل وهناك في هذا البلد ستون مليونا من المسلمين العاشقين للاسلام والثورة؟

ثانيا: أين صار وعد الله تعالى؟ ألم يقل سبحانه في القرآن: **﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾**[1]؟

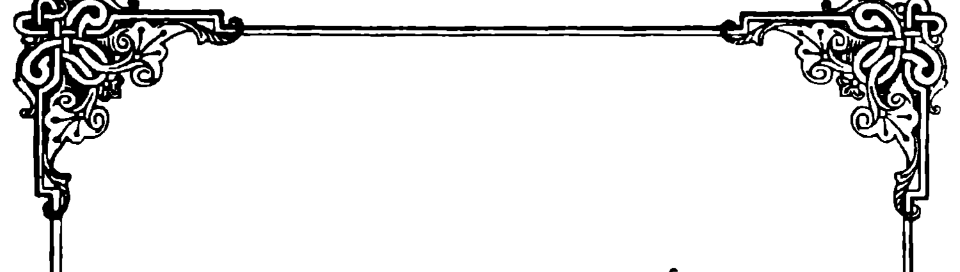
هل أصبح هذا الوعد كاذباً؟! أم هناك قراءة جديدة لهذا النص الشريف؟!

كونوا مع الله ليكون الله معكم.

اذا أردتم العزّة في الدنيا، فسوف تحصلون عليها من خلال طاعتكم لله، وإن أردتم العزّة في الآخرة فسوف تظفرون بها تحت ظلّ العبوديّة لله. واعلموا علم اليقين أنّ سعادة الدنيا والآخرة هي في ظلّ اتّباعكم للامام الحسين عليه السلام.

---

١. سورة محمد، الآية ٨.



الأرضيّة لنهضة عاشوراء (٤)

- علل انفعال المجتمع في مقابل نشاطات معاوية
  - الكفّ عن بذل المال في سبيل الله
  - التخاذل عن التضحية من أجل الدين
  - تأثير العلاقات القوميّة والفئويّة
- طرق مواجهة علل الانحراف في المجتمع
  - رفع مستوى المعرفة
  - رفع مستوى الايمان والمعنويّات

المقدمة:

خلاصة ما ذكرناه في الفصول السابقة هي انّ أعداء سيد الشهداء عليه السلام -وهم في الواقع اعداء الاسلام- استطاعوا ان يحرفوا المسير الصحيح للخلافة والولاية، وان يندفعوا في طريق الضّلال هذا الى الحدّ الذي يقتلون فيه سبط النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بتلك الصورة الفاجعة. والسبب في هذا هو سوء استخدام بني اميّة للظروف السائدة آنذاك واللجوء أيضاً الى بعض الأساليب والتكتيكات الّتي تحقّق لهم أهدافهم. فجهاز السلطة الامويّ استخدم عامل الإعلام وعامل التهديد وعامل التطميع، وبذلك استطاع ان يغيّر مسيرة المجتمع، وان يوجد ظروفاً ادّت بالناس للابتلاء بتلك المصيبة العظيمة.

علل انفعال المجتمع في مقابل نشاطات معاوية:

بما انّ الظروف التاريخيّة يمكن ان تتكرّر بشكل أو بآخر، فتحقّق موارد مشابهه لها في مراحل اخرىٰ، فانّه يطرح سؤال آخر بعد السؤال الماضي وهو:

صحيح انّ معاوية قد استخدم وسيلة الإعلام الممزوج بخداع الناس وتحريف الحقائق الذي هو في الواقع اغتيال الشخصيّات من ناحية، واستخدم حربة التهديد والتطميع من ناحية اخرى، ولكنّه لماذا انخدع الناس وتأثّروا بتهديده وتطميعه؟

وهذا السؤال هو في الواقع الوجه الآخر لقطعة النقد بالنسبة للسؤال السابق،

بمعنى انّ أحد الوجهين هو الفعل والوجه الآخر هو الانفعال، فبنو اميّة هم المؤثّرون والناس هم المتأثّرون. بنو اميّة هم الفاعلون للإعلام والتهديد والتطميع، والناس منفعلون في مقابل هذه الامور.

فيما مضى تحدّثنا عن الجهة الاولى وهي المتعلّقة بفاعليّة بني اميّة.

أمّا الجهة الاخرىٰ للسؤال فهي: ما السبب في انفعال الناس؟ لقد عرفنا ان بني اميّة يخدعون، ولكن لماذا ينخدع الناس بهم؟ وبيّنا انّ بني اميّة يهدّدون، ولكن لماذا يتأثّر الناس بتهديدهم؟

وتتّضح أهميّة هذا السؤال بالالتفات الى الجواب عليه، حيث يمكننا إعداد أنفسنا حتّى اذا وُجدت ـ لا قدّر الله ـ ظروف مشابهة لتلك الظروف وحاول أعداء الاسلام أن يستخدموا نفس تلك الحربة لتغيير مسير الثورة الاسلاميّة فاننّا نبدي حينئذ ردّ فعل بشكل واعٍ بحيث لا نكون منفعلين. ونؤكّد على انّ هذا لا يعني أنّنا لا نعدّ أنفسنا إلّا اذا ظهر معاوية آخر أو يزيد آخر أو شمر آخر أو عمر بن سعد آخر أو ابن زياد آخر.

فالأحداث التاريخيّة لا تتكرّر بعينها وانّما يحدث ما يشبهها. ولعلّه قد طرق سمعكم هذا الموضوع وهو مضمون رواية ينقلها السنّة والشيعة بأسناد متعدّدة عن النّبي الأكرمﷺ يتنبّأ فيها بأنّه سوف يحدث في امّتي ما حدث لبني اسرائيل، ثمّ يضيفﷺ هذه الجملة فيقول: «حتى لو دخلوا جُحر ضبّ لدخلتموه[١]».

فهذه الرواية لا تعني انه سوف يظهر في هذا الزمان فرعون يقول للناس «**أَنَـا رَبُّكُـمُ الْأَعْـلىٰ**»[٢] حتّىٰ تبتلىٰ امّة النبي الاكرمﷺ بفرعون موسى أيضاً، أو سوف

١. بحار الانوار، ج ٥١، ص ١٢٨، الباب ٢، الرواية ٢٤.

٢. سورة النازعات، الآية ٢٤.

يظهر قارون يملك ثروة عظيمة ويُبتلىٰ به اناس ذلك الزمان، أو سوف يظهر سامريّ آخر ويصنع صنماً بصورة عِجل ويدعو الناس الى عبادته.

كلاّ، فتلك الأحداث لا تتكرّر بعينها، وانّما تحدث وقائع تتميّز بنفس تلك الروح وتشبه تلك الأحداث تماماً.

ومن المناسب في هذا المضمار ان تذكر نماذج من أحداث صدر الاسلام وحتّى الآن ممّا وقع مشابهها عند بني اسرائيل في السابق ولكنّ هذا موكول الى الكتب المخصّصة لذلك.

ومن هنا اذا قلنا ما حدث في صدر الاسلام قد يحدث فيما بعد فذلك لا يعني انّ تلك الأحداث سوف تتكرّر بعينها، مثلاً سوف يظهر في الشام معاوية وهو يخطّط لتنصيب ابنه وليّاً للعهد، وإلى آخر القصّة. وانّما يعني انّه سوف تظهر حوادث تتميّز بروح تشبه روح تلك الحوادث، وتتمتّع بدوافع تشبه تلك الدوافع. فالذي دفع معاوية للقيام بتلك الحركة سوف يوجد عند الآخرين ايضاً. أو التأثّر الذي حصل للناس أيّام معاوية قد يحصل للناس في المستقبل بشكل أو بآخر.

وبالالتفات الى ما ذكرناه لابدّ ان ندرس ونتساءل: لماذا انخدع الناس بهذا الشكل؟ ولماذا تأثّروا بالتهديد والتطميع؟

وفائدة ذلك انّنا نُعدّ أنفسنا للزمان الذي قد تحدث فيه مثل هذه الامتحانات. واذا حاول أحد خداعنا أو تهديدنا أو تطميعنا فانّنا نستطيع أن نقاوم ونتتصر.

يمكننا دراسة هذا الموضوع بشكل تحليليّ لظروف ذلك الزمان ولكنّ مثل هذه الدراسة تحتاج الى مجال أكبر وفرصة أطول. ولهذا أظنّ أنّ هناك طريقاً أسهل للظفر بالنتيجة المطلوبة وهو اللجوء الى كلام سيّد الشهداءعليه السلام نفسه. فقد ذكرنا فيما سبق أنّه خلال عشرين عاماً من حكم معاوية قضى سيّد الشهداءعليه السلام ما يناهز عشرة أعوام منها الى جانب أخيه الامام الحسنعليه السلام، وأمّا الأعوام العشرة الاخرىٰ فقد

قضاها وحده في المدينة تعرّض فيها لأقصى درجات الضغط والشدّة والصعوبة. ولكنّه بين حين وآخر كان يتعرّف على بعض الأشخاص ويعقد معهم جلسات بصورة سريّة بعيداً عن أعين جلاوزة معاوية يتحدّث لهم فيها عن الحقائق التي يعيشونها. فيقول لهم انّني احدّثكم بهذه الامور حتّى لا يندرس الحقّ ويُنسى، وعندئذ لا يستطيع الناس ان يميّزوا بين الحقّ والباطل. ومن جملة تلك الجلسات ـ التي سجّلها التاريخ ونقلتها الينا الروايات ـ جلسة عُقدت في منى مع صفوة من علماء المسلمين وشخصيّات ذلك الزمان. ويمكننا أن نحدس مدى ما بُذل من جهد للتعرّف على هؤلاء واقامة العلاقات معهم ثمّ التئام جمعهم في تلك الجلسة التي عقدت في منى. والذين وفّقوا لحجّ بيت الله الحرام يعرفون مدى الزحام الذي يعيشه الحجّاج في منى بحيث لا يمكن السيطرة عليه. ولهذا فانّ كثيراً من النشاطات التي يراد لها أن تتمّ بعيداً عن أعين الحكّام تُنفّذ في منى.

اذن عقدت هذه الجلسة في منى وتحدّث فيها الامام الحسين عليه السلام لهذه الصفوة من الناس، ومن حسن الحظّ انّه قد نُقلت الينا جوانب من هذا الحديث في تحف العقول وبحار الانوار وبعض المصادر الاخرى. وقد نقلنا في الفصل الماضي جانباً من هذا الحديث، ونتحدّث في هذا الفصل عن جانب آخر منه يتعلّق بموضوع بحثنا.

ونبدأ من هذا الحدث التاريخيّ لكي نفهم لماذا انخدع الناس بمعاوية وأمثاله، وكيف استطاع حكّام الجور أن يتسلّطوا على رقاب الناس من خلال إعداد دقيق للأرضيّة واستغفال لهم.

فالامام عليه السلام يصف الحاضرين في تلك الجلسة ويخاطبهم بأنّكم شخصيّات هذه الامّة ومورد احترام الناس في ظلّ الاسلام، وبفضل الدرجات الاسلاميّة والعلوم التي تتمتّعون بها، وهذه منزلة رفيعة قد منحَكم الله ايّاها.

ومن خلال ذكر هذه الصفات يُعرف انّ اولئك الأفراد كانوا من علماء ذلك العصر.

وبعد أن يذكّرعليه السلام ذلك الفريق بنعم الله وما تفضّل به عليهم من منزلة ورفعة فانّهعليه السلام يوجّه اليهم اللوم فيقول ما مضمونه: مع انّ الله تعالى قد منحكم هذه الدرجات وتلك المنزلة الاجتماعيّة بحيث إنّ الناس يكنّون لكم الاحترام ويستمعون اليكم لكنّكم لم تستغلّوا الفرصة ولم تنتفعوا من مكانتكم.

الكفّ عن بذل المال في سبيل الله:

ويواصل الامامعليه السلام حديثه فيخاطبهم:

«فلا مالاً بذلتموه ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها ولا عشيرةً عاديتموها في ذات الله»[1].

مع انّ الله سبحانه قد أنعم عليكم بهذه المنزلة الاجتماعيّة إلا أنّكم لم تقوموا بهذه الأعمال. وهذا يعني انّه كان من المتوقَّع أن تستغلّوا مكانتكم العلميّة ومالكم من شرف ومنزلة اجتماعيّة للقيام بهذه الأعمال ولكنّكم لم تفعلوا شيئاً، فلم تنفقوا أموالكم لنشر الاسلام. وعادة فانّ المخاطبين من قبل الامامعليه السلام هم ممّن دَفع خُمسه وزكاته وما عليه من حقوق واجبة. اذن عندما يقولعليه السلام: «فلا مالاً بذلتموه» فانّه يقصد شيئاً غير الحقوق الواجبة، لانّ بقاء الدين في بعض الأحيان يحتاج الى الانفاق من الأموال الشخصيّة، وحينئذ ليس من الصحيح أن نقول انّنا قد أدّينا حقوقنا الواجبة وليس على عاتقنا حقّ آخر. اذن كان يتحتّم عليكم ان تنفقوا من أموالكم في سبيل نشر الاسلام والحيلولة دون انتشار البدع والتصدّي لأصحاب البدع، ولكنّكم لم تفعلوا شيئاً من ذلك.

---

١. بحار الانوار، ج ١٠٠، ص ٧٩، الباب ١، الرواية ٣٧.

التخاذل عن التضحية من أجل الدين:

هناك شيء أهمّ من عدم انفاقكم المال في سبيل الله حيث يقول‌عليه السلام «ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها».

نحن تعوّدنا ان نقول: اذا كان القيام بالواجب يؤدّي الى إلحاق الضرر بالانسان فأنه لا يكون واجباً عندئذ، لانّنا نتصوّر انّ شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ان لا يُلحق بالانسان ضرراً، وانّ نشر الدين والتصدّي لأعداء الاسلام هو الى الحدّ الذي ليس فيه خطر على الانسان. بينما يقول سيد الشهداء‌عليه السلام لهؤلاء العلماء: «ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها»، وهذا يعني انّه كان يجب عليكم ان تخاطروا بها لله.

وقد أشرنا الى هذه النقطة من قبل وقلنا انّ الامام الخميني‌قدس سره هو المرجع الوحيد في عصرنا الذي بيّن هذا الموضوع بشكل واضح وصريح، وذلك عندما قال: لا تقيّة في الامور المهمّة، وتنحصر التقيّة في الامور العاديّة. فاذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعلّقاً بأمر عاديّ، ويعود على القائم به ضرر، فهو يستطيع أن يقول: لقد قلت ما ينبغي أن أقوله وليس عليّ شيء أكثر من ذلك، أمّا اذا كان الأمر متعلّقاً بكيان الاسلام وأساسه فانّ الحديث عن التقيّة يصبح في غير محلّه، ولهذا قال الامام الخميني‌رحمه الله: انّ التقيّة في مثل هذه الموارد حرام ولو بلغت النتائج ما بلغت. اي انّ التقيّة غير جائزة ولو قتل آلاف الأشخاص، لانّ اساس الاسلام في خطر، أو كما عبّر الامام الخميني‌رحمه الله: «لا تصحّ التقيّة في مهامّ الامور»[1].

وأعود الى توجيه اللوم الى بعض إخوتي من علماء الدين، لانّه بعد أن بيّن الامام الخميني رأيه هذا بكلّ صراحة كان ينبغي ان تكثّف الجهود من قبل العلماء لبيان

---

١. صحيفة نور، ج ١، ص ٣٩، ج ٧، ص ٣٦، باللغة الفارسية.

مصاديق هذه الامور المهمّة التي لا تصحّ فيها التقيّة. وصحيح انّ الامامﷺ قد ذكر بعض الأمثلة، إلا انّ هناك مواردَ اخرى لابدّ من شرحها وتوضيحها وتبيين حدودها. ولا شكّ انّ هذا يعين الناس كثيراً في مجال التعرّف على واجباتهم.

هاتان نقطتان قد وجّه فيهما الامام الحسينعليه السلام اللوم الى شخصيّات ذلك العصر وبيّن لهم انّ السبب في كون معاوية وبني اميّة قد نجحوا في حرف المسيرة الاسلاميّة هو:

أولاً: انّكم لم تنفقوا الأموال من أجل المحافظة على الدين.

ثانياً: انّكم لم تخاطروا بأنفسكم في سبيل الله. لقد كان كلّ همّكم هو أن تحافظوا على أنفسكم، فاذا واجهتم تهديداً فانّكم تتراجعون وتنهزمون.

تأثير العلاقات القوميّة والفئويّة:

السبب الثالث لانفعال المجتمع في مقابل التحريف هو كما يقولعليه السلام:

«ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله»، انّكم لم تقفوا في وجه أقاربكم الذين كانوا على الباطل من أجل مرضاة الله تعالى.

كانت العلاقات القوميّة والعشائريّة في ذلك الزمان أصلاً من اصول الثقافة العربيّة. وكذا اليوم حيث يُلاحظ وجود مثل هذه العقليّات والترابط القوميّ والعشائريّ وتعصّبات الأقارب بين الناس الذين يعيشون الأجواء القبائليّة. أمّا الذين يعيشون في المدن فانّه لا تُلاحظ فيهم ـ إلا قليلاً ـ عقليّة التعصّب لأقربائهم. أجل انّ هذا الأمر ينتشر بين الساكنين بعيداً عن المدن. وفي ذلك الزمان كانت عقليّة الدفاع عن العشيرة والقبيلة قويّة جداً. ويمكننا ـ في هذا العصر ـ مشاهدة ما يشبه هذه العقليّة (التعصّب الفئوي) بين أصحاب الاتّجاه السياسيّ الواحد الواقفين في جبهة واحدة. وهذا اللون من السلوك يقوم بنفس الدور الذي كان يقوم به في ذلك

الزمان التعصّب للقبيلة والعشيرة. فبما أنّنا اليوم لا نعيش بصورة عشائريّة فان التعصّب لمن يشاركوننا في الاتّجاه السياسيّ قد حلّ محلّ تلك العقليّة السابقة.

وقد لا يكون صحيحاً ذكر جميع أسماء الأشخاص في هذه المجالات، ولكنّ الصحف الصادرة في هذه الأيّام أشارت الى انّ مؤتمراً قد عقد في آلمانيا ودعي اليه مجموعة من اعداء الثورة من كل أرجاء العالم ومن جملتهم مجموعة من داخل الجمهوريّة الاسلاميّة في ايران قُدّمت لهم التسهيلات من قبل السفارة الآلمانيّة في طهران، ولمّا عقد المؤتمر ظهرت فيه امرأة عارية تماماً وظهر رجل عارٍ. وقام أحد الكتّاب الصحفيين ـ ممن يكتب في الصحف المشهورة ـ بعقد مؤتمر صحفيّ هناك تحدّث فيه عن الامام الخمينيّ قائلاً: لابدّ من جعل الخميني في متحف التاريخ! وعلّق على موضوع الحجاب قائلاً: لا يوجد عندنا في الدستور ما يوضّح الموقف من الحجاب! وفيما يتعلّق بالديمقراطيّة والقيم الغربيّة قال: انّها مشكلة الاسلام حيث لا يستطيع أن يتلاءم مع القيم الديمقراطيّة الغربيّة! انّنا سنقوم بهذه الخطوة وهو طريق لا عودة فيه! بمعنى أنّ الاسلام سوف يرحل، وانّ اسم الخميني سوف يُمحى، وانّ الحجاب والامور المشابهة له لا اساس لها وسوف تتحقق الحريّة[1] (يعني اللامبالاة والإباحية والتحلّل).

وبعد انتشار هذه المقابلة الصحفيّة وترجمتها مع التقارير المرسلة من هذا المؤتمر في صُحفنا المحلّية علّق أحد الأشخاص الذين لهم عِرق دينيّ فأدان هذه المقابلة الصحفيّة قائلاً: ما كان ينبغي لهذا الشخص ان يتحدّث بمثل هذه الأقوال السخيفة[2]. وكأنّه قد هوجم على هذا التصريح من قِبل أبناء خطّه السياسيّ، كيف

---

١. صحيفة كيهان، العدد المؤرخ ١٣٧٩/١/٢٤ هـش، تقرير عن المقابلة الصحفية التي أجراها اكبر گنجي مع الصحيفة الألمانية تاكس اشبيگل.

٢. صحيفة كيهان، العدد المؤرخ ١٣٧٩/١/٢٥.

تُدين شخصاً يشاركنا في الاتّجاه السياسيّ؟ وبعد فترة قصيرة اختلقوا هذه الكذبة وهي انّ تلك الحادثة لم تكن بالشكل الذي عكسته اخبار الصحف، فعاد ذلك الشخص الذي أدان تلك الحادثة وهاجم الصحيفة التي نشرت خبر ذلك المؤتمر قائلاً: لا ينبغي نشر مثل هذه المواضيع، لاسيّما انّ الخبر قد تمّ تكذيبه من اساسه[١].

لو أنّكم تعرفون هذا الشخص لعرفتم مدى قبح صدور مثل هذا الكلام منه. فلو كان شخصاً يلعب على الحبال السياسيّة ولم يكن منتسباً لعلماء الدين وتكلّم بهذا الكلام فانّ الانسان لا يتألّم كثيراً. لكنّ الشخص الذي يعتبر نفسه مدافعاً عن الاسلام وعلماء الدين وخطّ الامام الخمينيﷺ كيف يتكلم بمثل هذا الكلام ويتّخذ مثل هذا الموقف؟

نحن نعتقد انّه قد فعل ذلك تعصّباً لأبناء اتّجاهه السياسيّ، لانّ هذا الشخص يشترك مع تلك الفئة في جبهة سياسيّة واحدة، ولهذا غيّر موقفه وبدّل كلامه.

وفي عصر معاوية كان سائداً موضوع الدفاع عن العشيرة والقبيلة. فمثلاً اذا ارتكب شخص من نفس القبيلة جريمة فانّ أبناء قبيلته يتغافلون عنها، أو حتّى انّهم يدافعون عنه ويبرّرون عمله. أمّا اذا ارتكب نفسَ الجريمة شخص من قبيلة اخرى فانّهم يشهّرون به ويعظّمون تلك الجريمة ويلحّون في انزال العقاب به.

ان عقليّة الدفاع عن العشيرة والقبلة هي إحدى العقبات المهمّة النى تمنع الانسان من ان يخطو باتّجاه الحقّ. عندما يرى أبناء قبيلته ـأو في الأجواء المعاصرة أبناء اتّجاهه السياسيّ ـ يسلكون طريقاً فانّه لا يملك الشجاعة ليقول لهم: إنّكم مخطئون في سلوك هذا الطريق، لا يستطيع أن يقول لهم: انّني اتفق معكم في سائر الامور، أمّا في هذا المجال فقد أخطأتم لانّه مخالف للقرآن ومغاير

---

١. نفس المصدر السابق.

لضروريّات الاسلام، فلا يحقّ لكم ان تشكّكوا الناس في أُسس هذه الثورة المباركة، ولا يجوز لكم أن تبشّروهم بانّ هذه الثورة في طريقها الى الزوال.

بل على العكس من ذلك فانّه يدافع عن ذلك الشخص، والسرّ في ذلك هو الاشتراك في الاتّجاه السياسيّ.

اذن مشكلتنا الضخمة هي التعصّب القبليّ للعشيرة في ذلك الزمان والتعصّب الفئويّ السياسيّ في هذا الزمان.

يقول سيد الشهداء عليه السلام: «ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله»، أي انّ الواجب الشرعي يقتضي أحياناً أن يعادي الانسان أبناء عشيرته واقرباءه. صحيح انّ صلة الرحم واجبة في الاسلام وأنّ قطع الرحم حرام، ولكنّه اذا أدّى الدفاع عن الرحم إلى اضعاف الاسلام والنظام الاسلاميّ فما ذا يجب ان نعمل؟ فهل يجب في مثل هذا المورد تقديم الاسلام أم الأقارب (الأولاد والأصهار)؟ ولو كان نشاطهم ضدّ الاسلام؟ هل يجوز الدفاع عنهم وان كان ذلك يؤدّي الى زعزعة النظام الاسلاميّ؟ هل يجوز ان يدافع ـ بغير حقّ ـ عن أبنائه وأقربائه؟ انّ هذا الموضوع يعبّد الطريق للأعداء كي يستغلّوا الموقف لصالحهم.

انّ سيّد الشهداء يؤكّد على انّه من الأسباب التي أدّت الى تسلّط معاوية عليكم وتحريف الاسلام هو أنّكم «ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله»، أيّ انّ ارتباطكم بأبناء خطّكم السياسيّ وأبناء حزبكم قد منعكم من أن تقولوا الحقّ وأن تدافعوا عن الحقّ، وقد أعدّ هذا الأرضيّة لكي تُستغلّ هذه النقطة من قبل الإعلام المضادّ ليقولوا انّ هؤلاء يتلاعبون من أجل أقربائهم ويسيئون استغلال أموال بيت المال، فالامكانيّات توضع ـ اولاً ـ تحت تصرّف أقربائهم، والمناصب تُمنح لأبنائهم. هكذا وفّرتم الأرضيّة بتصرّفكم لكي يهاجمكم الإعلام.

اذن سبب انفعالكم وتأثّركم بإعلام معاوية هو تعلّقكم بأموالكم وأقربائكم.

والجامع لهذه الامور يُطلق عليه في الثقافة الاسلاميّة عنوان «حبّ الدنيا»، فقد ورد في الحديث الشريف:

«حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة»[١].

ماذا يعني هذا الحديث؟ حبّ ايّ شيء هو المقصود؟ هل المقصود به حبّ الانسان للقمر والنجوم والطبيعة الرائعة؟ أم اذا أحبّ الانسان مخلوقات الله فقد ارتكب اعظم ذنب؟ ما هو معنى حبّ الدنيا الذي هو أساس جميع الذنوب؟

انّ معناه هو التعلّق بالامور الدنيويّة والتلذّذ بجمع المال ونيل المناصب والتكتّل مع الأصدقاء والأقارب والمشاركين في الاتّجاه والحزب.

اذن فالمشكلة الأساسيّة التي جعلت المسلمين يتأثّرون بالعوامل الشيطانيّة التي استخدمها الأُمويون هي باختصار «حبّ الدنيا».

والعلامة الأصليّة لحبّ الدنيا هي اذا تعرّضت حياة الانسان للخطر فانّه لا يعود يفهم شيئاً. نعم، انّه مستعدّ للقيام بعمله وتقديم خدماته والنهوض بواجباته الاجتماعيّة بشرط أن يكون هو وعائلته في أمن ورفاهية. أمّا اذا عرف انّ السير في هذا الطريق فيه خطورة على ماله أو منصبه أو حياته فانّه لا يبقى مجال لمثل هذه الأعمال. كلّ جهوده كانت من أجل أن يبقى حيّاً ويستلذّ بالدنيا أكثر.

ومن هنا نلاحظ انّ القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام تؤكّد على أنّ أبرز خصوصيّات الكفّار هي حبّ الذات وحبّ الدنيا. وفي مقابلهم تكون أبرز مشخصات المؤمنين هي نكران الذات في سبيل الله والايثار والتضحية وطلب الشهادة. وهذا يعني أنّ الموت ليس صعباً بالنسبة اليهم، وأنّ الحياة الدنيا ليست هدفاً أساسيّاً لهم. فاذا اقتضت السعادة والآمال والدين والقيم

١. بحار الانوار، ج ٥١، ص ٢٥٨، الباب ١٤، الرواية ٥.

التي تعلّقوا بها أن يموتوا فانّهم يسترخصون الحياة في سبيل الله. يقول الامام اميرالمؤمنين عليّ عليه السلام:

«والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أُمّه»[1].

هل هناك احتمال بان يكذب عليّ عليه السلام في قسمه؟!

وفي ليلة عاشوراء أكّد الامام الحسين عليه السلام لأُخته العقيلة زينب عليها السلام بانّ أصحابي هم بهذا الشكل.

لاحظوا نوعيّة الأفراد الذين ربّاهم الامام الحسين عليه السلام.

صحيح انّه عليه السلام عانى من الآلام ما يفوق التصوّر خلال عشرين عاماً، لكنّه قد ربّى مثل هذه الزهور ليعطّر بها يوم عاشوراء. لو لم يكن هؤلاء الأبرار لم تصبح قصّة عاشوراء جذّابة الى هذا الحدّ، ولم نصبح أنا وأنت من العارفين بالحسين عليه السلام. لو أنّ الامام عليه السلام بقي وحيداً فريداً لاغتالوه سرّاً ولم يحصل ما هو حاصل الآن.

تأمّلوا في سيرة أصحاب الحسين عليه السلام ماذا قالوا لإمامهم ليلة عاشوراء.

بعد أن عرفت العقيلة زينب عليها السلام أنّ غداً هو يوم الشهادة، وأنّ الحسين عليه السلام وأصحابه سوف يظفرون بالشهادة جاءت الى أخيها قائلة: انّ بعض أصحابك قد استغلّ ظلام الليل وغادر، فهل اختبرت هؤلاء الذين بقوا معك واطمأننت الى وفائهم؟ فسالت الدموع من عيون الحسين عليه السلام وقال:

«أما والله لقد نهرتهم وبلوتهم، وليس فيهم الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني استئناسَ الطفل بلبن امّه»[2].

قلت لهم أمسكوا بأيدي نسائكم وأولادكم واذهبوا حيث شئتم لانّ القوم لا يريدون غيري، لكنّهم أبوا أن يتركوني.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٥.

٢. مقتل الحسين عليه السلام، للمقرّم، ص ٢٦٢.

اذن يُعلم من قول الامام عليه السلام «بلوتهم» انّه عليه السلام قد امتحن أصحابه ليبقى منهم المصفّى الخالص. ولا شكّ أنّكم قد سمعتم بمواقف أصحاب الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء، ويمثّلهم قول أحدهم: لو أنّي قُتلت سبعين مرّة وأُحرقت وتحوّل جسدي الى رماد ثمّ أُحييت لعدتُ اليك وبقيت معك حتّى أنال الشهادة مرة أُخرى.

وفي مقابل هذه الزهور التي ربّاها الامام الحسين عليه السلام ونمّاها يقف اولئك الذين يوجّه عليه السلام اليهم اللوم ويقول: انّ مشكلتكم هي حبّ الدنيا والخوف من الموت.

ويواصل الامام عليه السلام حديثه معهم فيقول:

«ولكنّكم مكّنتم الظلمة من منزلتكم وأسلمتم امور الله في أيديهم»[١].

انّ امور الله لابدّ من تسليمها الى رجال الله، لكنّكم اسلمتموها الى الظلمة، أعطيتموهم آراءكم في الانتخابات ودفعتم بهم الى رأس السلطة: «يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات»، يعملون اموراً ليس لها مبرّر شرعيّ أو قانونيّ، ويفتحون الطريق لأصحاب الشهوات، يشيّدون دوراً للثقافة وهي في الواقع دور للمعصية، ينفقون الأموال من بيت مال المسلمين لكي توفّر الأرضيّة للمعاصي، يشجّعون بها صحفاً تهدف الى اشاعة المنكرات.

كيف تسلّط عليكم مثل هؤلاء الحكّام؟

وكيف انجرّ الأمر الى هذا الوضع؟

روح الكلام هنا: «سلّطهم على ذلك فراركم من الموت»، فلو لم تفرّوا من الموت واستقمتم في مقابل العدوّ لتراجع الأعداء. أرأيتم أيّام عاشوراء لهذا العام كيف تراجع الأعداء؟! ماذا فعل المؤمنون حتىٰ تراجع أعداؤهم؟ هل قَتلوا انساناً؟ هل هاجموا المحلاّت؟ هل أثاروا الضوضاء؟

---

١. بحار الانوار، ج ١٠٠، ص ٨٠، الباب ١، الرواية ٣٧.

لم يحدث شيء من هذا، وانّما ارتدى المؤمنون ـكما كانوا يفعلون من قبلـ ملابسهم السوداء وأخذوا بالنياحة واللطم على الرؤوس والصدور فأثبتوا للجميع أنّنا نريد الاسلام، فتراجع الأعداء ولم يجرؤوا بعدئذ على الاستخفاف بنهضة سيّد الشهداء عليه السلام.

لقد كانت مراسم العزاء على الامام الحسين عليه السلام مهيبة في هذا العام في جميع مدن وقرى الجمهوريّة الاسلاميّة، وقد تمّت بشكل أفضل من السنين الماضية. وهذا التحرّك الواعي من قِبل المؤمنين هو الذي جعل الأعداء يتراجعون. ومن الملاحَظ انّ المؤمنين يثبتون وجودهم في جميع أبعاد الحياة السياسيّة والاجتماعيّة من دون أن يقوموا بعمليّات قتل أو تخريب لدوائر الدولة كما يفعل الغوغاء. انّ اعمال النهب والتخريب لا تتناسب مع مكانة المؤمنين ولا تنسجم مع منزلة الحسينيّين، وانّما الذي يناسبهم هو اظهار المحبّة والتعلّق بالدين وسيّد الشهداء عليه السلام. لابدّ أن نعلنها صريحة بأنّنا على أتمّ الاستعداد للتضحية بأموالنا وأرواحنا وأولادنا واعزّائنا من أجل المحافظة على ديننا. فهذا الاستعداد هو المهمّ، يقول الله تعالى في كتابه المجيد:

«**وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**»، ولا يقول سبحانه أعدّوها لتستخدموها مباشرة، وانّما يقول عزّ وجلّ:(**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَ عَدُوَّكُمْ**)[١].

انّ الهدف من إعداد ألوان القوّة هو أن يخاف العدوّ، ينظر الى المؤمنين فيجدهم مستعدّين للشهادة فيتراجع، لانّ غير المؤمن ليس مستعدّاً ليعرّض نفسه للخطر. انّ من يثير الضوضاء من أجل قنيّنة خمر ليس مستعدّاً ليعرّض نفسه للخطر اذا أحسّ هؤلاء بانّ المؤمنين الشجعان حاضرون في ساحة المواجهة فانهم يولّون هاربين، وهذا هو المهمّ.

---

١. سورة الانفال، الآية ٦٠.

والامام الحسينعليه السلام أيضاً يؤكّد على الناس بأنّكم اذا أردتم المحافظة على دينكم بحيث لا تتأثّرون بنشاطات بني اميّة فلابدّ لكم من ثلاثة امور هي: أن تنفقوا أموالكم في سبيل الدين، وأن تعرّضوا أرواحكم للخطر حيث تكونون مستعدّين للشهادة، وان تكفّوا عن المحاباة للعشيرة والفئة والحزب وأهل المحلّة الواحدة وأبناء هذا الخطّ السياسيّ وما شابه ذلك، لتصبحوا متّبعين للحقّ فحسب.

لابدّ أن يهتمّ المؤمنون وينظروا ماذا يقول الله تعالى والرسولصلى الله عليه وآله والولي الفقيه ـ في عصرنا ـ وأن ينفّذوا ذلك بدقّة واخلاص. وسيغدو هذا هو العامل الذي يحفظ وحدتنا وأمننا ويحول دون تسلّل الأعداء والأجانب في داخل صفوفنا.

يقول الامام الحسينعليه السلام: «سلّطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم»، فتعلّقكم بالحياة الدنيويّة الفانية هو الذي سلّط بني اميّة عليكم، لانّ هذا التعلّق يمنعكم من الصمود بشجاعة في ساحة المواجهة، وبالتّالي يطمع العدوّ فيكم ويتغلّب عليكم. أمّا اذا لم تتعلّق قلوبكم بهذه الحياة الدنيئة وانما تعلّقت بالحياة الآخرة، وكنتم على استعداد للتنازل عن جميع لذّات هذه الحياة المتصرّمة لكي تنالوا رضى الله والسعادة الأبديّة فانّ العدو لن يتسلّط عليكم اطلاقاً.

طرق مواجهة علل الانحراف في المجتمع:

والآن اذا أحببنا ان لا توجد فينا نقاط الضعف التي أُبتلي فيها اناس ذلك الزمان بحيث وفّرت الأرضيّة لتسلّط الامويّين عليهم، أو اذا أحببنا أن تزول ان كانت قد وجدت فينا، فماذا يجب علينا ان نقوم به من خطوات؟

قلنا: كانت لهؤلاء ثلاثة ألوان من النشاطات وهي: الإعلام الخدّاع المضلّل، والتهديد، والتطميع.

رفع مستوى المعرفة:

ماذا يجب علينا أن نفعل في مقابل الإعلام المضلّل؟

لابدّ أن نرفع مستوى معرفتنا بالنسبة للاسلام والتشيّع وخطّ الامام الحسينعليه السلام وخطّ الامام الخمينيرحمه الله بالنسبة لعصرنا. لابد أن تكون معرفتنا محكمة حتّى لا يحاول الأعداء أن يقدّموا للناس أفكاراً مضادّة لأفكار الامام الخمينيرحمه الله على أساس أنّها خطّ الامامرحمه الله.

هذا ما فعله معاوية وفعله آخرون، واليوم يفعله أتباع معاوية.

هناك موارد كان الامامرحمه الله يناضل ضدّها ويرفضها تماماً، واليوم يكذب البعض على الامامرحمه الله فيقول انّه كان يخطّط للوصول اليها. مثلاً الحريّة، الحريّة بالمفهوم الغربيّ التي تعني التحلّل والانفلات! وتلاحظون اليوم ماذا يفعل الشباب الواقع تحت تأثير هذه الأقوال.

في يوم مّا ذكرت في إحدى محاضراتي التي كانت تُلقى قبل خطبة الجمعة في طهران الى أيّ شيء يهدف هؤلاء من وراء الحريّة. فكتبوا ضدّي عشرات المقالات تقول انّ هذا كذّاب، ونحن نبحث عن الحريّة السياسيّة فحسب. لكنّكم رأيتم ماذا فعلوا في عيد النوروز وملحقاته. كانوا ينوون الاحتفال في ذكرى عرش السلاطين ايام الجاهليّة وقد خصّصوا لذلك ميزانيّة ضخمة. وهم يدّعون انّ هذا هو الذي كان يريده الامامرحمه الله!

يقولون: ألم يدع الامامرحمه الله للحريّة والاستقلال؟ اذن يعلم من هذا انّ الامامرحمه الله كان يريد هذه الامور!

لاحظوا المغالطة. صحيح انّ الامامرحمه الله كان يهدف الى الحريّة، ولكنّه كان يريد التحرّر من أيدي أعداء الاسلام، وليس التحرّر من الله والدين والقيم. فالذي أنفق عمره الشريف فيه ـ منذ نعومة أظفاره وحتّى آخر لحظات حياته ـ هو المحافظة

على القيم الاسلاميّة، انّ نهضة الامامﷺ كانت لإحياء القيم، وليس لتحرير الناس من القيم. انّ بعض المسؤولين في الدولة اليوم يمنّون علينا، فاذا قلنا لهم لماذا لا تحافظون على القيم في مجال الشؤون الثقافيّة؟ قالوا: أيّة قيمة أرفع من الحريّة؟! نحن قد منحنا الناس الحريّة، وهذه هي أرفع القيم! وهذه هي نفس السبيل التي أرادها الامامﷺ وسلكها!

وهذا الكلام يشبه ما قاله معاوية للامام الحسينﷺ من أنّه لا يجوز لك ان تتعرّض ليزيد بالغيبة! فيزيد أفضل منك لانّه لا يغتابك ولا يتحدّث عنك بسوء! فقولك: يزيد شارب للخمر، هو غيبة له!!

هكذا تكون المغالطات.

اذا أردنا أن لا نقع تحت تأثير مثل هذه المغالطات فلابدّ أن نرفع مستوى معرفتنا للدين.

أعزّائي ـ وأخصّ بالخطاب الشباب ـ لابدّ أن نخصّص وقتاً خلال اليوم والليلة للمطالعة والبحث في الشؤون الدينيّة والمعارف الالهيّة. انّ الدين ليس أقلّ قيمةً من البطن والرفاهية والرياضة. اجعلوا لأنفسكم منهجاً تسيرون عليه. اعقدوا الجلسات الدينيّة وأكثروا من المطالعة في المجال الدينيّ. والحمدلله قد زادت اليوم الكتب المؤلّفة في المجال الديني، فاعقدوا الجلسات وتباحثوا فيها. وليس من الضروريّ أن يحضر هذه الجلسات مبلّغ أو معلّم، بل تستطيعون أن تتناولوا بالبحث كتب العلامة الشهيد مرتضى مطهّريﷺ، وأن تطرحوها للمناقشة كما يفعل طلاب العلوم الدينيّة في كتبهم الدراسيّة، اقرءوها جملة فجملة وتناقشوا فيها حتّى تتبيّنوا مفهومها وتوضّحوا للآخرين ما فهمتم منها، فان أشكل عليكم شيء في مورد أو كان مبهماً فوجّهوا الدعوة لعالم موثوق به يأتيكم مرّة كلّ اسبوع أو مرّة كلّ شهر ـ حسب الميسور ـ ليوضّح لكم المبهمات ويرفع الاشكالات.

أمّا اذا لم تكن لكم مطالعات دينيّة ولا جلسات دينيّة، بل اكتفيتم بمجالس أيّام عاشوراء وأمثالها، بينما اعداء الاسلام يمطرونكم بوابل إعلامهم عن طريق الإذاعات وقنوات التلفزيون وأفلام الفيديو والصحف والمجلات، فماذا تكون النتيجة؟

تكون النتيجة بهذا الشكل الذي تشاهدونه اليوم.

نحمد الله تعالى على أنّ هذا ليس منتشراً بين الجماهير المتديّنة، لكنّه موجود في بعض المراكز، واذا لم تقفوا في وجهها، اي انّكم لم تعدّوا أنفسكم الإعدادَ اللازم فلعلّها تسري اليكم لا قدّر الله.

انّ المطالعة والمناقشة أمران ضروريّان للتصدّي للإعلام المضلّل والشيطانيّ، واذا لم يتحقّق هذا الأمر فانّ معرفة الانسان لا تنمو ولا تنضج. فاذا كان الدين عزيزاً عندكم فلابدّ أن تخصّصوا وقتاً له. كما تهتّمون بالرياضة لابدّ ان تهتّموا بالدين. انّ جانباً من الوقت الذي ينفقه الشباب في مشاهدة برامج ألعاب كرة القدم أو الحضور في النوادي لممارسة الرياضة لابدّ ان يخصّصوه للمطالعة في الشؤون الدينيّة. ان كان الدين غالياً فلابدّ من تخصيص رأسمال له. فالدين لا يظهر في قلوبنا بالاجبار والاكراه، والايمان لا ينمو في أعماقنا بشكل ذاتيّ. فالعوامل الاجتماعيّة تحارب الايمان ولا ترسّخه، ولاسيّما في هذا الجوّ من العلاقات الثقافيّة السائدة اليوم، ومع هذه السياسة الخاطئة التي يتّخذها مسؤولوا الثقافة في بلدنا، وهي تصبّ في مصلحة الأجانب ـ إمّا عن جهل وعدم وعي وامّا عن عمالة للأعداء ـ وهي على كلّ حال سياسة مضادّة للاسلام تسير بثقافة المجتمع نحو الثقافة اللادينيّة الملحدة. اذن في مقابل هؤلاء لابدّ ان تكون لكم نشاطات دينيّة، وأن تعدّوا هذا الأمر من أهمّ واجباتكم الشرعيّة.

رفع مستوى الايمان والمعنويّات:

وفي مقابل العامل الثاني والعامل الثالث (اي التطميع والتهديد) لابدّ من تقوية

الايمان، فالتأثّر بهذه العوامل وخوف الانسان من أنّه سوف يُطرد من الدائرة اذا لم يفعل الشيء الكذائي أو سوف يُخصم من راتبه ناشئ من ضعف الايمان. ألم يقوموا بمثل هذه الأعمال؟ هناك الكثير من مديري التعليم والتربية ومديري الجامعات وقد تمّ تغييرهم خلال العامين الأخيرين، ولسنا نعرف كم هو عدد مديري الجامعات الذين هم باقون في مناصبهم. ففي بعض الموارد قد تمّ تغيير كلّ الكادر الجامعيّ من مدير الجامعة الى الفرّاش المكلّف بتوزيع الشاي. لماذا؟ لانّ هؤلاء لم يكونوا من خطّهم السياسيّ. اصبروا وصابروا وقولو لها بشجاعة وصراحة: حتّى اذا طردتمونا من مسؤوليّاتنا فنحن لن نتخلّى عن الامام الخمينيّ. كونوا ابطالاً في ذات الله. كم يمكنهم الاستمرار في هذه المواجهة اذا كنتم صامدين؟ لو أنّهم واجهوا صموداً ومقاومة لأُجبروا على تغيير اسلوبهم، لكنّهم واجهوا ضعفاً وتخاذلاً فتسلّط الظالمون علينا. ولا ينبغي أن يظنّ أحد انّي أقصد كلّ الكادر الحكوميّ، وانّما هناك خيوط في بعض الوزارات والدوائر تقتفي اثر امريكا وتسير في نفس اتّجاهها، ولعلّهم لا يعلمون أو انّهم مخدوعون أو...

فلكي نستطيع الصمود في مقابل التطميع والتهديد لابدّ أن نرفع مستوى ايماننا. والايمان لا يحصل بالمطالعة فقط، وانّما تتمّ تقوية الايمان بالعمل أيضاً. ومن الواضح أنّ المعرفة هي الخطوة الاولى ثمّ ينمو الايمان بالعمل الصالح. اذا كان الانسان لا يؤدّي الصلاة فمهما قرأ كتباً حول الصلاة فانّ ايمانه لا يقوى، وحتّى اذا قرأ مائة كتاب حول الصلاة فانّ ايمانه لا ينمو ما لم يؤدّ الصلاة فعلاً. انّ الايمان يستحكم بالعمل والتلقين. لقّنوا أنفسكم هذه القضيّة وهي انّ الاسلام اذا طلب منّي فانّي مستعدّ للموت. لا انّ الخوف يستبدّ بكم والرعشة تنتابكم اذا سمعتم باسم الموت.

ومن المناسب جدّاً أن نستمدّ العزم من كلام سيّد الشهداء، فقد خاطب أصحابه يوم عاشوراء بقوله:

«صبراً بني الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرّاء الى الجنان الواسعة والنعيم الدائم»[١].

هل الجنان والنعيم أمر غير مطلوب؟ اذن لماذا تخافون منه؟ اذا أنقذكم شخص من السجن وأسكنكم في قصر بهيج فهل تقدّمون له الشكر أم تتألّمون منه؟ انّ الموت ينقذكم من هذه الدنيا التي هي سجن المؤمن ويوصلكم الى قصور الجنّة بما فيها من نعيم. فهل هذا محبوب مطلوب أم مكروه مطرود؟ هل ينبغي الخوف منه أو ينبغي البحث عنه؟ انّ الموت يفعل هذا لكم وليس للجميع. أمّا لأعدائكم فانّه يخرجهم من الجنّة ويدخلهم الى جهنّم. لانّ هذه الدنيا التي هي سجن للمؤمن ـ بالمقارنة الى درجاته الاخرويّة ـ هي جنّة للكافر مع كلّ ما فيها من آلام ومشاكل، لانّ الكافر ينتظره عذاب في الآخرة بحيث كل ما يتحمّله من صعوبات في هذه الدنيا فهو يعتبر جنّة بازاء ألوان العذاب في العالم الآخر. فالموت يخرج الكفّار من جنّتهم ويدخلهم الى جهنّم. أمّا بالنسبة اليكم فانّ الموت ينقذكم من السجن ويدخلكم الى:

(وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ)[٢].

فهل هذا سيّء بالنسبة اليكم وينبغي أن تخافوا منه وتنفروا؟ كلا، بل هو أمر حسن يبحث عنه المؤمن العاقل ويحرص عليه. هكذا كان يربّي الامام الحسينعليه السلام أصحابه وينمّي ايمانهم. اذن ليس من فراغ قال ذلك الطفل الذي لم يتجاوز عمره ثلاثة عشر عاماً: «الموت أحلى عندي من العسل»[٣]. لم يقله مزاحاً وهزلاً، وانّما يقصده بكلّ جدّ لانّه ممّن ربّتهم يد الحسينعليه السلام. أنا وأنت اذا كنّا حسينيّين حقّاً فلابدّ

---

١. بحار الانوار، ج ٦، ص ١٥٤، الباب ٦، الرواية ٩. ٢. سورة آل عمران، الآية ١٣٣.

٣. وسيلة الدارين في أنصار الحسينعليه السلام، ص ٢٥٣.

أن نركّز على هذه التعليمات ونؤمن بانّ مواصلة طريق الحسينعليه السلام يجعل الموت أفضل منحٍ لنا.

كم يتحمّل الانسان من صعوبات في هذه الدنيا، وكم يتجرّع الآلام، وكم يتحمّل الظلم باسم الدين ويتحمّل البدع باسم القراءات الجديدة للدين؟

كلّما أسرع الموت الينا فانّه يريحنا من هذه الغصص.

والله العظيم انّ الموت لذيذ عندي مع هذه الغصص التي نتجرّعها في المجتمع. لو كان الكافر ينشط ضدّنا لما تألّمنا، أمّا تحريف الدين وتحريف خطّ الامام الخمينيقدس سره تحت عنوان احياء آثار الامامرحمه الله فانّه يؤذي الانسان الغيور. ماذا يضرّنا الموت؟ انّه ينقذنا من هذه الغصص والآلام. يقول سيّد الشهداءعليه السلام:

«وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف»[1].

بمقدار ما كان يعقوب مشتاقاً لرؤية يوسف، بعد عدّة أعوام من وقوع يوسف في البئر وحدوث تلك الوقائع له، وقد تحمّل يعقوب ألم البُعد عنه، أنا مشتاق الى الموت الذي ينتهي بي الى وصال جدّي وابي واخي، ان اشتياقي الى الموت اشتياق يعقوب الى يوسف. بمثل هذه الكلمات الصادقة ربّى الحسينعليه السلام أصحابه ورفع معنويّاتهم وبالتالي أعدّهم للشهادة في سبيل الله.

لو تأمّلنا في وضع الشباب قبل انتصار الثوره الاسلاميّة المباركة حيث كانوا متورّطين في منحدر السقوط نتيجةَ التربية السيّئة للنظام الملكيّ البائد، كيف تحوّلوا الى طلاّب شهادة وقاموا بتلك البطولات الرائعة في جبهات القتال، نتيجةَ التربية الحسنة بفضل خطابات الامام الخمينيقدس سره؟

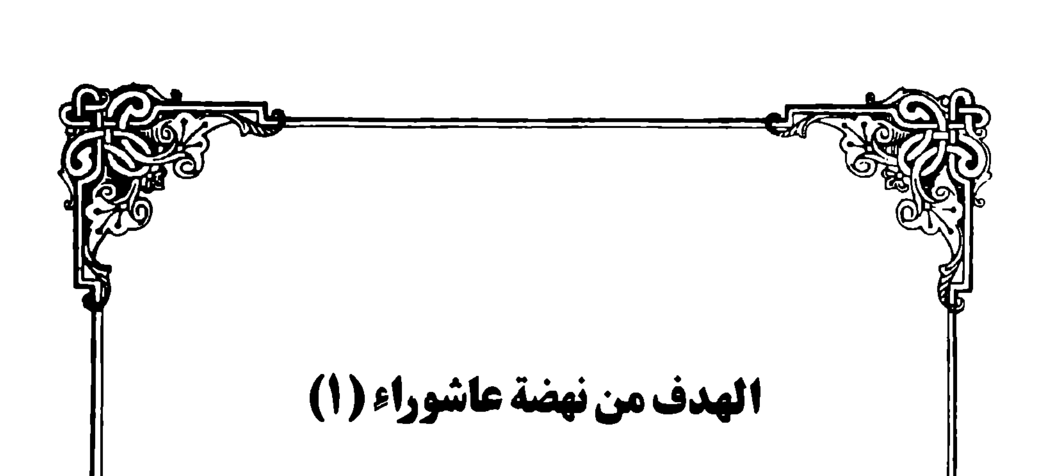
---

١. بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٦٦، الباب ٣٧، الرواية ٢.

ما هو العامل في هذا التحوّل ؟

لاشكّ انّه كلام الامامع حيث كان نابعاً من عمق الروح ولهذا حلّ في أعماق أرواحهم وأدّى بهم الى هذا التحوّل.

فلنبذل قصارى جهدنا لنتلقّى هذا الدرس من سيرة النبي الأكرمﷺ والأئمة الطاهرينعليهم السلام، ونجعلهم أُسوة لنا وللآخرين، ونقوّي في أنفسنا حسّ البحث عن الشهادة، ونروّج للاستعداد للموت في سبيل الله ليصبح غاية آمالنا، وحينئذ لن يتسلّط علينا أيّ عدوّ او طاغوت.



الهدف من نهضة عاشوراء (١)

اصلاح المفاسد هدف اصليّ لنهضة الامام الحسين عليه السلام

مفهوم الاصلاح

تأثير النظام القيميّ في تعريف الاصلاح

الاصلاح من وجهة نظر المنافقين

الاصلاح المطلوب

طرحنا في الفصول السابقة أسئلة تدور حول موضوع عاشوراء ونهضة ابي عبدالله الحسين عليه السلام وقد أجبنا عليها بمقدار ما سمح به معلوماتنا وحجم هذا الكتاب.

ومن جملة الأسئلة المهمّة التي تُطرح في مجال هذه النهضة العظيمة التي لا نظير لها في التاريخ ـ وقد تكرّر طرحه من قبل وأُجيب عليه مراراً ـ هو السؤال عن هدف سيدالشهداء عليه السلام من هذه الحركة. وقد أُجيب عليه بأجوبة عامّة يعلمها الكثير، كقولهم: انّ نهضة الحسين عليه السلام كانت لاحياء الدين واصلاح الامّة.

ولكنّه في ظلّ هذا السؤال العامّ تخطر في أذهان كثير من شبابنا واليافعين عدّة أسئلة فرعيّة، منها:

أيّ اصلاح قد تمّ بهذه النهضة لسيدالشهداء عليه السلام؟

أيّ لون من ألوان الأمر بالمعروف تمثّله نهضة الامام الحسين عليه السلام بحيث كان لابدّ ان تتمّ بهذه الصورة؟

وكيف يتيسّر إحياء الدين بهذه الطريقة؟

هل نجح سيّدالشهداء في هدفه واستطاع بنهضته اصلاح الحكومة والامّة الاسلاميّتين والحيلولة دون وقوع المفاسد؟

انّ هذه الأسئلة تدور في أذهان الكثير من شبابنا، وفي بعض الأحيان يطرحونها باحثين لها عن أجوبة شافية.

لكي نعرف السبب وراء نهضة سيّدالشهداء عليه السلام نتأمّل ـ أوّلاً ـ في مجموعة من

عبارات الامام الحسين عليه السلام ننقلها تبرّكاً و تيمّناً بها ثم نقدّم بعض التوضيحات اللازمة في هذا المجال.

اصلاح المفاسد هدف أصليّ لنهضة الامام الحسين عليه السلام:

في وصيّة له عليه السلام موجّهة الىٰ أخيه محمد بن الحنفيّة وردت جملة معروفة يقول فيها عليه السلام:

«انّي لم اخرج أَشِراً ولا بَطِراً ولا مفسداً ولا ظالماً وانّما خرجت لطلب الاصلاح في امّة جدّي صلى الله عليه وآله»[1].

اذا تعمّقنا في عبارة «لطلب الاصلاح» وجدنا ملاحظة دقيقة، فالامام عليه السلام لم يقل «انّما خرجت للاصلاح» بل قال: «خرجت لطلب الاصلاح». ويشبه هذا التعبير ما ورد في حديث الامام عليه السلام للصفوة والعلماء حيث يقول عليه السلام:

«ولكن لنري المعالم من دينك ونُظهر الاصلاح في بلادك»[2]

و قد تحدّث عليه السلام بهذا الأمر قبل اعلان الخروج علىٰ يزيد والنضال ضدّه. فالامام عليه السلام يدعو في آخر هذه الخطبة ويخاطب اللّه تعالىٰ بما معناه: انّك يا الهي تعلم انّ هدفنا من هذا النشاط السياسيّ ليس سوىٰ ان نبيّن للناس معالم دينك والمعايير الاسلاميّة، اي نبيّن لهم ما هو الدين؟ وما هي علاماته؟ وبأيّ معيار يمكن التمييز بين الأفراد المتديّنين والذين لا دين لهم؟ وهدفنا هو ان «نظهر» الاصلاح في بلادك. ويمكن ان يكون هذا «الاظهار» بأحد معنيين: الأوّل يعني ان نبيّن ما هو معنىٰ الاصلاح. والثاني يعني ان نحقّق الاصلاح ونجعله ظاهراً وغالباً علىٰ الفساد.

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩، الباب ٣٧، الرواية ٢.

٢. نفس المصدر السابق.



مفهوم الاصلاح:

لمّا كانت كلمة «الاصلاح» من الكلمات المستخدمة كثيراً في كتاباتنا السياسيّة وقد أشار اليها قائد الثورة الاسلاميّة حفظه اللّٰه في خطاباته، لذا فنحن نولي هذه الكلمة أهميّة خاصّة ونوضّح أبعادها وجوانبها لكي نكون من المقتدين بالصالحين.

نبدأ أوّلاً بذكر معنىٰ هذه الكلمة ثمّ نستعرض موارد استعمالها في القرآن الكريم والروايات الشريفة ، ثم نقدّم عرضاً للمواضيع التي نراها حسّاسّة في ضوء هذه النصوص الشريفة.

«الاصلاح» كلمة مأخوذه من هذا الجذر وهو «ص ل ح» وله أحد معنيين، اولهما مأخوذ من مادّة (الصُلح)، والثاني مأخوذ من مادّة (الصَلاح). فالاصلاح من مادّة الصُلح يعني رفع الاختلاف والشجار بين فردين أو بين فئتين. وقد وردت كلمة الاصلاح بهذا المعنىٰ في القرآن الكريم في مجال رفع الخلاف بين الزوجين حيث يقول تعالىٰ:

«... فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ يُرِيدٰا إِصْلاٰحاً يُوَفِّقِ اللّٰهُ بَيْنَهُمٰا...»[1]

اي اذا حدث الاختلاف والشجار بين المرأة وزوجها فإنّه يتمّ اختيار حَكَم من قبل أهل الزوج وحكم آخر من قبل أهل امرأته، فان كانت المرأة وزوجها طالبين للاصلاح واقعاً فانّ اللّٰه سبحانه سوف يُصلح بينهما.

وفي آية اخرىٰ يقول تعالىٰ:

«وَ إِنِ امْرَأَةٌ خٰافَتْ مِنْ بَعْلِهٰا نُشُوزاً أَوْ إِعْرٰاضاً فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا أَنْ يُصْلِحٰا بَيْنَهُمٰا صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ»[2]

وهناك تعبير آخر في هذا المجال وهو شائع بين الناس ووارد في القرآن الكريم

---

١. سورة النساء، الآية ٣٥.
٢. سورة النساء، الآية ١٢٨.

ايضاً وهو اصلاح ذات البين الذي يعني ايجاد السلام والعلاقة الحسنة بين شخصين أو فئتين مختلفتين. يقول القرآن الكريم:

«**وَ أَصْلِحُوا ذٰاتَ بَيْنِكُمْ**»[1]

وقد ذكرت الروايات الشريفة ثواباً عظيماً لإصلاح ذات البين، فاذا كان هناك مؤمنان أو عائلتان أو فئتان بينهما اختلاف ونزاع فلابدّ من المبادرة الىٰ اصلاح الوضع بينهما، ويترتب علىٰ هذا الاصلاح ثواب يفوق ثواب الصلاة المستحبة والصوم المستحب.[2] ويتّسع مجال اصلاح ذات البين ليشمل هذه الحالة وهي ما اذا حدث نزاع مسلّح بين فئتين منتسبتين الىٰ المجتمع الاسلاميّ وتقاتلتا، يقول تعالىٰ:

«**وَ إِنْ طٰائِفَتٰانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمٰا...**»[3]

فالحلّ الأوّل الذي تطرحه الآية الكريمة هو الإصلاح برفع الاختلاف سلميّاً، ثمّ تتعرّض الآية بعد ذلك لموضوع الجهاد بعد فشل الحلّ السلميّ وهو خارج عن بحثنا الحاضر.

اذن كلمة الاصلاح في هذه الموارد تعني ايجاد السلام ورفع الاختلاف بين فردين أو فئتين من الناس.

أمّا الاستعمال الآخر لكلمة الاصلاح فهو مأخوذ من مادّة الصَلاح وهو في مقابل الفساد. فالعمل الصالح والشخص الصالح هو غير الفاسد. والاصلاح بهذا المعنىٰ يكون في مقابل الافساد، ويعني القيام بالعمل الصالح أو رفع الفساد. ويُطلق اسم «المصلح» علىٰ الشخص الذي يقوم بأعمال صالحة تماماً ويرفع ألوان الفساد والنقص والعيب من الوسط الاجتماعيّ. ويكون في مقابله اسم «المفسد» الذي

---

١. سورة الأنفال، الآية ١.

٢ بحار الأنوار، ج ٤٢، الباب ١٢٧، الرواية ٥١ و٥٨؛ ج ٧٥، الباب ٣٤، الرواية ٣؛ ج ٧٦، الباب ١٠١، الرواية ٢؛ ج ٧٨، الباب ١٨، الرواية ٢.

٣. سورة الحجرات، الآية ٩.

يطلق علىٰ من يوجِد الفساد ويروّج له في الوسط الاجتماعيّ. وبهذا المعنىٰ جاء اصطلاح «المفسد في الأرض». وهذا المعنىٰ للاصلاح يختلف عن الاصلاح بمعنىٰ رفع الاختلاف بين فردين أو فئتين. فالذي يحاول ان يرفع فساداً أو يعمل عملاً صالحاً لا يواجه فرداً معيّناً. وبناءً علىٰ هذا فالاصلاح المأخوذ من مادّة الصلاح له مصداقان، أحدهما بمعنىٰ القيام بالعمل الصالح، والثاني بمعنىٰ رفع الفساد أو الحيلولة دون وقوعه. وكلا المصداقين قد استُعمل في القرآن الكريم، قال تعالىٰ:

«إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا»[1]

أي انّهم عملوا اعمالاً صالحة بعد توبتهم بدل تلك الأعمال الخاطئة والذنوب التي كانوا قد ارتكبوها.

والاصلاح الذي يتميّز بالبُعد الاجتماعيّ وهو مطروح في أحاديث أبي عبدالله الحسين عليه السلام وفي الدراسات السياسيّة والاجتماعيّة المعاصرة هو الاصلاح في مقابل الافساد، ويعني اصلاح المفاسد.

الىٰ هنا اتّضح مفهوم الاصلاح كما جاء في اللغة العربيّة وكما هو مستعمل في القرآن الكريم والدراسات الدينيّة.

أمّا مفهوم الاصلاح في الجوّ السياسيّ المعاصر فقد اكتسب خصوصيّة معيّنة في المصطلحات السياسيّة فهو يستعمل بمعنىٰ «رِفُرم»[2]، وفي مقابل مفهوم الانقلاب والثورة.

يقولون انّ التغييرات التي تحدث في المجتمع تارةً تتمّ بصورة تدريجيّة وبطيئة وبهدوء وتأنٍّ، فيُطلق عليها عندئذ اسم «رِفُرم»، ويُطلق علىٰ الذين يقومون بهذه

---

١. سورة البقرة، الآية ١٦٠؛ سورة النساء، الآية ١٤٦.

2. Reform

التغييرات في المجتمع اسم «رِفُرميست»[1]. واللفظ المتداوَل اطلاقه عليهم في العالم السياسيّ اليوم هو اسم «الإصلاحيّين».

وفي مقابل هؤلاء يوجد أشخاص يريدون تغيير الأوضاع دفعةً وهم الانقلابيون أو الثوريون. فالثورة تعني التغيير الاجتماعيّ المفاجئ والسريع الذي يرافقه العُنف أحياناً، مثل الثورة الاسلاميّة في ايران.

انّ هذا الاصطلاح لِ«الاصلاح» هو اصطلاح سياسيّ في مقابل الثورة، ويستعمل بالمعنىٰ الأخصّ للاصلاح، ولا علاقة له بالمعنىٰ اللغويّ ولا بـالاصطلاح الديـنيّ للكلمة، وانّما هو اصطلاح سياسيّ حديث، يستعملون فيه «الاصلاح» بمعنىٰ مقابل للثورة.

ومن الواضح انّ هذا المصطلح حديث ولم تُستعمل هذه الكلمة بهذا المعنىٰ لا في القرآن الكريم ولا في الروايات الشريفة. فاذا قال سيّدالشهداء عليه السلام: «انّما خرجت لطلب الاصلاح في امّة جدّي» فانّه لا يقصد هذا المعنىٰ الخاصّ للكلمة، حيث انّ نهضته المباركة لم تكن تحرّكاً تدريجيّاً هادئاً ومن دون عنف، بل كانت حرباً وقتالاً وتضحية بعشرات الشرفاء في سبيل ذلك الهدف الرفيع.

وقد أشار قائد الثورة الاسلاميّة في خطاباته الىٰ هذه الملاحظة فأكّد علىٰ أنّنا عندما ننادي بالاصلاح فنحن لا نقصد به معناه الخاص المتداول اليوم في العـالم السياسيّ، وانّما نقصد به كلّ لون من ألوان النضال ضدّ الفساد ولرفع المفاسد، سواء أكان ذلك يتمّ بصورة تدريجيّة أم بصورة دفعيّة وثوريّة. ولهذا أعلن سـماحته انّ الثورة الاسلاميّة في ايران كانت أعظم اصلاح في هذا القرن، مع انّه لا يُطلق عليها مفهوم «الاصلاح» بالمعنىٰ السياسيّ المتداول اليوم.

---

1. Reformist

ويقصد سماحته انّنا عندما نتحدّث عن الاصلاح بالمعنىٰ الوارد في القرآن الكريم والروايات الشريفة فنحن نقصد معناه الأعمّ الذي يشمل الاصلاح الذي يتمّ بصورة تدريجيّة والاصلاح الذي يتمّ بصورة دفعيّة وثورية وبسرعة وعجلة. ولهذا اعتُبرت الثورة الاسلاميّة أكبر اصلاح في القرن العشرين، لانّها أدّت الىٰ رفع مفاسد كثيرة، وان كان هذا الإنجاز قد تمّ بصورة دفعيّة. صحيح انّ مرحلة الثورة قد امتدّت خمسة عشر عاماً حتّىٰ انتصرت، لكنّ انتصار الثورة علىٰ النظام السابق قد تمّ بصورة دفعيّة، فتغيّرت أجهزة البلد ومؤسّساته وسياساته السابقة بصورة مفاجئة ووضع دستور جديد، وحدثت في البلاد تحوّلات أساسيّة شملت جميع الأبعاد المهمّة.

تأثير النظام القيميّ في تعريف الاصلاح:

قلنا: انّ كلمة «الاصلاح» في القرآن الكريم امّا ان تكون مأخوذة من مادّة «الصُلح» وامّا ان تكون مأخوذة من مادّة «الصلاح» ونحن نعتمد في بحثنا هذا علىٰ الاصلاح المأخوذ من مادّة «الصلاح» الذّي هو في مقابل «الفساد». والصلاح والفساد في القرآن هما من أعمّ المفاهيم القيميّة. ولمّا كان بعض شبابنا لا يتمتّع بالاحاطة العلميّة الكافية بمعاني هذه المصطلحات لذا نجد أنفسنا ملزمين بتقديم توضيح مختصر للمفاهيم القيميّة.

فالمفاهيم الّتي نستخدمها تارةً تتحدّث عن الأشياء الموجودة في الخارج، وتارةً اخرىٰ تتحدّث عن الأشياء التي ينبغي أن توجد أو لا ينبغي أن توجد. والمفاهيم التي تستبطن معنىٰ «ينبغي» و«لاينبغي» تُسمّىٰ بـ«المفاهيم القيميّة».

ما هو الفعل الحسن؟ هو الفعل الذي «لابدّ» من القيام به.

ما هو الفعل القبيح؟ هو الفعل الذي «لاينبغي» القيام به.

ما هو «الصلاح»؟ هو ذلك الشيء الذي «لابدّ» من البحث عنه والحرص عليه.

ما هو «الفساد»؟ هو ذلك الشيئ الذي «لاينبغي» فعله، أو «لابدّ» من الحيلولة دون وقوعه.

فالصلاح والفساد مفهومان قيميّان، أي عندما نقوم بتحليلهما فانّهما يستبطنان معنىٰ «ينبغي» و«لاينبغي».

والمفاهيم القيميّة تارةً تكون محدودة وتُستعمل في مورد خاص، وتارةً اخرىٰ تكون واسعة بحيث تشمل جميع الأفعال الحسنة أو جميع الأفعال القبيحة.

والمفاهيم التي تشمل جميع الأفعال الحسنة أو جميع الأفعال القبيحة تُسمّىٰ بالمفاهيم القيميّة العامّة.

ونلاحظ في القرآن الكريم وجود عدّة مفاهيم قيميّة عامّة ومن جملتها مفهوم «الصلاح» ومفهوم «الفساد».

ومن جملتها أيضاً مفهوم «المعروف» ومفهوم «المنكر»، فالمعروف هو كلّ فعل حسن، والمنكر هو كلّ فعل قبيح.

و«الخير» و«الشرّ» يعتبران أيضاً من جملة المفاهيم القيميّة العامّة الواردة في القرآن الكريم.

من ميزات المفاهيم القيميّة انّها لا تخضع للمعايير التجريبيّة العينيّة. فاذا قلنا «الجوّ ساخن» أو «هذا المكان مضيء» فنحن نستطيع ان نثبت ذلك بالتجربة العينيّة، مثلاً اذا كان الطقس بشكل يؤدّي الىٰ تصبّب العرق من أجسامنا ونشعر بعدم الارتياح فإن الجوّ ساخن، وأمّا اذا كنّا نرتجف فانّ الجوّ بارد. وبنفس الطريقة نستطيع ان نتأكّد من انّ هذا المصباح يضيء واذا ضغطنا علىٰ الزرّ المتعلق به فانّه ينطفئ. اذن صحّة أو خطأ هذه الموارد يمكن اثباتها بالتجربة الحسيّة والعينيّة بحيث يمكن التأكّد من صحّة أو خطأ هذه الجمل القائلة: «الجوّ ساخن» أو «هذا المكان مضيئ» أو «الجوّ بارد».

لكنّ المفاهيم القيميّة ليست بهذه الصورة. فبأيّ حسّ يمكننا تجربة حسن أو قبح فعل من الأفعال؟

ولهذا يقولون انّ «الحسن والقبح» و«الصلاح والفساد» و«المعروف والمنكر» كلّها تابعة للنظام القيميّ. فالأفراد والفئات والمجتمعات تتمتّع بنظام قيميّ، بمعنىٰ انّها تعتبر مجموعة من الأفعال حسنة وقيّمة، ومجموعة اخرىٰ من الأفعال قبيحة وسيّئة. وقد يكون أحد الأفعال حسناً في نظام قيميّ، وهو نفسه يُعتبر قبيحاً في نظام قيميّ آخر. مثلاً في مجتمع مّا يُؤدّىٰ الاحترام للآخرين بشكل معيّن ويعتبر هذا حسناً، بينما نفس هذا الفعل يُعتبر قبيحاً وسيّئاً في مجتمع آخر.

وبناءً علىٰ هذا فـ«الصلاح» و«الفساد» يتفاوتان بشكل يتناسب مع الأنظمة القيميّة المختلفة، فليس الأمر بهذه الصورة وهي انّ الناس مجمعون علىٰ اعتبار شيء مّا حسناً وشيء آخر قبيحاً.

وبالالتفات الىٰ كون «الصلاح والفساد» و«الاصلاح والافساد» من المفاهيم القيميّة، فاذا استُعملت في مجال معيّن فانه يُطرح هذا السؤال وهو: حسب أيّ نظام قيميّ يكون هذا «الاصلاح»؟ هل المقصود به هو الاصلاح الأمريكيّ أم الاصلاح الاسلاميّ؟

لماذا قال قائد الثورة الاسلاميّة: انّ الاصلاح الاسلاميّ الايماني الثوريّ هو مورد قبول جميع الناس في مجتمعنا، امّا الاصلاح الامريكيّ فهو مرفوض من قبل الجميع فيه؟ ما الفرق بين الاصلاح الأمريكيّ والاصلاح الاسلاميّ؟

الجواب هو: انّ اعتبار شيء ما اصلاحاً تابع للنظام القيميّ والثقافيّ الذي تُستعمل فيه هذه الكلمة، فلابدّ من التأكّد من هذا الأمر وهو: أيّ فعل يعتبرونه حسناً وأيّ فعل يعتبرونه قبيحاً؟ وما هو معيارهم في تشخيص الحسن والقبيح وفي تمييز اللائق من غير اللائق؟

اذن لكي نعرف أيّ فعل حسن وأيّ فعل قبيح لابدّ أن نبيّن معيارنا في البداية، بمعنىٰ ان نبيّن أيّ نظام قيميّ نحن نعتنقه، هل نحن نؤمن بالنظام القيميّ الاسلاميّ ونريد القيام بـ«الاصلاح» حسب هذا النظام القيميّ، اي انّنا نريد ان ننفّذ كلّ ما يقول الاسلام انّه حسن، ونريد ان نقاوم كل مايقول الاسلام انّه قبيح؟ أم انّنا نريد القيام بكلّ ما يقول الامريكيّون انّه حسن وان كان مضاداً للاسلام، ونريد مقاومة كلّ مايقول الامريكيّون انّه قبيح وان كان الاسلام يأمر بفعله؟

هل هذا أمر ممكن؟ نعم انّه ممكن.

توضيح ذلك: انّ جميع الناس مع اختلاف ثقافاتهم وتنوّع ظروفهم يعرفون قبح بعض الأشياء ويسلّمون بذلك. مثلاً اذا ضرب شخص شخصاً آخر من دون ذنب أو وجّه له كلماتٍ نابية، أو قام شخص باغتيال شخص آخر بصورة مخالفة للقانون ومن دون ان يكون ظالماً، وكذا اذا اغتصب شخص أموال شخص آخر من دون مبرّر، أو اعتدىٰ علىٰ عرضه بشكل عنيف، فانّ الناس في جميع هذه الموارد يقولون انّه قد فعل شيئاً قبيحاً.

والواقع انّ الجميع يعرفون أمثال هذه المصاديق من الظلم، وهي تُعدّ قبيحة في جميع الثقافات.

ومن جهة اخرىٰ توجد هناك أعمال تُعدّ حسنة عند جميع الناس، مثل القيام بخدمات تؤدّي الىٰ سلامة الناس، من قبيل اكتشاف دواء وجعله تحت تصرّفهم، أو سائر الخدمات الصحّية، والكلّ يقول انّها أعمال حسنة، ولا خلاف علىٰ ذلك.

إلاّ انّ جميع موارد الحسن والقبح ليست بهذه الصورة، فبعض الموارد التي نحن بأمسّ الحاجة اليها اليوم يُنظر اليها بأشكال مختلفة في المجتمعات المتنوّعة. فقد طرق سمعكم قطعاً مايُشاع اليوم من انّ الثقافة لابدّ ان تصبح عالمية، أو انّ امريكا تحاول فرض ثقافتها بالقوّة علىٰ جميع أرجاء العالم. انّ الدعوة الىٰ وحدة الثقافة أو

عولمة الثقافة الغربيّة هي بسبب انّ هؤلاء يعتبرون بعض الامور حسنة وبعض الامور الاخرىٰ قبيحة، ويقولون للآخرين تعالوا فكّروا كما نحن نفكّر ولابدّ لكم من اعتناق القيم التي نحن نعتنقها. ونحن لا نذكر بعض الأمثلة لذلك لانّها ممّا يُستقبح التصريح به، ولكنّ هناك بعض المصاديق لهذا الموضوع بيّنة وواضحة. مثلاً يعتقد هؤلاء انّ العقوبات الشديدة ـ من قبيل الجلد وقطع اليد والإعدام وأمثالها ـ قبيحة وسيّئة، ولهذا جاء في منشور حقوق الانسان انّ جميع الدول مكلّفة بإلغاء العقوبات العنيفة. ويزعم هؤلاء انّ قانون العقوبات الاسلاميّ الذي يتضمّن الجلد وقطع اليد والإعدام وبعض صور الحدود الاخرىٰ هي عقوبات تتميّز بالعنف والخشونة. ويعلن منشور حقوق الانسان انّ جميع دول العالم لابدّ لها من السعي لإلغاء مثل هذه العقوبات، وهذا يعني انّ وجود هذه العقوبات فساد لابدّ من اصلاحه. كيف يتمّ هذا الاصلاح ؟ لابدّ من الغاء هذه القوانين!

أمّا نحن ماذا نقول؟ نحن علىٰ أساس الثقافة الاسلاميّة نقول: انّ ماجاء به القرآن الكريم لابدّ من تنفيذه، واذا لم يتمّ تنفيذه فانّه فساد. فالفساد هو ترك الحدود الالهيّة وتعطيلها وليس تنفيذ الحدود الالهيّة.

اولئك يقولون إنّ تنفيذ الحدود الاسلاميّة أمر قبيح لابدّ من مقاومته ويجب الغاء القوانين المتعلّقة بها ويتعيّن الحيلولة دون العمل بها، وعندئذ يتحقّق الاصلاح.

انّ هذا هو الاصلاح القائم علىٰ أساس الثقافة الغربيّة، وهو الوارد في منشور حقوق الانسان.

وعندما يصرّحون بانّهم يناضلون ضدّ العنف فمقصودهم هو هذا. وإلاّ فانّ موارد العنف العادّي يسلّم الجميع بانّها قبيحة، مثل اطلاق الكلمات البذيئة علىٰ الناس وسوء الخلق معهم.

الخلاف علىٰ شيء آخر وهو: كيف يُنظر الىٰ قطع يد السارق واعدام القاتل

المتعمّد ومعاقبة المحارب والمخلّ بالأمن الاجتماعيّ؟ هؤلاء يقولون: انّ هذه ألوان من الفساد وهي قبيحة، والعالم المتحضّر اليوم يرفض مثل هذه الممارسات ويدينها. فلابدّ من تركها ومقاومتها حتّیٰ يتمّ الاصلاح. اذا وجدنا مثل هذه الأحكام في مجموعة مّا من القوانين، فانّ تلك المجموعة من القوانين لا تنسجم مع الحياة الغربيّة المتحضّرة، اذن لابدّ من اصلاحها.

أمّا الاصلاح الذي ندعو اليه نحن فهو عكس هذه النظرية تماماً، اذا كانت الحدود الالهيّة معطّلة في مجال معيّن فلابدّ من تنفيذها لكي يتمّ الاصلاح، واذا لاحظنا قانونا مخالفاً للقانون الاسلاميّ فلابدّ من تغييره ليتمّ الاصلاح. موافقة القانون للاسلام هو «الاصلاح»، ومخالفة القانون للاسلام هو «الافساد».

الاصلاح من وجهة نظر المنافقين:

منذ أزمان موغلة في القِدم أُسيئ استغلال مثل هذه الكلمات واستُخدمت بشكل غير صحيح وتمّت المغالطة فيها، وقد تميّز المنافقون بمثل هذه الأساليب. فالمنافقون لهم وجهان وهم دائماً يتحدّثون بشكلٍ يمكن تبريره بالنسبة للطرفين. النفاق يعني الظهور بوجهين، انّهم يتحرّكون بين الحقّ والباطل، لا يظهر الحقّ الخالص علىٰ ألسنتهم ولا الباطل المحض، وذلك من أجل استغلال الموقف اللاحق. فان كانت النتيجة لصالح أهل الحقّ فانّهم يعلنون انفسهم جزءاً من معسكر الحقّ قائلين: «ألم نكن معكم؟» فنحن مؤمنون. وامّا اذا كانت النتيجة لصالح أهل الباطل فانّهم يقولون: لقد نصحنا هؤلاء منذ البداية وحذّرناهم من هذه الأفعال ولكن لم تكن لهم أُذن صاغية. قلنا لهم: مادمتم قد استرجعتم مدينة «خرمشهر» من أيدي الجيش العراقي في السنين الأُولىٰ من الحرب فاتركوا القتال وكفّوا عن الحرب، ولكنّهم لم يُصغوا الىٰ النصيحة!



انّ من الأساليب الثابتة للمنافقين هو التحرّك على الحدّ الفاصل بين الحق والباطل، كما يقول تعالىٰ:

«**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذٰلِكَ لاٰ إِلىٰ هٰؤُلاٰءِ وَ لاٰ إِلىٰ هٰؤُلاٰءِ**».(۱)

انهم انتهازيّون، وهم في الواقع لا يعترفون بهذا الطرف ولا بذلك الطرف، وانّما هم باحثون عن مصالحهم الخاصّة، فان هبّت الريح من هذا الجانب فهم ثوريّون، واذا أمسكت بزمام الامور فئةٌ اخرىٰ أصبحوا اصلاحيّين ومنتمين الىٰ الطرف الآخر. في كلّ يوم تتغيّر فيهم الألوان، ويبدّلون أقنعتهم بما يتناسب مع الظروف. هذه هي من أبرز ميزات النفاق.

ومن الخصائص الاخرىٰ للنفاق انّ المنافقين يعتبرون أنفسهم مصلحين دائماً، يقول اللّٰه تعالىٰ:

«**وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مٰا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخٰادِعُونَ اللّٰهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مٰا يَخْدَعُونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزٰادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ بِمٰا كٰانُوا يَكْذِبُونَ. وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ لاٰ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قٰالُوا إِنَّمٰا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلاٰ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لٰكِنْ لاٰ يَشْعُرُونَ**»(۲)

بعض الناس يدعي انّه من جملة المتدينين ولكنّه كاذب في هذا الادّعاء، ويقوم بالافساد فيخالف القانون ويتّهم الناس بدون دليل ويغتال الشخصيّات بلامبرّر ثمّ يقول انا وجماعتي «انّما نحن مصلحون». يقول اللّٰه تعالىٰ: اذا نصحهم ناصح بان «لا تفسدوا في الأرض» (هذا الافساد بحسب النظام القيميّ الاسلاميّ) فانّهم لا يقبلون هذه النصحية لانّهم لايؤمنون بالنظام القيميّ الالهيّ القرآنيّ بل يؤمنون بنظام قيميّ آخر لا يعتبر هذا فساداً.

---

۱. سورة النساء، الآية ۱٤۳.

۲. سورة البقرة، الآيات ۸ـ۱۲.

ويمكننا ان نجسّم هذا النظام الذي هو مطمح أنظارهم ـ في عصرنا الحاضر ـ في النظام القيميّ الامريكيّ أو الغربيّ. وقد كان في عصر النبيّ الأكرمﷺ نظام قيميّ إلحاديّ يقف في مقابل ما جاء به النبيّﷺ من نظام قيميّ اسلاميّ. لا فرق بين هذا وذاك فكلّ ما هو مضادّ للاسلام فهو كفر وإلحاد سواء أكان نظاماً أمريكيّاً أم انجليزيّاً أم منتسباً لقوم آخرين، فاذا لم يكن النظام اسلاميّاً فان «الكفر ملّة واحدة».

واذا قال القرآن: «لاتفسدوا في الأرض» فانّه ينهىٰ عن القيام بأعمال تعدّ فساداً بحسب النظام القيميّ الاسلاميّ.

لكنّ هؤلاء يقولون «انّما نحن مصلحون» ولسنا مفسدين. سرّ هذا الاختلاف أنّ هؤلاء ينظرون الىٰ الامور بمنظار يختلف في المبنىٰ والأساس عن المنظار القرآنيّ. فاللّه تعالىٰ يعتبر شيئاً مّا اصلاحاً بينما هؤلاء يعتبرون شيئاً آخر اصلاحاً. واللّه سبحانه يعتبر شيئاً معيّناً افساداً بينما هؤلاء يعتبرون شيئاً آخر افسادا. ثمّ يؤكدّ اللّه تعالىٰ علىٰ أمر مهمّ فيقول: «ألا انّهم هم المفسدون» باستعمال ضمير الفصل و«الالف واللام» ممّا يفيد الحصر، اي انّ المفسدين الحقيقيّين هم هؤلاء المنافقون الذين يدّعون انّهم مصلحون، وهم في الواقع كاذبون، انّهم يدّعون الايمان وهم كاذبون، ويقولون انّهم مثقّفون مستنيرون في الدين، وهم لا يعرفون من الدين إلاّ القليل. فاذا جرىٰ الحديث عن الوحي قالوا: انّ الوحي تجربة شخصيّة! فالشخص يعيش في بعض الأحيان حالةً روحيّة معيّنة ويتصوّر انّ اللّه يكلّمه! وهذا التصوّر يصبح وحياً بالنسبة اليه! وعندما يجري الحديث عن الدين فهم يقولون: انّ الدين متعلّق بالامور الشخصيّة فحسب، ولا علاقة للدين بالاقتصاد ولا بالشؤون السياسيّة ولا بالامور الاجتماعيّة ولا حتّىٰ بالقيم الأخلاقيّة! فالقيم أيضاً ليست جزءاً من الدين! لانّ القيم متغيّرة، ولابدّ ان تتغيّر في كلّ عصر حسب أذواق الأشخاص! فما هو الدين اذن؟ انّه مجموعة من المناسك والآداب والقواعد

الاعتباريّة التي تُقدّم بعنوان انّها عبادة لشئ يتصوّر الشخص انّه ربّه وإلٰهه! ومن الممكن ان يُصبّ هذا المفهوم في قالب عبادة الأصنام أو عبادة اللّٰه! وقد يعبد الشخص إلٰهين أو ثلاثة آلهة. هذا هو الدين! كلّ هذه لا يختلف بعضها عن بعض. هذا صراط مستقيم وذاك أيضاً صراط مستقيم آخر! عبادة الصنم المصنوع من الحجارة صراط مستقيم وعبادة اللّٰه التي يقول بها الاسلام ويُقصد بها وجه اللّٰه الذي هو الكمال المطلق المنزّه عن الجسم والجسمانيّات هي دين وصراط مستقيم آخر! ولا فرق بينهما!

كيف يمكن ان لا يكون بينهما فرق؟

لانّ أيّاً منهما ـ من وجهة نظر هؤلاء ـ ليس له واقع. هذا كاذب وذاك كاذب، ولا فرق بينهما من هذه الجهة!

انّ أمثال هؤلاء يدّعون التديّن، ولا تقتصر المصيبة علىٰ هذا، بل يدّعون انّهم قادة وهادون يهدون الآخرين ويعلّمونهم الدين!

وهم يزعمون أيضاً انّهم مصلحون! الاصلاح حسب أيّ نظام قيميّ؟

انّهم يصرّحون بانّه لا يوجد نظام قيميّ ثابت في العالم، ولا يمكن ان يكون ثابتاً. واذا جرىٰ الحديث عن أحكام الاسلام فلكي يخدعوا الآخرين فهم يقولون نعم انّ هذا حكم اسلاميّ ولكنّه قد وضع لظروف كانت سائدة قبل ألف واربعمائة عام! أمّا اليوم فقد تغيّرت الظروف، والاسلام دين حَرَكيّ وهو متغيّر الشكل في كلّ عصر.

نحن مسلمون وقد قمنا بثورة اسلاميّة ونلحّ في تطبيق النظام الاسلاميّ. لكن أيّ اسلام نحن نطالب به؟ أهو الاسلام الذي نزل من اللّٰه تعالىٰ علىٰ النبيّ الأكرم ﷺ قبل الف وأربعمائة عام أم الاسلام الذي جاء به هؤلاء من أمريكا؟

الذين قدّموا مئات الآلاف من الشهداء لكي يحكم هذا البلدَ نظامٌ اسلاميّ هل هم يقصدون الاسلام القادم من أمريكا؟ هذا الكفر الذي جعل عليه اسم الاسلام ظلماً

وعدواناً؟ هذا الافساد الذي أُطلق عليه اسم الاصلاح؟ الىٰ ايّ اصلاح يهدف هؤلاء؟ الىٰ كشف الحجاب وحضور النساء في مجالس الرجال عاريات؟ الىٰ حريّة بيع الخمور وشربها؟ الىٰ حضور الشباب الفتيات في الشوارع والرقص معاً؟ وكذا احياء سنن الكفّار التي تعود الىٰ ما قبل ألفين وخمسمائة عام!

هذه هي من موارد الاصلاح التي يهدف اليها الاصلاحيّون.

انّها في الواقع تعطيل للأحكام الالهيّة وتغيير للقوانين القرآنيّة! ولكنّهم يطلقون عليها اسم «الاصلاح»!

صدق اللّه العليّ العظيم اذ يقول:

«وَ إذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ ألا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لٰكِنْ لا يَشْعُرُونَ»

الاصلاح المطلوب:

و الآن نتساءل: لماذا نهض سيّدالشهداءعليه‌السلام؟

هل كانت نهضته تهدف الىٰ أن يسود الناسَ نظامٌ «مبتكر» «متغيّر»؟

هل كان هذا هو مضمون «الاصلاح» الذي جاء به؟

أم انّه صرّح بكل وضوح: يجب عليكم ان تنفذّوا نفس الأحكام الّتي جاء بها جدّي رسول اللّهصلى‌الله‌عليه‌وآله؟

عندما رأىٰعليه‌السلام من يدّعي الخلافة يعاقر الخمر ويصلّي بالناس وهو سكران هل رحّب بهذه الحالة واعتبرها اصلاحاً؟ أم أطلق صرخة مدوّية قائلاً: لابدّ من اجراء الحدّ علىٰ شارب الخمر؟

ثم نلقي نظرة علىٰ سلوك مدّعي الاصلاح في بلادنا ـ خلال الفترة الأخيرة ـ حيث يعطون الضوء الأخضر لشاربي الخمر، وفي بعض الموارد تقول بعض

المؤسّسات الرسميّة لهذا البلد الاسلاميّ للضيوف الأجانب: اذا كنتم بحاجة الىٰ «البيرة» فسوف نحضرها لكم! ويعتبرون هذا لوناً من الاصلاح!

لماذا؟ يقولون: انّ الناس تشدّدوا كثيراً في أوائل الثورة، وقد منع هذا التشدّد الضيوف الأجانب من المجيء الىٰ بلادنا. أمّا نحن فنحاول اصلاح الوضع لكي نجتذب الضيوف الأجانب الىٰ بلادنا وننتفع من وجودهم بين اظهرنا! فنحن نرحّب بالضيوف الأجانب وهم يحملون أمتعتهم التي تحتوي علىٰ المسكرات وأشياء اخرىٰ لا أحبّ ان اخوض فيها!

ماذا يقصد سيّد الشهداء عليه السلام بـ «الاصلاح» حينما قال:

«انّما خرجت لطلب الاصلاح في أمّة جدّي»؟

ونضمّ الىٰ هذا النصّ نصّاً آخر وهو جزء من خطاب له عليه السلام ألقاه أثناء مسيره نحو كربلاء، لعلّه يساعدنا علىٰ توضيح الموضوع اكثر. يقول عليه السلام: «انّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد قال في حياته من رأىٰ سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم اللّه ناكثاً لعهداللّه مخالفاً لسنّة رسول‌اللّه يعمل في عباداللّه بالاثم والعدوان ثمّ لم يغيّر بفعل ولا قول كان حقيقاً علىٰ اللّه ان يدخله مدخله. وقد علمتم انّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتولّوا عن طاعة اللّه واظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام اللّه وحرّموا حلاله وانّي أحقّ بهذا الأمر»[١]

كلّ من يرىٰ حاكماً قد تسلّط علىٰ الآخرين بالقوّة وهو ناكث لعهد اللّه، ما هو عهد اللّه؟ انّه عهد العبودية الوارد في قوله تعالىٰ:

«أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَ أَنِ اعْبُدُونِي هٰذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ»[٢]

---

١. بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٨٢، الباب ٣٧، الرواية ٢.

٢. سورة يس، الآيتان ٦٠ـ٦١.

كل من يرىٰ حاكماً يستغلّ قدرته للتحلّل من عبوديّة اللّٰه، ويسير بشكل مخالف لسنّة رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله حيث لا يعمل بأقواله صلى الله عليه وآله، ويتّسم سلوكه مع الناس بالاثم والعدوان، من رأىٰ سلطانا بهذه الصفات ثمّ لم يغيّر عليه بفعل ولا قول، أي لم يعمل عملاً ولم يقل قولاً يدفع هذا الشخص للعودة الىٰ المسير الصحيح، فانّ من حقّ اللّٰه سبحانه ان يُدخله جهنّم مع ذلك الظالم. ذلك الحاكم قام بعمل خاطئ، وهذا الشخص قد سكت عن هذا الخطأ، ويعتبر السكوت إمضاءً لعمل مرتكب الخطأ ويؤدّي الىٰ ان يصبح الشخص جليساً للمخطئ.

ثم يشير عليه السلام الىٰ القوم الذين يواجههم ـ وهم بنو اميّة ـ فيؤكّد علىٰ انّهم قد عملوا علىٰ عكس عهد اللّٰه المبيّن في قوله تعالىٰ: «**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَ أَنِ اعْبُدُونِي هٰذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ**». فهم «قد لزموا طاعة الشيطان وتولّوا عن طاعة اللّٰه».

ويواصل عليه السلام خطابه فيقول: «و أظهروا الفساد» وهو موضع شاهدنا في هذا البحث، حيث أظهروا الفساد في المجتمع. ماذا فعلوا؟ يقول عليه السلام في عطف تفسير علىٰ العبارة السابقة: «و عطّلوا الحدود» الالهيّة. ففي المورد الذي لابدّ ان تُقطع فيه يد السارق فانّهم لا يقطعونها، وفي المورد الذي لابدّ ان يُجلد فيه الزاني والزانية فانّهم لا يجلدونهما، وفي المجال الذي لابدّ ان تُنفّذ فيه سائر الأحكام الالهيّة فانّهم لا ينفّذونها. هذا هو الفساد في ثقافة الامام الحسين عليه السلام.

ويضيف الامام عليه السلام توضيحاً فيقول: «و استأثروا بالفيئ»، بيت المال الذي يجب ان يُنفق علىٰ جميع المسلمين والامكانيّات الّتي لابدّ ان توضع تحت تصرّف الجميع بشكل مساوٍ، استأثروا بها وقصروها علىٰ أنفسهم ومن يدور في فلكهم.

«و احلّوا حرام اللّٰه» هناك امور لا يشكّ مؤمن في انّ اللّٰه قد حرّمها، لكنّ هؤلاء يقولون: ان القليل منها لا يضرّ! أو انّها لاشكال فيها الآن لانّ الاسلام سيّال! ونحن نؤمن

بالفقه الحركيّ! كانت هذه الامور حراماً في الأمس البعيد، وقد أصبحت اليوم حلالاً!

لقد عبثوا بكلّ شيء، حتّىٰ انّ بعض الشباب المتديّن يسأل: متىٰ يصبح الرقص حلالاً؟ أمّا آن الأوان لكي تُفتوا بحليّته؟ متىٰ يصبح من الجائز ان يتّخذ الشاب صديقة له، وان تتّخذ الفتاة صديقاً لها؟

ونجيب: بانّ هذه الامور لا يمكن ان تصبح حلالاً، لانّ اللّٰه تعالىٰ حرّمها، وما حرّمه اللّٰه سبحانه يبقىٰ حراماً الىٰ يوم القيامة.

يقولون: كلاّ، هناك أُمور كثيرة كانت حراماً، واليوم قد أُحلّت! فمتىٰ تُضاف هذه الامور الىٰ قائمة المحلّلات؟

انّهم صادقون في تساؤلهم! لانّ اولئك قد عرّفوا الفقه الحركيّ بشكل يتضمّن تغيير أحكام اللّٰه.

من الذي يقوم بتغيير أحكام اللّٰه؟

الحاكم المتسلّط!

يقول الامامؑ اذا أصبح الوضع بهذا الشكل فقد قال رسول اللّٰهﷺ من لم يتعرض علىٰ هذا السلوك ولم يغيّر بفعل ولا قول فسيغدو جليس الحكّام الظلمة في نار جهنّم، ومن أولىٰ منّي بالنهوض لتغيير هذا الوضع المنحرف؟ اذن تحرُّكي يهدف الىٰ اصلاح هذه الموارد.

ما هو معنىٰ «خرجت لطلب الاصلاح في امّة جدّي»[١]؟

معناه «اصلاح» هذه الامور: لابدّ من العودة لتطبيق الحدود الالهيّة، ويجب ان يوضع بيت مال المسلمين تحت تصرّف الجميع بصورة متساوية، ولابدّ ان ينتفع الناس بشكل متساوٍ من التسهيلات الاقتصاديّة والإداريّة والقانونيّة، لا أن ينحصر

---

١. بحارالانوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩، الباب ٣٧، الرواية ٢.

الانتفاع منها علىٰ فئة معيّنة مع أقاربهم وبطانتهم والمشاركين لهم في الحزب أو الجبهة. فهذا هو من أوضح مصاديق الفساد، ولابدّ من النهوض لمقاومته. فالحسينعليه‌السلام نهض ليسقط ألوان الفساد هذه. اذا كان المقصود من «الاصلاح» هو هذا فكلّنا «اصلاحيّون» ـ كما قال قائد الثورة الاسلاميّة ـ ولا يجرؤ أحد أن يخالف هذا إلاّ اذا كان غير مسلم. نعم هناك من يعارض مثل هذا الاصلاح، وهم في الواقع الذين لا ايمان لهم باللّٰه وأحكامه يدّعون الاسلام كذباً لكي ننخدع بهم أنا وأنت.

الاصلاح أمر عظيم ولكنّه الاصلاح القائم علىٰ أساس النظام القيميّ الاسلاميّ، وليس الاصلاح الذي تسعىٰ اليه أمريكا أو سائر الكفّار. ولا يختلف الأمر بالنسبة الينا فأمريكا وغيرها شيء واحد، ولكن لمّا كان اصرار امريكا أكثر فقد جعلناها رمزاً للآخرين، وإلاّ فانّ ايّ كافر هو مثلها في الحكم. كلّ من يعادي القيم الاسلاميّة فنحن نعاديه. نحن نريد تطبيق القيم الاسلاميّة، نطالب بتنفيذ أحكام اللّٰه. واذا قالوا انّ هذه الأحكام مخالفة لمنشور حقوق الانسان، قلنا لهم خذوا هذا المنشور لأنفسكم، فنحن نوافق علىٰ ذلك المنشور بالمقدار الذي ينسجم فيه مع الثقافة الاسلاميّة. و«الحَسَن» عندنا هو مايقول الاسلام انّه حسن، و«القبيح» عندنا هو مايقول الاسلام انّه قبيح أيضاً، لا ما يقوله البرلمان الاوربيّ ولا ما تقوله المؤسّسات الأمريكيّة. انّ أقوال هؤلاء ليست حجّة عندنا. القول الحجّة عندنا هو قول مراجعنا الكرام، قول القرآن الكريم، قول الرسول الاعظمصلى‌الله‌عليه‌وآله.

وهناك قول آخر للامام الحسينعليه‌السلام يشبه هذا القول:

«انّ هؤلاء القوم لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان واظهروا الفساد في الأرض وابطلوا الحدود وشربوا الخمور».

انّ تعطيل الحدود شيء وابطال الحدود شيء آخر أهمّ وأشدّ. فتارةً يقولون انّ الظروف في العصر الحاضر لا تسمح لنا بتنفيذ الحدود الالهيّة، ولكنّهم يقولون

أحياناً انّ هذا الحكم لا معنىٰ له وهو مخالف للقيم الانسانيّة، كما قالت الجبهة الوطنيّة بالنسبة الىٰ لائحة القصاص[١]، وكما يقول ذلك أتباعهم اليوم بصورة أوضح ويذهبون الىٰ مؤتمر برلين ويهاجمون هناك رسميّاً الأحكام الاسلاميّة مطالبين بضرورة تغييرها[٢].

ومع الأسف فانّ بعض المتزيّين بزّي علماء الدين قد ساهموا في هذه الفضائح!

ونحن نطالب الذين يعتبرون أنفسهم مدافعين عن الدستور الاسلاميّ ان يجرّوا هؤلاء الذين لا دين لهم الىٰ المحكمة، فقد أنكروا ضروريّات الاسلام، وأخلّوا بسمعة الاسلام في الدول الأجنبيّة. ألايقتضي الدفاع عن الدستور مثل هذا الموقف؟ أهو يقتضي فقط ترك حبل الصحف علىٰ غاربها لتكتب ما تشاء من سفاسف؟ وان تنشر مايحلو لها من اهانات للمقدّسات؟ أهذا هو دفاعكم عن الدستور؟

أين ذهب الانصاف والشرف؟

يقول الامام الحسين: «أنا أولىٰ بنصرة دين اللّٰه واعزاز شرعه» حيث انّ الحكّام الظلمة قد عزلوا شريعة اللّٰه عن الحياة الاجتماعيّة واذلّوها، وانا ابن رسول اللّٰه ﷺ أولىٰ باعادة العزّ اليها.

«و الجهاد في سبيله لتكون كلمة اللّٰه هي العليا». فالحسين عليه السلام يعدّ تحرّكه جهاداً في سبيل اللّٰه، والهدف هو أن يصبح كلام اللّٰه هو الأعلىٰ، وهذا يعني ان لا يتحدّث أحد بكلام مخالف لكلام اللّٰه عزّ وجلّ، فاذا جاء «كلام اللّٰه» فالكلّ خاضع. لا أن يقول القائل: هذا كلام اللّٰه ولكنّه مناسب لزمان مرّ عليه ألف واربعمائة عام! أمّا اليوم فنحن نفهم الامور بشكلٍ أفضل من اللّٰه!

---

١. صحيفة ميزان، شتاء ١٣٥٩ وربيع ١٣٦٠ هـ ش.

٢. صحيفة كيهان، ٢٣، ٢٤، ١٣٧٩/١/٢٥ هـ ش، التقرير المتعلّق بمؤتمر برلين.

انّ الهدف الذي أعلنه الامام الحسين‌عليه السلام في وصيّته لأخيه هو: «انّما خرجتُ لطلب الاصلاح في امّة جدّي»، ولعلّ في التعبير بـ«طلب الاصلاح» اشارة الىٰ أنّه‌عليه السلام لا يريد القول بأنّه سوف يفعل هذا الأمر ويحلّ جميع المشاكل ويرفع كلّ ألوان الفساد، وانّما يؤكّدعليه السلام علىٰ انّه سوف يحاول ويبذل قصارىٰ جهده ليتحقّق هذا الأمر، فاذا أعان الناس وقاموا بما يجب عليهم فسوف يتحقّق المطلوب ويتمّ اصلاح المفاسد، وأمّا اذا تقاعس الناس وتخلّوا عن واجباتهم فانّني أقوم بواجبي، وهدفي هو «طلب الاصلاح»، وقد تحقّق هذا الهدف علىٰ أفضل وجه.

هل يستطيع انسان أو مجموعة صغيرة من الناس أن يحقّقوا أكثر من هذا التحول؟ التحوّل الذي يثير مثل هذا الحماس في الناس بعد مرور أكثر من ألف وثلاثمائة عام، حيث يبكون علىٰ الحسين‌عليه السلام من شرق العالم وغربه، وينهضون في اقامة الذكرىٰ للحسين‌عليه السلام بهدف احياء دين اللّٰه. وتعتبر الثورة الاسلاميّة في ايران احدىٰ ثمرات هذه الذكرىٰ المباركة. ومثل هذه الثمرات في تاريخ الاسلام ليست قليلة، وان لم تصل الىٰ عظمة الثورة الاسلاميّة في ايران. وهذا هو مقتضىٰ الامور الطبيعيّة، لانّ التجربة عندما تتكرّر فانّ الناس يأخذون العِبَر من الماضي وينتبهون أكثر للمفاسد التي تصدر من الأجهزة المعادية للاسلام.

أتلاحظون اقامة العزاء في هذا العام هو بشكل أوسع وأفضل من السنين السابقة. لماذا؟ لانّ هؤلاء الحمقاء اعداء الحسين‌عليه السلام قد كشفوا أنفسهم، ولم يكن الناس في الماضي يصدّقون انّ هؤلاء اعداء للحسين‌عليه السلام. واذا تحدّث خبير عن أهداف هؤلاء الواقعيّة فانّ احداً لم يكن يصدّق، فكان الناس يقولون انّ هذه الموارد نادرة، أو انّ هذه الرؤية متشائمة. لكنّكم تلاحظون اليوم كيف انكشفت الحقائق. في ايران

الاسلاميّة وفي ليلة التاسع والعاشر من المحرم هاجموا هيئات العزاء[1]، كما حدث في مدينة «رشت» ومدينة «خرم آباد».

صحيح انّهم كانوا أشخاصاً معدودين لكنّهم يقومون بهذه الحركات المحدودة ليجرّؤا الآخرين ويخلّوا بقدسيّة سيّدالشهداء عليه السلام وبأمن ونظام هيئات العزاء. انّها خطوات محسوب حسابها ومخطّطة. ووسائل الإعلام المعادية كانت تشير من قبلُ الىٰ انّه في هذا العام سوف يحدث اخلال بالأمن في ايران. كلّ محاولاتهم السابقة في القيام بانقلاب عسكريّ باءت بالفشل، فأدركوا انّهم لا يستطيعون ان يصطادوا إلا في الماء العَكِر، لهذا خطّطوا للقيام بهذه الأعمال الدنيئة في هذا العام. يُصدرون منشورات تحثّ علىٰ إثارة الضوضاء. وفي مدينة رشت وخرّم‌آباد يعتدون علىٰ هيئات العزاء، وفي بعض الحالات يوجّهون اهانات لشخصيّات المعصومين عليهم السلام ليكسروا هذه الهيبة.

هل هذه الأعمال هي مضمون «الاصلاح» الذي جاءوا به؟

وهل إعداد الأرضيّة لمثل هذه التحرّكات المشبوهة هو ما يهدف اليه «الاصلاحيّون»؟

وهل هذا «اصلاح» أم «افساد»؟

وهل هؤلاء «مصلحون» أم «مفسدون» حسب منطق القرآن الكريم؟

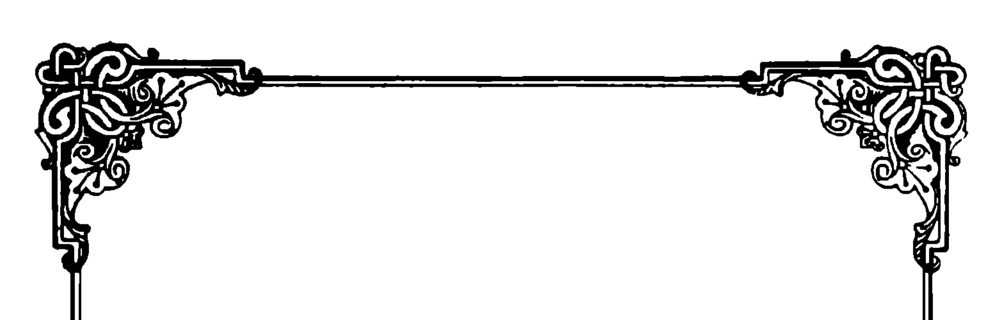
أهم مؤمنون أم منافقون؟

«أَلاٰ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لٰكِنْ لاٰ يَشْعُرُونَ»[2]

---

١. صحيفة كيهان، بتاريخ ١٣٧٩/١/٢٨ هـ.ش؛ صحيفة الجمهورية الاسلاميّة، بتاريخ ١٣٧٩/١/٢٢ هـ ش، ص ٢.

٢. سورة بقرة، الآية ١٢.



الهدف من نهضة عاشوراء (٢)

ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أهمّية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

واجب المسلمين إزاء المنكرات

عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



تحدّثنا في الفصول السابقة عن مواضيع تتعلّق بعاشوراء ونهضة ابي عبدالله الحسين عليه السلام، وحاولنا ان نقدّم أجوبة واضحة لأسئلة تخطر على بال الشباب واليافعين.

ومن جملتها سؤال تعرّضنا له في الفصل السابق حول مايسمع به الناس من انّ نهضة الامام الحسين عليه السلام كانت من أجل إحياء الإسلام. فهذا عنوان عام، وليس واضحاً كيف يمكن ان تكون نهضته عليه السلام من أجل احياء الاسلام؟ وهل تحقّق الهدف الذي نهض من أجله أم لا؟ في الجواب علىٰ هذا السؤال تعرّضنا في الفصل الماضي لوصيّة الامام الحسين عليه السلام الىٰ أخيه محمد بن الحنفيّة وحاولنا شرح هذه الفقرة منها:

«انّما خرجت لطلب الاصلاح في اُمّة جدّي»[1].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

و يواصل الامام الحسين عليه السلام وصيّته لأخيه فيقول:

«و أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر».

وقد طرق أسماعَنا كثيراً تعبيرُ «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وكذا القول بانّ «نهضة عاشوراء كانت من أجل الأمر بالمعروف». ولكنّه يوجد في هذا المجال

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص٣٢٩، الباب ٣٧، الرواية ٢.

ابهام ويُطرح سؤال وهو: ما الفرق بين الأمر بالمعروف الذي سمعنا به كثيراً وقد بحثه العلماء وذكروا له شروطاً خاصّة والأمر بالمعروف الذي بيّنه الامام الحسين عليه السلام وعمل به؟ فنحن لم نسمع بمثل هذا الأمر بالمعروف الذي يُضطرّ فيه الانسان ليُمسك بأيدي نسائه وأولاده ويأتي بهم الىٰ صحراء لا ماء فيها ولا عشب ليقاتل مجموعة لم تهتمّ بأمره لها بالمعروف، وتنتهي القضية بنيله الشهادة مع خيرة أصحابه وأهل بيته. أيّ لون هذا من ألوان الأمر بالمعروف؟

ومن ناحية أُخرىٰ فقد سمعنا انّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروطاً معيّنة، ويقولون انّ من جملتها هذا الشرط وهو أن لا يخاف الانسان من حصول الضرر له بسبب ذلك. مع انّ الامام الحسين عليه السلام قد أقدم علىٰ الأمر بالمعروف هنا مع يقينه بحصول الضرر له. فكيف ينسجم فعله عليه السلام مع ما نعرفه من أحكام تتعلّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

قال البعض انّ هذا اللون من الأمر بالمعروف هو حكم مختصّ بسيّدالشهداء عليه السلام نزل من السماء في حقّه فقط.

وقال البعض انّ لكلّ واحد من الأئمة الطاهرين عليهم السلام واجباً مختصّاً به قد عُيّن له من قِبل اللّٰه عزّوجلّ، وهذه الأعمال ليس لها ملاك عامٌّ وهي غير قابلة للسراية الىٰ الآخرين.

فهل هذا الجواب صحيح ومقنع؟

وهل هذا اللون من الأمر بالمعروف مختصّ بسيّد الشهداء عليه السلام وكان عليه فقط أن يقوم به بهذه الصورة؟ أم لا، فمن الممكن أن يأتي يوم يجب فيه علىٰ أفراد آخرين أن يقوموا بنفس هذا العمل؟

انّها أسئلة تُطرح وقد يخطر علىٰ البال ـ ابتداءً ـ أجوبة ايجابيّة أو سلبيّة، لكنّه يتحتّم علينا أن نهتمّ بالسؤال أكثر وأن نحاول تقديم جواب له واضح ومقنع.



وقبل البدء بتوضيح الجواب على هذه الأسئلة يحسن بنا أن نشير الى أهميّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وجهة نظر القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام.

أهميّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من الشائع في مجتمعنا الاسلاميّ أن يتمّ تعليم الأطفال ـ في الوسط العائليّ والمدرسيّ ـ اصول الدين وفروعه، وتُعتبر هذه من جملة المسائل الأوليّة. والفرع السابع والفرع الثامن من فروع الدين هما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذا يعني انّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان مثل الصلاة والصيام تماماً.

اذن وجوب هذين الأمرين واضح للجميع، والكلّ يعلم انّه من ضروريّات الدين، ولا مجال لهذه الشبهة وهي ان يدّعي أحد انّ له «قراءة» اخرى بالنسبة لهذين العنوانين تقول بعدم وجوبهما في الاسلام. وحتّى من لم يتعلّم في المدارس فانّه يعلم انّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من ضروريّات الدين الاسلاميّ.

وهناك آيات كثيرة ومتنوّعة تتحدّث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث لا تدَع أيّ مجال للشبهة والإبهام في هذا المضمار. والروايات أيضاً متضافرة في هذا المجال. وأنقل هنا بعض الروايات الشريفة ـ كنموذج فقط ـ لمعرفة الثقافة المسيطرة على أذهان المسلمين والمتديّنين فيما يتعلّق بهذين الأمرين.

يروي الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب التهذيب والمرحوم الكليني في اصول الكافي:

«... عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: يكون في آخر الزمان قوم يُتّبع فيه قوم مراؤون، يتقرّؤون ويتنسّكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلاّ اذا أمنوا الضرر يطلبون لأنفسهم الرُخص والمعاذير...»[١]

---

١. تهذيب الاصول، ج ٦، ص ١٨٠، الباب ٢٢، الرواية ٢١؛ اصول الكافي، ج ٥، ص ٥٥، الرواية ١.

يتحدّث الامام الباقر عليه السلام لجابر في هذه الرواية الشريفة عن قوم في آخر الزمان سوف يتّبعون فئة معيّنة في أقوالهم وأفعالهم (و تلك الفئة التي هي مورد اعتماد الناس لابدّ أنها من العلماء والوجهاء المسموعة كلمتهم). وتذكر الرواية الشريفة بعض الصفات لهؤلاء المتبوعين منها أنّهم «يتقرّؤون ويتنسّكون». يتقرّؤون مأخوذة من مادّة القراءة. ففي صدر الاسلام كان يتولّىٰ أكبر العلماء ـ وهم العارفون جيّداً بالقرآن والعلوم القرآنية ـ تعليم الآخرين هذه العلوم. ويُطلق عليهم اسم «القرّاء». فاذا أرادوا ارسال مبلّغ لمدينة أو دولة أو مجموعة حديثة الاسلام فانّهم يختارون من بين هؤلاء «القرّاء» من يرسلونه ليقرأ لهم القرآن ويفسّره ويعلّمهم أحكامه ليهتدوا به. ومن هنا فقد اشتهر «القرّاء» بعنوان كونهم أكبر العلماء في صدر الاسلام. لكنّه كان هناك أيضاً من يرتدي زيّ هؤلاء القراء، والواقع انه لا يتمتّع بالأهليّة للقيام بهذه المهمّة ولكنّه يتظاهر بذلك. فالامام الباقر عليه السلام يقول بان الناس في آخر الزمان سوف يتّبعون المتظاهرين بأنّهم من علماء الدين ومن «القرّاء».

ثمّ يذكر عليه السلام صفة ثانية لهؤلاء وهي أنّهم «يتنسّكون» من مادّة «النُسك» أي العبادة وهم المتظاهرون بالتعبّد. وهم في الحقيقة ليسوا من أهل العبادة ولكنّهم يتظاهرون أمام الناس بما يوحي لهم أنّهم متعبّدون.

ويصفهم الامام عليه السلام بأنّهم «حدثاء سفهاء» بمعنىٰ أنّهم حديثوا العهد بالجوّ الدينيّ وهم سطحيّون لا يتميّزون بالعمق: «لايوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلاّ اذا أمنوا الضرر»، بمعنىٰ انّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كانا يؤدّيان الىٰ مشكلة بالنسبة لهم فانّهم يُفتون بعدم وجوبهما ويعفون أنفسهم والناس من القيام بهما.

«يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير»، انّ هؤلاء المتظاهرين بالتقوىٰ يبحثون عن الذرائع ليفرّوا من التكليف الشرعي، لانّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستتبعان ـ شئنا أم أبينا ـ بعض التبعات والصعوبات. فالذين يُنهَون عن المنكر ـ

مثلاً ـ لا يروق لهم ذلك فلايحبّون من ينهاهم عنه ويحجبون عنه احترامهم ودعمهم المادي ويتفرّقون عنه. فاذا اعترض الخائف من اللّٰه سبحانه علىٰ قيام الناس ببعض المنكرات كأن ينهاهم عن معاملة ربويّة أو عن اقامة لون خاص من حفلات الزواج أو عن الحضور في مجالس اللهو والطرب أو مجالس الرقص والمعصية وماشابه ذلك من منكرات فانّهم سوف يتفرّقون عنه.

أما بعض ضعفاء الايمان فانّهم يحاولون أن لا يطرحوا مثل هذه المواضيع حتّىٰ لا يفقدوا مكانتهم الاجتماعيّة، وهم يبحثون عن بعض الذرائع ليفرّوا من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وينسجموا مع الناس ويحافظوا علىٰ تأييدهم لهم.

هؤلاء المتظاهرون بالعلم والتقوىٰ لا يتمتّعون بالأهلية لقيادة الناس وهدايتهم إلاّ انّهم يحاولون إبعاد العلماء الحقيقيّين عن الساحة الاجتماعيّة ليحلّوا محلّهم. كيف يبعدون العلماء الواقعيّين عن ساحتهم؟ لابدّ ان يقوموا بعمل يسقطهم من عيون الناس، ولهذا فانّهم يحاولون أن يُلصقوا بهم اُموراً وأن يجدوا فيهم نقاط ضعف. وأبسط مايمكن أن يقوم به هؤلاء هو أن يضعوا أصابعهم علىٰ أخطاء في كلام أو سلوك العلماء الحقيقيّين ثمّ يقومون بتضخيمها وتعظيمها. ومن الواضح انّ العلماء الواقعيّين ليسوا معصومين ولهذا فقد يرتكبون خطأ، كأن ينقلوا احصائيّة بشكل خاطئ أو يقرأوا آية شريفة بصورة خاطئة أو يخطئوا في جملة اثناء خطاباتهم، فيمسك بها المغرضون قائلين انّ هذا لا يعرف كيف يقرأ القرآن أو لا يعرف الخطابة. ولكنّ هؤلاء لوجرّبوا الخطابة لمدّة عشر دقائق فقط لعرفوا الصعوبات التي تعترض الخطيب.

وعلىٰ أيّ حال فالمتظاهرون بالعلم يبحثون عن نقاط الضعف في الآخرين ليجعلوها تحت المجهر ويشهّروا بصاحبها. ومن المعروف انّ العالم مهما كان ضليعاً في العلم ورفيع الدرجة في التقوىٰ فانّ له بعضَ نقاط الضعف، وعلىٰ أقلّ تقدير فانّه يخطئ لانّه غير معصوم عن الخطأ، فقد يصدر منه عمل غير لائق، أو قديقوم بعمل

يتصوّر انّه واجب عليه ثمّ يكتشف انّه غير واجب وقد كان مخطئاً في ذلك. اذن من الممكن ان توجد بعض نقاط الضعف حتّىٰ في أفضل العلماء وأهـمّ الشـخصيّات. ويجلس المتظاهرون بالعلم منتظرين لمثل هذه النقاط من الضعف. فاذا صدرت من العلماء الحقيقيّين فانّهم يكبّرونها أضعافاً مضاعفة ويبذلون قصارىٰ جهدهم ليسقطوا العلماء الحقيقيّين في أعين الناس، أي انّهم يغتالون شخصيّاتهم ليتفرّق الناس من حولهم ويتحلّقوا حول اولئك المتظاهرين بالعلم.

وليس هذا كلامي وانّما هو مضمون الرواية الشريفة التي يخاطب فـيها الامـام الباقر عليه السلام واحداً من أصحاب سرّه وهو جابر فيقول عليه السلام:

«يتبعون زلّات العلماء وفساد علمهم».

ويواصل عليه السلام فيقول: «يُقبلون علىٰ الصلاة والصيام وما لا يكلمهم في نفس ولا مال»، فهم حريصون علىٰ القيام بما لايسبّب لهم ضرراً علىٰ أنفسهم وأموالهم. بينما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعود بالضرر علىٰ نفس الانسان وماله، فعلىٰ أقلّ التقادير تنقطع عن الآمر بالمعروف المساعدات التي تصله من الآخرين. انّ أصحاب الأموال وأصحاب القدرة هم المؤهّلون أكثر لارتكاب المعاصي بسبب ما عندهم من قدرة وثروة، فلو حاول المتظاهرون بالعلم القيامَ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاصطدموا بأصحاب القوّة والثروة، والاصطدام بهؤلاء يؤدّي الىٰ الحاق الضرر بمصالحهم، ولهذا فانّهم يتّجهون الىٰ عبادة وعمل «لا يكلمهم في نفس ولا مال».

ويستمرّ الامام عليه السلام في تصويره لهذا الجوّ فيقول:

«ولو أضرّت الصلاة بسائر مايعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أتمَّ الفرائض وأشرفها»[١]

---

١. وقد جاء النصّ في الكافي بانّه «أسمىٰ الفرائض».

لانّ ملاكهم في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الضرر، فهم يخافون من إلحاق الضرر بأموالهم وأنفسهم ولهذا يتخيّلون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فاذا أصبحت الصلاة مؤدّية الىٰ إلحاق الضرر بأموالهم وانفسهم فانّهم يتركونها بحسب نفس ذلك الملاك: «كما رفضوا أتمّ الفرائض وأشرفها»، انّهم علىٰ استعداد لترك أيّ شيء يؤدّي الىٰ الإضرار بمصالحهم.

فهو عليه السلام يعتبر الأمر بالمعروف «أتمّ الفرائض وأشرفها» فهو أرفع حتّىٰ من الصلاة: «انّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة» ليست هيّنة «بها تُقام الفرائض»، فاذا أُهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانّ سائر الواجبات لن تبقىٰ حيّة في المجتمع. اذن بقاء الدين وأحكامه متوقّف علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن لم يتمّ العمل بهذين الواجبين فانّ سائر الواجبات سوف تُترك.

اذن من أهمّ ميزات المتظاهرين بالعلم والتعبّد أنّهم لا يهتمّون بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاّ في الموارد التي لا تستتبع أيّ ضرر بالنسبة اليهم.

ثمّ يستنتج عليه السلام عاقبة هذا الوضع فيقول:

«هنالك يتمّ غضب اللّٰه عليهم فيعمّهم بعقابه، ويهلك الابرار في دار الفجّار، والصغار في دار الكبار».

اذا اتّبع الناس مثل هؤلاء المتظاهرين بالعلم والعبادة فانّ العقاب الالهي سوف يعمّ الجميع، المستقيم والمنحرف، الأخضر واليابس، الصغار والكبار. يومئذ سوف ينزل بلاء عامٌ لا يُستثنىٰ منه أحد.

ويعود الامام عليه السلام مرّة اخرىٰ ليذكّر بأهمّيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول:

«انّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء» فمن أراد أن يسلك سبيل الأنبياء فليعمل بهما، وأمّا من أهملهما فهو غير سالك سبيل الأنبياء، «و منهاج

الصالحين، فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض وتأمن المذاهب» أي بواسطتها تـؤمّن الطرق، «و تحلّ المكاسب» فاذا أحبّ الناس أن تصبح تجارتهم وكسـبهم حـلالاً فلابدّ ان يبذلوا جهدهم في اقامة هذه الفريضة، وإلاّ شاع الربا تدريجيّاً، فإن لم ينه الناس عنه اختلط الحلال بالحرام وتعذّر عليهم التمييز بينهما. «و تُردّ المظالم» فان أضاع شخص حقّاً لشخص آخر فانّ انتشار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع يؤدّي الىٰ عودة الحقّ الىٰ صاحبه. «و تعمر الأرض» فاذا اتّسع نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فسوف يقف في وجه النفعيّين ليمنعهم مـن تـخريب البيئة الحيويّة من أجل الحصول علىٰ قدرة أكبر أو ربح أكثر. مثلاً أصحاب المصانع الذين لايهتمّون بالشؤون الصحيّة فيلوّثون البيئة الحيويّة، لماذا يُلاحظ فيهم هـذا الأمر؟ لانّهم يبحثون عن ربح أكبر. اذن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُحال دون هذه الممارسات فتصبح الأرض عامرة والبيئة سليمة.

«و يُنتصف من الأعداء»، أي اذا شاع الأمر بالمعروف والنهي عن المـنكر فـي مجتمع بحيث شمل أصحاب القدرة فيه فانّ الأعداء لا يجرؤون علىٰ الاعتداء عليه. لا أن تقتصر هذه الحالة علىٰ شخص أو أفراد قلائل يقومون بهذا الواجب المقدّس بهدف إتمام الحجّة علىٰ الناس.

«و يستقيم الأمر» وهذا هو الاصلاح حيث تُرفع المفاسد.

فالامام عليه السلام يحذّر من انّه في آخر الزمان سوف يتهاون الناس في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاّ في الحالات التي لا ضرر فيها عليهم، اذا حدث هذا فليحذروا من عذاب اللّٰه النازل عليهم حيث يحرق الأخضر واليابس ويطال الصغير والكبير. ثمّ يوصي الامام الباقر عليه السلام أتباعه بالاستماع الىٰ نصائحه حـتّىٰ لا يُـبتلوا بتلك النتائج المرّة.

واجب المسلمين إزاء المنكرات:

«فأنكروا بقلوبكم» هذه هي الخطوة الاولىٰ في القيام بهذا الواجب، فاذا لاحظتم حدوث منكر في المجتمع فلابدّ من الشعور بالاشمئزاز والنفور منه في القلب. اذا وجدتم معصية تُرتكب في المجتمع فلاتقولوا: صحيح انّها معصيته ولكنّها شيء بسيط وأمر هيّن. نعم انّهم يقيمون مراكز ثقافيّة اليوم ولكنّ الأطفال يتسلّون بها! ويتعلّمون شيئاً من الرقص! وشيئاً من الألحان اللطيفة! لانّه في هذا العصر لا يمكن تربية الأطفال من دون اللجوء الىٰ «الفن»! وما شابه ذلك من تبريرات.

كلاّ، انّ هذه المواقف الانهزاميّة لا تعالج الانحراف، بل لابدّ من التصدّي للانحراف، وأوّل خطوة في هذا المجال هي الشعور بالغضب من الذنب في أعماق القلب. ومن لم يشعر في قلبه بالغضب علىٰ حدوث المعصية فانّ هذه هي المرحلة الاولىٰ من النفاق، أي انّه غير راضٍ بتطبيق حكم اللّٰه ولهذا يفرج قلبه بحدوث المعصية.

لماذا تقوم امرأة بحركات موزونة ـ كما يقولون ـ لمدّة ساعة بالقرب من مصلّىٰ مدينة قم المقدّسة، المركز العالمي للاسلام ومدينة العلم والثورة؟ ألم يكن هناك رجل ليقوم بهذا العرض؟! ألم يكن هناك فنّ آخر؟ هل انحصر الأمر في أن تقوم امرأة بالرقص وأن يجلس المؤمنون يتفرّجون ولا ينطق أحد منهم حتّىٰ بكلمة؟! ولعلّ البعض يقول في نفسه: نحن لم نشاهد هذا من قبلُ فهذه فرصة لتجربة ما لم نعرفه سابقا!

أو ان يقف البعض في دور طويل علىٰ دور السينما التي تعرض أفلاماً لا ينبغي للمؤمنين أن يحضروها!

إذنْ أوّل فعل ينبغي القيام به اذا شاهدنا المعصية هو «الانكار بالقلب» اي أن نشعر بالألم والنفور في قلوبنا علىٰ حدوث الانحراف.

وفي المرحلة الثانية «و الفظوا بألسنتكم» أي قوموا بالاعتراض القوليّ. ولعلّ

القول الليّن الذي يؤدّىٰ بحنان وشفقة هو الأفضل في البداية، ولكنّه اذا لم ينفع ذلك في الهداية وواجه المذنبُ الناصحَ باللامبالاة قائلاً: أنا حرّ فيما أفعل! وقلبي يميل الىٰ هذا الفعل!

فلامجال حينئذ للطف والليونة، بل لابدّ من موقف آخر حيث يقول الامام عليه السلام: «وصكّوا بهاجباههم» أي تكلّموا معهم بقوّة، صارحوا مرتكب المعصية قائلين: أنا أقصدك بالكلام، لماذا تفعل الذنب؟!

ومن الواضح انّ مثل هذا الموقف قد يستتبع خطورة علىٰ الآمر بالمعروف ولاسيّما في ظلّ ثقافة التساهل والتسامح التي أُشيعت في مجتمعنا خلال الفترة الأخيرة، تبدأ من الاتّهام للآمر بالمعروف بانّه من أصحاب العنف! وبعيد عن التحضّر! ثمّ تمتدّ الىٰ الايذاء والضرب وتنتهي بالقتل كما حدث في بعض المدن!

وبعض الناس عندما يرىٰ مثل هذه المواقف مع الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر المرخّصين رسميّاً للقيام بهذه المهمّة من قبل الأجهزة القضائيّة فانّه يستولي عليه الخوف من القيام بهذا الواجب الشرعيّ.

لكنّ الامام عليه السلام يقول اذا واجهتم اللوم علىٰ اعتراضكم واتّهموكم بالعنف حتّىٰ من قِبل بعض أصدقائكم فليس أمامكم إلاّ الصمود علىٰ الموقف الحقّ «و لا تخافوا في اللّه لومة لائم» لئلاّ يأتي اليوم الذي ينزل فيه البلاء عليكم فيحرق الأخضر واليابس.

اذن في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابدّ ان نلجأ في البداية الىٰ الكلام اللطيف والموعظة الحسنة للطرف المقابل، فان لاحظنا انّ هذا اللون من التعامل لم ينفع معه ولم يؤثّر فيه اضطررنا الىٰ الكلام العنيف والاسلوب الخشن وأن لانهاب أحداً حتّىٰ لو عرّضنا أنفسنا للخطر. فان وجدنا انّ هذا أيضاً لم ينفع فما العمل حينئذ؟ لو كان الأمر في البداية كما في أوائل وفاة النبي صلى الله عليه وآله حيث كان الناس لا يزالون يحتفظون بقوّة ايمانهم وثوريّتهم، فانّه لو تمّ الوقوف في وجه الخطر لكان

الأمر سهلاً. ولكنّه قد تطرأ ظروف لا يكون الوضع فيها سهلاً وانّما يقف المذنبُ أمام الآمر بالمعروف بكلّ وقاحة ويمطره بكلمات ملؤها التحدّي والتهديد فما هو الموقف عندئذ؟

عندما يقوم المؤمن بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانّ ردّ فعل الشخص المذنب إزاء ذلك لا يخلو من احدىٰ حالتين: فهو إمّا أن يتأثّر بهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقلع عمّا فعل، وإمّا أن يظهر العناد ويتحدّىٰ الآمر بالمعروف ويوجّه اليه كلمات مهينة وقد تتعدّىٰ الاهانة لتشمل المقدّسات الدينيّة. فان تأثّر بالأمر بالمعروف وأقلع عن عمله السّيئ وعاد الىٰ الطريق المستقيم فلا حجّة لنا عليه بل لابدّ من التلطّف معه والشفقة عليه: «فان اتّعظوا وإلىٰ الحقّ رجعوا فلا سبيل عليهم» لان المطلوب قد حصل، يقول اللّه تعالىٰ:

«إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»[١]

وامّا اذا لم يتأثّر بالأمر بالمعروف وأصرّ علىٰ ظلمه وانحرافه فسوف يتغيّر التكليف الشرعي ويتعدّىٰ حدود الكلام واللوم والغضب «هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وابغضوهم بقلوبكم». انّ هؤلاء الذين تمرّدوا علىٰ أحكام الاسلام علناً وتعدّوا علىٰ مقدّساته لابدّ ان نشعر بالنفور منهم في أعماق قلوبنا ويجب علينا مقاومتهم والنضال ضدّهم. لا أن نقول انّ الاسلام دين المحبّة والرأفة! فاتركوا حبل هؤلاء علىٰ غاربهم يفعلون مايشاؤون.

نعم انّه دين الرأفة والرحمة ولكن في محلّها وهو أيضاً دين يأمر بالعنف والخشونة حينما يقتضي الموقف ذلك.

---

١. سورة الشورىٰ، الآية ٤٢.

«ابغضوهم بقلوبكم» وكونوا حذرين جدّاً فحينما تقرّرون النضال ضدّ هؤلاء الأشخاص فانّه يتعيّن عليكم ان تستبطنوا نيّاتكم وأن تتأكّدوا من سلامتها، لانّ الشيطان مترصّد للمؤمن ولاسيّما في مثل هذه الحالات. فالشيطان لا يتصدّي لتارك الصلاة حتّىٰ يرغّبه في الرياء، لانّ هذا الانسان لا صلاة له حتّىٰ يرائي فيها. امّا اذا دخل المؤمن في الصلاة ولاسيّما اذا كان في المسجد وأمام الناس فانّ الشيطان يوسوس له حتّىٰ يزيد في مدّ قوله تعالىٰ «و لا الضالّين» ليثير اعجاب الناس بقراءته! وكذا الأمر بالنسبة لمن لا يشارك في حضور مجالس العزاء وانّما يذهب الىٰ دور السينما والمسرح وغيرها فالشيطان لا غرض له معه حاليّاً لانّه بنفسه سالك سبيل الباطل وسائر نحو جهنّم. امّا اذا جاء الىٰ مجلس العزاء فالشيطان يوسوس له بان يتظاهر بالبكاء حتّىٰ يخيّل للآخرين انّه حزين ومخلص، وليعجب الناس به علىٰ أساس انّه من أهل الولاية!

انّ الشيطان يتحرّك نحو الانسان حينما يكون سائراً في طريق الحقّ.

مادام الانسان غير منتسب الىٰ أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانّ الشيطان لا غرض له في الوسوسة له لانّه رفيقه فهو شيطان آخر. لكنّه عند ما ينوي القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانّ طريقه قد انفصل عن طريق الشيطان ولهذا يتّجه الشيطان للوسوسة له. كالشخص الذي يذهب للقتال في سبيل اللّه فالشيطان يوسوس له بان يمهّد لنفسه حتّىٰ يظفر بالقدرة فينال غداً منصباً. انّه يحدّث نفسه: الىٰ متىٰ أنا باقٍ في النشاطات الجهاديّة! وحينما أعود الىٰ الحياة الاجتماعيّة أجد الأفراد الذين لا أهليّة لهم قد احتلّوا المناصب المهمّة فأبقىٰ دائماً الىٰ الوراء. مادامت القضيّة أدواراً فليكن الدور في هذه المرّة لي. هناك الكثير من الناس قام بعمليّات التهريب للسلع الممنوعة! وحصلوا علىٰ أرباح طائلة! فلأجرّب هذا الطريق أيّاماً لعلّ وضعي المعاشي يتحسّن!

اذن عندما نعقد العزم علىٰ النضال لابدّ لنا من اخلاص النيّة وان لا نفكّر بالحصول علىٰ القدرة، وان لا ننوي الحصول علىٰ الثروة والمنصب من خلال الجهاد، وكذا الأمر في الحصول علىٰ الشهرة عند الناس، وإلاّ فانّنا فقدنا أرواحنا ولم نكسب الثواب والأجر، لانّنا قد قمنا بأعمالنا بدوافع نفسانيّة وشيطانيّة ولا ثواب لمثل هذا العمل.

والعبادة تصبح ذات قيمة اذا كانت خالصة للّه تعالىٰ، لذا قال عليه السلام «وابغضوهم بقلوبكم غيرَ طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً ولا مريدين بالظلم ظفراً» فالظفر والنصر أمر مطلوب ولكنّه اذا كان عن طريق صحيح ومشروع، لا أن يتمّ الحصول عليه من أيّ طريق كان.

وفي الأجواء السياسيّة لا مجال لمثل هذه التأمّلات، لانّ الغاية تبرّر الوسيلة، والهدف هو أن ينتصر حزبنا وليكن مايكون، المهمّ هو ان ننتصر في الانتخابات وليحدث مايحدث.

أمّا في الاسلام فعندنا يوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الىٰ حدّ المخاطرة بالروح فانّه يوصينا أيضاً بالحذر من الشيطان حتّىٰ نحمي أنفسنا من وسوسته، وحتّىٰ لا نندفع للحصول علىٰ النصر وان كان من طريق غير مشروع. بل لابدّ لنا في كلّ الأحوال من المحافظة علىٰ الأحكام الالهيّة وحدودها بدقّة وان نهتمّ كثيراً باخلاص النيّة حتىٰ نأمر بالمعروف من أجل اللّه تعالىٰ.

وهنا نتساءل: ما هو الهدف من وراء الجهاد مع أفراد يعارضون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

يقول عليه السلام قوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واذا انجّر الأمر الىٰ القتال فجاهدوهم «حتّىٰ يفيئوا الىٰ أمر اللّه» أي حتّىٰ يكفّوا عن طاعة الشيطان ويعودوا الىٰ أحكام اللّه «و يمضوا علىٰ طاعته». لا يطيعون خطط الشيطان الأكبر

ولا ينفّذون مؤامراته، وانّما يتحرّكون علىٰ أساس طاعة اللّٰه تعالىٰ ومرضاته.

عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وفي آخر هذه الرواية الشريفة يُتحفنا الامام الباقر عليه السلام بموعظة اخرىٰ حتّىٰ لا نتهاون في القيام بهذا الواجب المهمّ وليكون لنا دافعاً للنهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فينقل لنا عليه السلام قصة:

«قال ابوجعفر عليه السلام أوحىٰ اللّٰه الىٰ شعيب النبي عليه السلام: انّي لمعذّب من قومك مائة الف، أربعين ألفاً من شرارهم وستّين ألفاً من خيارهم. فقال: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟» انّ الاشرار مستحقّون للعذاب، فلماذا تعذّب الأخيار؟ «فأوحىٰ اللّٰه عزّ وجلّ اليه: انّهم داهَنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي». ما هو معنىٰ المداهنة؟ انّها مأخوذة من مادّة «الدهن»، فهناك ـ مثلاً ـ قِطع في السيارة تُطلىٰ بالدهن حتّىٰ لا يحدث بينها احتكاك. وكذا الأمر في العلاقات الاجتماعيّة، فلكي لا يحدث احتكاك بين الأفراد المتنازعة فانّهم يداهنون أي يكفّون عن نقد بعضهم البعض ولا يقول كلّ طرف إلاّ مايرضي الطرف الآخر، ولا يهمّهم ان ترتكب الأطراف المختلفة الذنوب والمعاصي.

اذن ذنب الستّين ألفاً الذين عرّضهم اللّٰه سبحانه للعذاب هو أنّهم داهنوا أهل المعصية ولم يأمروهم بالمعروف ولم ينهوهم عن المنكر «ولم يغضبوا لغضبي»، فالغضب واجب أيضاً، واذا لم يغضب الانسان في بعض الموارد فانّ اللّٰه سوف يعذّبه. لماذا؟ أليس الاسلام دين المحبّة والرأفة والرحمة؟

أجل انّه كذلك ولكنّه مع ذلك يقول: انّ اللّٰه يعذّب ستّين ألفاً لانّهم لم يغضبوا لغضب اللّٰه. ويُعلم من هذا انّه لابدّ ان نغضب في بعض الموارد، لا أن نتعامل دائماً بالمجاملات والابتسامات. ففي بعض الأحيان لابدّ من العنف «صكّوا بها جباههم»

تكلّموا معهم بقوّة. واللين ليس دائماً هو الحلّ الأمثل.

وهناك رواية اخرىٰ منقولة عن الامام الصادقعليه السلام تتحدّث عن هذا الموضوع نفسه:

«عن ابي عبداللهعليه السلام قال: قال أميرالمؤمنينعليه السلام: أدنىٰ الانكـار أن يُـلقىٰ أهـل المعاصي بوجوه مكفهرّة»[١].

اذا لم يستطع المؤمن القيام بأيّ عمل في مجال النهي عن المنكر فعلىٰ أقلّ تقدير يستطيع ان يعبس في وجه المذنب، فهذا الواجب ليس ساقطاً عن أيّ أحد، إلاّ ان يستخدم الرأفة والتودّد وسيلة لهداية المعاصي. فمع انّه يعلم بكونه قد عصى اللّـه تعالىٰ لكنّه يأمل فيه الهداية والتوبة، ولهذا فهو يدعوه الىٰ بيته ويتلطّف به، ولعـلّه يقدّم له مساعدة ماليّة. اذا كان الأمر بهذا الهدف فانّ له حساباً خاصاً.

اذن لابدّ من اللجوء الىٰ العنف في الكلام مع من يقدم علىٰ المـعصية مـتجرّئاً ويقول بكلّ وقاحة: أنا حرّ أفعل ما أشاء، وهذا الأمر يتعلّق بـي ولا عـلاقة لأيّ شخص آخر به!

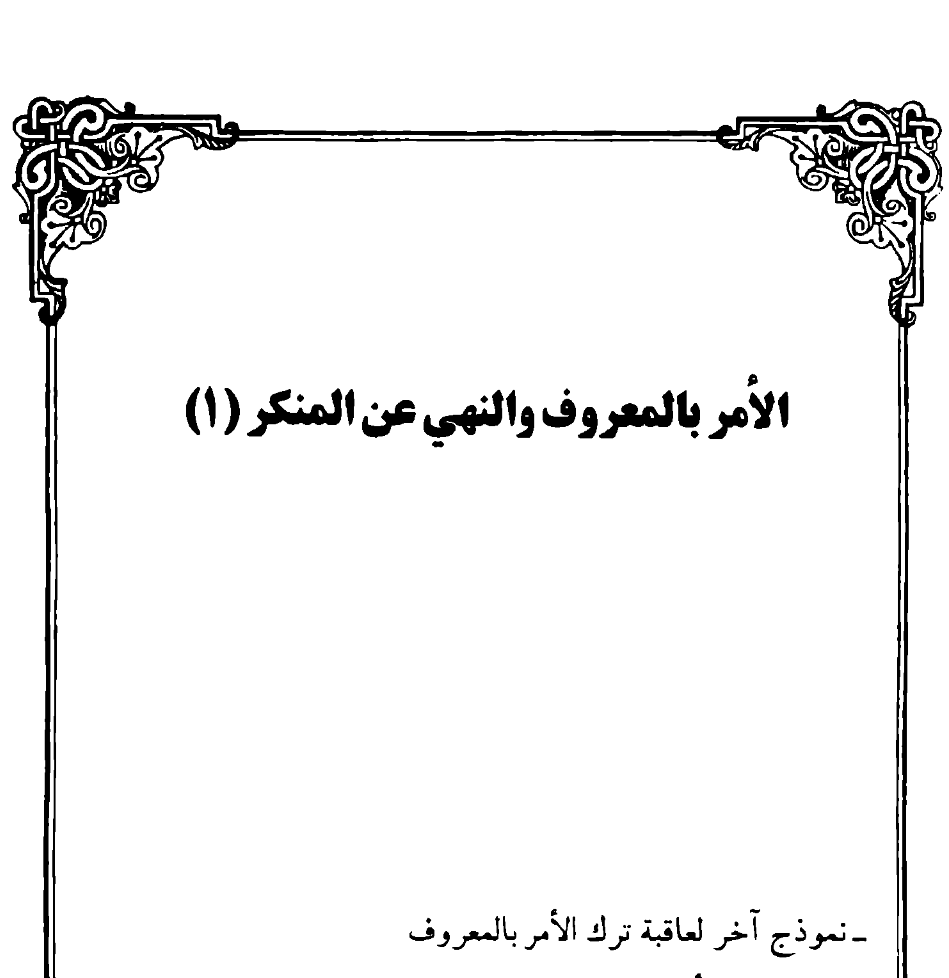
وتوجد رواية اخرىٰ عن الامام الصادقعليه السلام نختم بها هـذا الفـصل: «عـن ابـي عبداللهعليه السلام انّ اللّه عزّ وجلّ بعث ملكين الىٰ أهل مدينة ليقلباها علىٰ أهلها، فلمّا انتهيا الىٰ المدينة وجدا رجلاً يدعو اللّه ويتضرّع، فقال أحد الملكين لصاحبه: أما ترىٰ هذا الداعي؟ فقال قد رأيته ولكن امضي لما أمر به ربّي. فقال: لا، ولكـن لا احدث شيئاً حتّىٰ اراجع ربّي، فعاد الىٰ اللّه تبارك وتعالىٰ فقال: يا رب انّي انتهيت الىٰ المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك ويتضرّع اليك. فقال: امضِ بما أمرتك به فإنّ ذا رجل لم يتمعّر وجهه غيظاً لي قطّ».[٢]

---

١. تهذيب الاصول، ج ٦، ص ١٧٦، الباب ٢٢، الرواية ٥.

٢. اصول الكافي، ج ٥، ص ٥٨، الرواية ٨.

لقد أرسل اللّٰه هذين الملكين ليقلبا هذه المدينة علىٰ أهلها لانّ أهلها مصرّون علىٰ معصية اللّٰه ومتجاهرون بالفسق، وليس هناك قرنية تشير الىٰ انّهم مستعدّون للتوبة. وعندما دخلا الىٰ المدينة ووجدوا ذلك العابد المتضرّع قال أحد الملكين: أنا لا أجرؤ علىٰ أن اعذّب هذا العابد، فلنرجع ولنسأل اللّٰه مرّةً اخرىٰ. فقال الملك الآخر علينا ان ننفّذ أمر ربّنا. فالملك الأوّل احتمل تغيّر الأمر الالهيّ، فلعلّ الأمر الالهيّ قد صدر حينما لم يكن هذا العابد قد أظهر توبته بعد، فكان الأمر بانزال العذاب علىٰ هذه المدينة، أمّا بعد توبته فقد يكون الأمر الالهيّ قد تغيّر فلابدّ من الرجوع الىٰ اللّٰه وسؤاله من جديد. ولمّا عاد وسأل أجابه اللّٰه سبحانه بانّ التكليف السابق باقٍ علىٰ حالته. ويبيّن اللّٰه تعالىٰ السبب في ذلك فيقول: صحيح انّ هذا الشخص يعبد ويدعو ولكنّه لم يغضب من أجل اللّٰه، فهو قد شاهد أهل هذه المدينة يذنبون ويعصون ولكنّه لم يتغيّر لون وجهه غضباً علىٰ المعصيّة، ومادام لم يغضب فانّه يُضمّ الىٰ سائر الأفراد العاصين ليشملهم العذاب جميعاً.



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١)

- نموذج آخر لعاقبة ترك الأمر بالمعروف
- سعة معنىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- سعة معنىٰ الجهاد

في الفصل الماضي طرحنا بعض الأسئلة التي تدور حول عاشوراء ونهضة الامـام الحسين عليه السلام فقلنا: لمّا كان هَدف هذه النهضة هو طلب الاصلاح في امّة الرسول صلى الله عليه وآله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهل الاسلوب الذي اتّخذه سيّد الشهداء عليه السلام ـ ممّا أدّىٰ به الىٰ الظفر بالشهادة ـ هو مصداق للاصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أم لا؟ وهل انّ الامام عليه السلام قد حصل علىٰ هدفه من هذه النهضة أم لا؟

حاولنا في الفصل الماضي ان نتعرّف علىٰ مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر من خلال الآيات الكريمة والروايات الشريفة، ونقلنا بعض الروايات تيمّناً وتبرّكاً وقدّمنا بعض التوضيحات لها بالمقدار الذي وفّقنا اللّه اليـه. وانـطلاقاً مـن معرفتنا لمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآيات والروايات نحاول ـ بعون اللّه وتوفيقه ـ ان نطرح في هذا الفصل بحثاً تحليليّاً فنيّاً لهذا الموضوع. ولعلّ فيه صعوبةً بالنسبة لبعض القرّاء، ولكنّنا نعتمد علىٰ الوعي العـلميّ المـتنامي بـين الناس بحيث أصبح الكثير منهم مؤهّلاً لاستيعاب التحليل العلميّ، ونحاول ـ مهما استطعنا ـ أن نقدّم للموضوع التوضيحات اللازمة، ونرجـو مـن القـرّاء الكـرام ان يعذرونا اذا استخدمنا بعض الاصطلاحات العلميّة.

نحن نعلم انّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ذُكر في الرسـائل العـمليّة بعنوان انّه تكليف عامٌّ، ويذكر الخطباء والمبلّغون والشارحـون للأحكـام انّ لهـذا الواجب شروطاً ومراتب. وبالنظر الىٰ هذه الشروط والمراتب يُطرح هذا السؤال وهو:

كيف يمكن عدّ ماقام به سيّد الشهداء عليه السلام من قبيل الأمر بالمعروف مع انّه لا يتطابق مع الأمر بالمعروف الذي نعرفه؟ لقد ذُكر في الرسائل العمليّة انّ الأمر بالمعروف اذا كان يؤدّي الىٰ الضّرر ـ وحتّىٰ الخوف من الضّرر ـ فالتكليف ساقط. أمّا بالنسبة الىٰ سيّد الشهداء عليه السلام فمع انّه كان متيقّناً من الضرر فقد أقدم علىٰ هذه النهضة، فكيف يمكننا ان نعدّها أمراً بالمعروف؟

لكي بتعمّق أكثر في مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموارد استعماله في الروايات نصل إلى هذه النتيجة، وهي انّ الأمر بالمعروف يعنىٰ دفع الآخرين للقيام بالأعمال الحسنة، فان كان القيام بذلك العمل الحسن واجباً فانّ الأمر يصبح واجباً أيضاً، وان كان العمل الحسن مستحبّاً فانّ الأمر به مستحبّ أيضاً. فالأمر بالمعروف بعنوان انه «واجب شرعي» لا يكون إلاّ في مجال «التكاليف الواجبة»، ومعناه دفع الآخرين ليقوموا بتكاليفهم الواجبة. وهذا الدفع له مراتب ودرجات. فاذا أردنا ان نحمل شخصاً علىٰ القيام بعمل معيّن فلابدّ لنا من قطع هذه المراحل المختلفة لهذا الأمر.

وأوّل مورد قد يواجهنا في هذا المضمار هو موضوع الشباب الذين وصلوا حديثاً الىٰ سنّ البلوغ والتكليف. فنحن ـ مثلاً ـ نريد أن نأمر بالمعروف وننهىٰ عن المنكر شخصاً قد وصل توّاً الىٰ سنّ التكليف، فنقوم بتعليمه الصلاة لانّه لايعرف كيف يصلّي بشكل صحيح. انّ هذا يعتبر لوناً من الأمر بالمعروف، ويُطلق عليه اسم «تعليم الجاهل».

أمّا اذا تعلّم الصلاة ولكنّه في بعض الأحيان يتكاسل فلاينهض من النوم صباحاً إلاّ متأخراً فيفوّت بعض الصلوات ولا يؤدّيها في أوقاتها الشرعيّة فتصبح قضاءً عليه، ونحن نريد أن نرغّبه ليؤدّي الصلاة في وقتها المحدّد فانّ هذا لون آخر من الأمر بالمعروف.

اذن فالأمر بالمعروف له مصداقان واضحان: أوّلهما يتعلّق بالشخص الذي لا علم له ويُراد تعليمه. سواء أكان لا يعلم الحكم أم لا يعلم موضوعه. فهو لا يعلم انّ الصلاة واجبة أم لا يعلم كيف يصلّي. والتمثيل بالصلاة ليس دقيقاً لانّ الجميع يعلم بوجوبها، لكنّه توجد واجبات اخرىٰ ليس الكلّ عالماً بوجوبها، إذنْ تعليم المسائل والأحكام لون من ألوان الأمر بالمعروف.

إلاّ انّ اصطلاح الأمر بالمعروف لا يشمل ـ بذاته ـ تعليم الجاهل، واذا توسّعنا فيه بحيث يشمل تعليم الجاهل فانّ ذلك اعتماداً علىٰ سعة ملاكه، بمعنىٰ أنّ الملاك الذي أوجب اللّٰه تعالىٰ الأمر بالمعروف علىٰ أساسه شامل للشخص الذي لا علم له ولابدّ من تعليمه. ومن الواضح انّ هذا ليس هو المفهوم الأصليّ للأمر بالمعروف.

ومن ناحية اخرىٰ نلاحظ ـ مثلاً ـ وجود شخص يعلم بوجوب الصلاة وهو مطّلع علىٰ مسائلها وكيفيّة ادائها، وهو يعيش في جوّ اجتماعيّ ينظر الىٰ الصلاة بعنوان كونها قيمة اجتماعيّة رفيعة ويعدّ تركها ذنباً عظيماً وأمراً مضادّاً للقيم، ولهذا اذا وصف شخص بانّه تارك للصلاة فانّه يُعتبر هجاءً جارحاً وشتماً لاذعاً. أتذكّر في طفولتي انّ الجوّ الاجتماعيّ كان بهذا الشكل، فاذا قيل لشخص انّه تارك للصلاة فانّه يطأطئ برأسه ويخجل من انّه كيف عرف الناس ذلك، ويعتذر بانّه قد نسي أو كان له عذر في ذلك. والحاصل انّ القول يؤثّر فيه ويعتبر نصيحة له وموعظة، وهو أيضاً يتّعظ به. وقد ورد في بعض الروايات: «انّما يؤمر بالمعروف ويُنهىٰ عن المنكر مؤمن فيتّعظ أو جاهل فيتعلّم».[1]

ولكنّه أحياناً تغدو الظروف بشكل آخر. فلايكون الجوّ الثقافيّ السائد في المجتمع اسلاميّاً. فالشيء الواجب الّذي نريد الأمر به لا يُعتبر قيمة أصلاً ولا يُعدّ

---

١. بحار الانوار، ج ١٠٠، ص ٧١، الباب ١، الرواية ٣.

تركه شيئاً مضادّاً للقيم. فالجوّ السائد هو بحيث اذا قيل لشخص لماذا تقوم بهذا الفعل فانّه يجيبك فوراً: أنا لا أُحبّ ذلك! وما علاقتك بما أفعل وما لا أفعل! وهل أنت متطفّل!

واذا قلت له: انّ هذا مخالف للشريعة الاسلاميّة، وقد جاءت الثورة الاسلاميّة لكي تُنفّذ أحكام الشريعة، وقد قدّم الناس مئات الآلاف من الشهداء من أجل ان تُطبّق أحكام الاسلام، فانّه يجيبك: كان بامكانهم ان لا يقدّموا الشهداء! وأنا لاأُحبّ أن اقوم بهذا الفعل! وإذا قمتَ بالاصرار عليه قليلاً فانّه يهاجم الاسلام بشكل صريح ويسخر من اطروحة الجمهوريّة الاسلاميّة! فالجوّ الثقافيّ السائد لا ينظر الىٰ التظاهر بمخالفة الاسلام بما انّه أمر قبيح، فالبعض ـ علىٰ الأقلّ ـ لايستحي من أن يتجاهر بمخالفة الاسلام، ويوجد ما هو أشدّ من هذا ولكنّي لا أحبّ تفصيل ذلك.

علىٰ أي حال في مثل هذا الموقف ماذا يجب علينا أن نفعل؟

لقد كان الجوّ السائد في المجتمع في عصر سيّد الشهداء عليه السلام يشبه الجوّ الذي شرحناه آنفاً، حيث كانت الأحكام اليقينيّة للاسلام متروكةً والحدود الالهيّة معطّلة والشخص المرشّح للخلافة مشهوراً بشرب الخمر، حيث كان معاوية يخطّط ويمهّد الطريق ليُمسي يزيد ابنه خليفة للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وهذا يعني انّه سوف يصبح الشخصيّة التي تأتي بعد النبي صلى الله عليه وآله في المجتمع الاسلاميّ، وهو مَن يعرف الناس انّه شارب للخمر، ولم يكن قد ارتكب هذه المعصية مرّة أو مرّتين فحسب وانّما كان مدمناً علىٰ شرب الخمر. ولم يكن هذا الموضوع مخفيّاً عن الناس بل كان علنيّاً. وسائر الأحكام الاسلاميّة ما كان حالها أحسن من هذا، حيثُ كان التشكيك يتمّ فيها واحداً بعد الآخر ثمّ يتمّ انكارها وطردها بعيداً عن الحياة الاجتماعيّة. مثلاً سفك دماء المسلمين كان سهلاً، فكلّ من يخالف الحكم القائم فانّه يُقتل ببساطة، وكذا كثير من ألوان الفساد التي كانت رائجة في ذلك المجتمع. فلو أنّ سيّد

الشهداءعليه‌السلام جاء الىٰ الناس ـ في ظلّ هذه الظروف ـ وقال لهم: أدّوا الخمس والزكاة واحترموا الحدود الالهيّة ولا تشربوا الخمر، فما هي الفائدة المترتّبة علىٰ هذه الموعظة للمعروف بشرب الخمر؟ فالناس قد بايعوا يزيداً وهم يعلمون انّه شارب للخمر. ولم تقتصر المصيبة علىٰ شرب الخمر بل كانت هناك امور اخرىٰ في حالة النموّ والانتشار في المجتمع الاسلاميّ كاللعب مع القرود والكلاب!

هكذا كان يزيد وهو يريد أن يصبح الشخصيّة التي تحلّ محلّ النبيّ الأكرمصلى‌الله‌عليه‌وآله فتصبح أوامره مثل أوامر النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله واجبة الطاعة، وتمسي أحكامه كأحكام اللّٰه عزّ وجلّ. وهذا هو الذي دفع الامام الحسينعليه‌السلام ليقول:

«فعلىٰ الاسلام السلام اذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد»[1] لانّه سوف لن يبقىٰ من الاسلام شيء.

وصحيح أنّه في أواخر زمان معاوية لم يكن قدبقي من الاسلام سوىٰ بعض الظواهر المحدودة ولكنّه علىٰ كلّ حال لم يكن الأفراد يتظاهرون بالفسق بسهولة بحيث يرضىٰ الناس بذلك.

أمّا اذا تقرّر أن يصبح «شارب الخمر» نفسه «خليفة للمسلمين» فهل من المتصوّر ان يُجري هذا الخليفة الحدَّ الشرعيّ علىٰ شارب الخمر؟

ففي مثل هذا الجوّ اذا أراد شخص أن يأمر بالمعروف فماذا ينبغي له أن يفعل؟

هل يمكننا أن نقول انّ الأمر بالمعروف معطّل في مثل هذه الظروف ولا يوجد تكليف اطلاقاً في مثل هذه الموارد؟

من الواضح انّ الفعل المحرّم اذا وقع في المجتمع فانّ جميع الناس مسؤولون لانّ الأمر بالمعروف واجب كفائيّ، فاذا رأىٰ عشرة أشخاص معصية تُرتكب فانّ العشرة

---

١. بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٢٦، الباب ٣٧، الرواية ٢.

مكلّفون جميعاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فان قام به مايكفي فانّه يسقط عن البقيّة، وان لم يقم به أحد منهم فالعشرة بأجمعهم مقصّرون ومسؤولون. معنىٰ هذا انّه اذا ارتُكبت معصية من الكبائر في المجتمع بصورة علنيّة فانّ كلّ من يطّلع علىٰ ذلك مكلّف بالأمر بالمعروف، وان لم يفعلوا فالكلّ يذهب الىٰ جهنّم. هذا هو القدر المتيقّن من المسألة. ولا نتطرّق الآن الىٰ حكم الأمر بالمعروف فيما اذا كان ارتكاب المعصية يتمّ في السرّ والخفاء.

نموذج آخر لعاقبة ترك الأمر بالمعروف:

نقلنا فيما مضىٰ نصّ الرواية القائلة انّه كان هناك أربعون الف مذنب من قوم شعيب عليه السلام لكنّ اللّه سبحانه قد أنزل العذاب علىٰ مائة ألف منهم، وقد اعتُبر عذاب الستين ألفاً منهم بسبب تركهم الأمر بالمعروف. ونظير هذا قد حدث لأقوام آخرين أيضاً، ومن جملتهم أصحاب السبت. ففي شريعة موسىٰ عليه السلام كان الصيد محرّماً في يوم السبت بالاضافة الىٰ تكاليف صعبة اخرىٰ. وحتّىٰ في عصرنا هذا يمتنع اليهود الملتزمون بدينهم عن الصيد في يوم السبت ولا يذبحون ولا يطبخون فيه. وقد امتحنهم اللّه سبحانه كما ينقل لنا القرآن الكريم:

«**إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَ يَوْمَ لاٰ يَسْبِتُونَ لاٰ تَأْتِيهِمْ**».[1] وكانت مجموعة من اليهود تعيش قرب سواحل البحر أو النهر. وكانوا يشاهدون الأسماك تأتي الىٰ الساحل في يوم السبت بحيث يسهل صيدها، بينما لم يكن الأمر بهذه الصورة في الأيّام الاخرىٰ. ومن جهة ثانية فقد حُرّم الصيد عليهم في يوم السبت. وبالتّالي لم يستطع البعضُ الصبرَ علىٰ هذا الوضع، فلجأوا الىٰ حيلة تصوّروا انّها

١. سورة الأعراف، الآية ١٦٣.

تنقذهم من حرج الموقف، فقاموا بحفر أحواض قرب الساحل، وفي يوم السبت يتركون السبل مفتوحة الىٰ هذه الأحواض فيدخل اليها الماء والأسماك ثمّ يغلقون هذه السبل حتّىٰ لا تخرج الأسماك من الأحواض. فاذا حلّ يوم الأحد جاءوا الىٰ الأحواض واصطادوا الأسماك.

وقد عاقبهم اللّٰه تعالىٰ علىٰ هذا الفعل فمسخهم، ولو لم يذكر القرآن الكريم وقوع هذا الأمر بصراحة كان الكثير قد يتردّد في الاعتقاد به عن طريق الروايات. لكن قال اللّٰه تعالىٰ:

«فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ»[١].

حيث مسخهم اللّٰه الىٰ قردة. ولم يقم هؤلاء جميعاً بالصيد في يوم السبت مخالفين النهي الالهيّ، فمجموعة من الذين ماكانوا يصطادون قد نزل بهم العذاب ومُسخوا أيضاً.

انّ هؤلاء كانوا ثلاث فئات: الفئة الاولىٰ هي التي كانت تقوم بالصيد في يوم السبت. الفئة الثانية ماكانت تصيد ولكنّها أيضاً لم تنه الفئة الاولىٰ عن فعلها. الفئة الثالثة لم تكتف بأنّها ما كانت تصيد، وانّما كانت تنهىٰ الآخرين عن الصيد في اليوم المخطور بعنوان انّه ارتكاب للذنب.

والفئة الثانية التي ماكانت تصيد ولا تعرض أيضاً علىٰ الفئة الاولىٰ كانت تقول للآمرين بالمعروف: ما الفائدة من نهيكم هؤلاء عن الصيد؟ أي لا تقوموا بالأمر بالمعروف لانّه لا تأثير له، اتركوهم لحالهم، يقول اللّٰه تعالىٰ:

«وَ إِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ»[٢].

---

١. سورة الأعراف، الآية ١٦٦.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٦٤.

مجموعة منهم تعترض علىٰ الواعظين بانّه ما الفائدة من موعظتكم هذه؟ فيجيب الواعظون: انّنا نقوم بالوعظ لأمرين: الأوّل ان يكون لنا عذر عند اللّٰه تعالىٰ. الثاني لسنا علىٰ يقين من أنّ موعظتنا لا تؤثّر فيهم فلعلّ بين هؤلاء من يتأثّر بها.

وخلاصة القول انّ من بين هذه الفئات الثلاث فئة ناجية وهي التي قامت بالنهي عن المنكر وان لم يؤثّر هذا النهي كثيراً في المذنبين، وأمّا الفئتان الاخريان فقد ابتُليتا بالعذاب ومُسختا الىٰ قردة خاسئين[1].

سعة معنىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

انّ اللّٰه تعالىٰ يضفي قيمة كبيرة علىٰ هذه المسؤوليّة الاجتماعيّة. وقد نقلنا فيما سبق بعض الروايات الشريفة التي تتحدّث عن أهميّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقوله عليه السلام: «فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض»[2]، وقوله عليه السلام: «أتمّ الفرائض وأشرفها وأفضلها»[3].

وعلىٰ كلّ حال فالسؤال المهمّ هو اذا لم يكن الأمر بالمعروف مؤثّراً في أحد الموارد فهل يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جارياً في هذا المورد أيضاً أم لا؟

وأسوء الحالات هي الحالة التي لا يقتصر فيها الوضع علىٰ عدم قبول الأمر بالمعروف وانّما يعادون الآمر بالمعروف ويؤذونه ويضربونه بل وحتّىٰ انّهم يقتلونه، يقول اللّٰه تعالىٰ:

«يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ»[4]

---

١. بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٤٩، الباب ٤، الرواية ٣٤.

٢. اصول الكافي، ج ٥، ص ٥٥، الرواية ١، تهذيب الاصول، ج ٦، ص ١٨١، الرواية ٢١.

٣. نفس المصدر السابق.

٤. سورة آل عمران، الآية ٢١.

والسؤال هو: ماذا يجب علينا أن نعمل مع أُناس يقتلون الآمرين بالمعروف؟

لقد نقلنا فيما مضىٰ رواية شريفة تبيّن واجب المؤمنين في مثل هذه الحالات حيث يقولعليه السلام:

«هنالك فجاهدوهم بأبدانكم... حتّىٰ يفيئوا الىٰ أمر اللّٰه»[١]

و بهذا يُعلم سعة نطاق الأمر بالمعروف بحيث يشمل ـ من ناحية ـ تعليم الجاهل أيضاً، فمن أراد تعليم أولاده الصلاة فانّ هذا يدخل تحت عنوان تعليم الجاهل في نطاق الأمر بالمعروف، وان لم يُطلق عليه ذلك بحسب الاصطلاح، ولكنّه وارد في الروايات انّ هذا لون من ألوان الأمر بالمعروف، فالموعظة والنصيحة بالكلام الليّن تُعتبر من المصاديق الواضحة للأمر بالمعروف حسب استعمال الآيات الكريمة والروايات الشريفة. وان كان بعض الفقهاء يرىٰ أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابدّ أن يكون «عن علّو أو استعلاء»، فهو يأمر ولا يرجو ولا يتوسّل، لانّه بهذه الطريقة سوف يخرج عن مجال الأمر بالمعروف.

ومن ناحية اخرىٰ يتّسع نطاق الأمر بالمعروف ليمسي الجهاد أيضاً من مصاديق الأمر بالمعروف.

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال هو انّ كثيراً من كتب الحديث عندنا لم يكن فيها كتاب مستقلّ باسم الأمر بالمعروف وانّما كان فيها كتاب الجهاد ويُعقد في آخره باب يُسمّىٰ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والنموذج البارز لهذه الكتب هو كتاب تهذيب الاصول للمرحوم الشيخ الطّوسيرحمه الله الذي نقلنا منه سابقاً بعض الروايات، فكتاب تهذيب الاصول ليس فيه كتاب الأمر بالمعروف وانّما يوجد فيه كتاب الجهاد وقد خُصّص في آخره باب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذا

---

١. اصول الكافي، ج ٥، ص ٥٥، الرواية ١؛ تهذيب الاصول، ج ٦، ص ١٨١، الرواية ٢١.

يعني انّ هناك استعمالين لمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحدهما اصطلاح خاصّ، وهو المستخدم في الرسائل العمليّة، وبهذا الاصطلاح لا يكون شاملاً للجهاد، لانّه لا يوجد جهاد يخلو من خوف الضرر. الجهاد وحمل السلاح يتضمّن «فيَقتلون ويُقتلون»، ولا معنىٰ لان نقول لشخص جاهد عندما لا تخاف الضرر، ففي ساحة القتال لا تُوزّع الحلويّات! بل الجهاد لا يتحقّق إلاّ في حالة احتمال الضرر، بل في بعض الأحيان يكون اليقين بالضرر.

وبناءً علىٰ هذا فهناك لون من الأمر بالمعروف ـ الذي مصداقه الجهاد ـ لا يكون إلاّ في مجال احتمال الضرر بل الاطمئنان به بل اليقين به أحياناً، كاليقين بالقتل. وهناك مصداق آخر له أيضاً قد اختلف في اطلاق عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه، فهناك نقاش بين الفقهاء حول تعليم الجاهل هل انّه جزء من الأمر بالمعروف أم هو من باب آخر؟

يقول بعض الفقهاء انّ الآية الكريمة:

«يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ»[١]

تشمل تعليم الجاهل لانّه دعوة الىٰ الخير. فالأمر بالمعروف يتعلّق بمن يعلم، امّا من لا يعلم أصلاً فانّ هدايته لا تسمّىٰ أمراً بالمعروف.

فللأمر بالمعروف اصطلاح مشهور وهو المتعلّق بالامور العاديّة. حيث تكون القيم الاسلاميّة هي السائدة في المجتمع، وتكون الحكومة الاسلاميّة مقتدرة ومبسوطة اليد، واذا قيل لشخص لماذا ارتكبت هذا العمل القبيح فانّ الخجل يستولي عليه بحيث يطرق برأسه ويطلب العذر، أو يقول بأنّي لم أفعله وأنتم مشتبهون في نسبة هذا الفعل إليّ. في مثل هذا المجتمع الاسلاميّ الذي يمرّ بهذه

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٤.



الظروف يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأمر بالمعروف العاديّ، وشروطه هي المذكورة في الرسائل العمليّة.

إلاّ انّ هناك مراتبَ للأمر بالمعروف ليست بهذا الشكل. وقد أشرنا فيما مضىٰ الىٰ انّ الامام الخمينى‌ؒ هو من أبرز من صرّح بهذا المعنىٰ في عصرنا قائلاً: ان التقيّة غير جائزة في بعض مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو بلغ مابلغ. أي حتّىٰ لو أدّىٰ الىٰ قتل مئات الآلاف من الناس فانّه لابدّ من القيام بالأمر بالمعروف.

وبناءً علىٰ هذا فاذا أخذنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه العامّ فانّه يشمل تعليم الجاهل من ناحية، ويمتدّ الىٰ المراحل النهائيّة من الجهاد من ناحية اخرىٰ، لانّ الجهاد يُؤدّىٰ: «لتكون كلمة اللّٰه هي العليا»[١]. وهذان مفهومان مختلفان.

فاذا قال سيّد الشهداء‌؈:

«اُريد أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر»[٢]

فانّه لا يقصد معناه الخاصّ والمحدود المتبادر الىٰ أذهاننا والذي من جملة شروطه عدم احتمال الضرر، وانّما يقصد به معناه العام، ولهذا ورد في بعض كلام المعصومين‌؈:

«و من أنكره بالسيف لتكون كلمة اللّٰه هي العليا»[٣].

اذن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحان: أحدهما خاصّ وهو المذكور في الرسائل العمليّة وله شروطه وأحكامه العاديّة. إلاّ انّ هناك ظروفاً استثنائيّة تتعلّق بالامور المهمّة ـ كما يقول الامام الخميني‌ؒ ـ وعندئذ تُلغىٰ تلك

---

١. بحار الانوار، ج ٣٢، ص ٦٠٨، الباب ١٢، الرواية ٤٨٠.

٢. بحارالانوار، ج ٣٢، ص ٦٠٨، الباب ١٢، الرواية ٤٨٠.

٣. نفس المصدر السابق.

الشروط عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فاذا سُئلنا: أيّ لون من ألوان الأمر بالمعروف كان ذلك الذي خاطر به سيّد الشهداء عليه السلام وأقدم فيه علىٰ القتل؟ ولاسيّما بالنسبة لمن يؤمن بانّه عليه السلام كان عالماً بالشهادة ونحن من جملة هؤلاء؟ وحتّىٰ لو فرضنا انّه لم يكن عالماً بذلك فعلىٰ أقلّ تقدير انّه كان يحتمل الشهادة. وقد نصحه الكثيرون أن لا يذهب الىٰ العراق، وقالوا له: لقد رأيت في الماضي ماذا فعل أهل الكوفة بأبيك وأخيك! واذا ذهبت اليهم فسوف تُقتل.

ونصحه أخوه وأبناء عمومته فأجابهم الامام عليه السلام بالدعاء لهم بالخير علىٰ نصيحتهم، وأكّد لهم انّ عليه واجباً شرعيّاً لابدّ له من العمل به. فهؤلاء كانوا يحتملون القتل، فهل من المعقول أن لا يكون عليه السلام نفسه محتملاً للقتل؟

اذن ان لم يكن هناك علم بالضرر فعلىٰ أقلّ تقدير كان لديه عليه السلام خوف من الضرر والقتل.

فاذا جاء السؤال: أيّ لون من ألوان الأمر بالمعروف هذا؟ كان الجواب: انّه لون من الأمر بالمعروف بمعناه العام وهو غير المعنىٰ المتبادر اليوم الىٰ أذهاننا والمصطلح في رسائلنا العمليّة.

سعة معنىٰ الجهاد:

و نظير هذا البحث يجري في موضوع الجهاد أيضاً. فأيّ معنىٰ للجهاد نحن نفهمه الآن؟

انّ الكتب الفقهيّة تقول: الجهاد ثلاثة أقسام: الجهاد الابتدائي، والجهاد الدفاعيّ، وجهاد البُغاة (قتال أهل البغي).

فالقسم الاول يتمّ بأمر من الامام المعصوم عليه السلام، وذلك لإزالة موانع الهداية من

طريق وليّ اللّٰه حتّىٰ تتمكّن الحكومة الاسلاميّة من نشر الاسلام في مختلف أرجاء العالم، وليس الهدف منه اجبار الكفّار علىٰ ان يسلموا، وانّما لفتح أبواب الهداية أمامهم: «**فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ**»[١]. هذا هو الجهاد الابتدائيّ. القسم الآخر من الجهاد هو فيما اذا تعرّض المسلمون الىٰ هجوم فانّهم يتصدّون للدفاع عن أنفسهم.

والقسم الثالث من الجهاد هو فيما اذا نشب القتال بين فئتين مسلمتين في الظاهر ولم يكن الاصلاح بينهما فهنا لابدّ من الوقوف الىٰ جانب المظلومين وقتال أهل البغي، أو ان يأمر الحاكم الشرعيّ بقتال أهل البغي.

هذه الأقسام الثلاثه للجهاد يعلم بها الجميع.

وهنا نتساءل عن قول ابي عبداللّٰه عليه السلام انّي نهضت اجاهد في سبيل اللّٰه «لتكون كلمة اللّٰه هي العليا»[٢]

تحت أيّ قسم من أقسام الجهاد الثلاثة يندرج ماقام به الامام عليه السلام في كربلاء؟

لم يكن من قبيل الجهاد الابتدائيّ مع الكفّار، ولا يندرج تحت عنوان الجهاد الدفاعيّ، لانّ الجهاد الدفاعيّ يعني جهاد المسلمين دفاعاً عن أنفسهم في مقابل هجوم الكفّار. وهناك أيضاً دفاع شخصيّ عن النفس، ولا يطلق عليه اسم الجهاد. وليس هو أيضاً من قبيل قتال أهل البغي، لانّه في قتال أهل البغي يقوم الحاكم الاسلاميّ بقتال المخلّين بالنظام والأمن الاجتماعيّ، كما حدث في حرب الجمل.

اذن أيّ لون من ألوان الجهاد هذا الذي يخرج فيه الانسان مع نسائه وأطفاله الىٰ كربلاء ويصمد في القتال حتّىٰ يُقتل طفله الرضيع أيضاً؟

الجواب هو: انّ لـ «الجهاد» أيضاً اصطلاحاتٍ مختلفةً. فهناك معنىٰ واسع للجهاد ـ من جهة ـ بحيث يشمل الجهاد بالمال وانفاقه في سبيل نشر الاسلام والنضال ضدّ

---

١. سورة التوبة، الآية ١٢.

٢. بحارالانوار، ج ٣٢، ص ٦٠٨، الباب ١٢، الرواية ٤٨٠.

الكفّار والحيلولة دون الهجوم الثقافيّ للأعداء كما في قوله تعالىٰ:

«وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ»[١]

فحسب هذا الاصطلاح يغدو انفاق المال لوناً من ألوان الجهاد، وهو يعتبر توسّعاً في مفهوم الجهاد.

ومن الواضح انّ المعنىٰ اللغويّ للجهاد شامل لجميع هذه الموارد، لانّ الجهاد يعني بذل الجهد. ومن يتأمّل في معناه يعرف انّ الجهاد يعني بذل الجهد في مقابل عدوّ أو مانع. ولم يؤخذ في معناه اللغويّ ان يكون حتماً من قبيل السيف، بل قد يكون المانع عدوّاً اقتصاديّاً أو ثقافيّاً، فالجهاد صادق في هذا المجال أيضاً.

انّ الجهاد بالمال أو سائر النشاطات الاجتماعيّة الاخرىٰ ـ بمايتناسب مع جهود العدوّ ـ هو جهاد أيضاً، يقول اللّٰه تعالىٰ:

«فَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً»[٢]

والنوع الآخر منه هو الجهاد بالنفس، وهو يعني تعريض النفس للقتل في سبيل اللّٰه.

والقسم الآخر منه هو جهاد النفس، وهو يعني جهاد الانسان ضدّ نفسه، ويُسمّىٰ بـ «الجهاد الأكبر».

ولهذا فانّ الشيخ الحرّ العامليّ رحمه الله صاحب كتاب وسائل الشيعة بعد أن طرح مسائل الجهاد في كتاب الجهاد قام بطرح موضوع جهاد النفس والمسائل الاخلاقيّة تبعاً لذلك.

اذن مفهوم الجهاد يتّسع ـ من ناحية ـ ليشمل الجهاد بالمال والجهاد بالكلمة والجهاد باللسان وبالقلم وحتّىٰ جهاد الانسان ضدّ نفسه، بل يُطلق علىٰ هذا اسم «الجهاد الأكبر»، ويُعتبر هذا توسّعاً في مفهوم الجهاد.

---

١. سورة التوبة، الآية ٤١.

٢. سورة النساء، الآية ٩٥.

أمّا الجهاد الذي تتناوله بالبحث كتب الأحكام الشرعيّة والرسائل العمليّة فانّه لا يشمل العمل الذي قام به الامام الحسينعليه السلام، بل يشمل الأقسام الثلاثة التي ذكرناها فحسب.

كان هذان نموذجين لبيان انّ المفاهيم قديكون لها أحياناً معنيان، معنى عام ومعنى خاصّ. فالمعنىٰ الخاصّ هو مفهوم اصطلاحيّ معيّن في جوّ محدّد ومجتمع خاصّ. وأمّا المعنىٰ العام فقد يكون هو نفس معناه اللغويّ أو انّه قد اتّسع نتيجةً للتحوّلات الاجتماعيّة فأصبحت له مصاديق جديدة.

فان أخذنا بعين الاعتبار المعنىٰ العامّ للجهاد ـ وهو بذل الجهد في سبيل اللّٰه ضدّ العدوّ ـ فانّ كثيراً من موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدخل تحت عنوان الجهاد.

ومن ناحية اخرىٰ اذا أخذنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه العام فانّ جميع مصاديق الجهاد تقريباً ـ عدا جهاد النفس ـ سوف تدخل في نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لانّ أحدهما يعني أمر الآخرين بانجاز الفعل الحسن، والآخر يعني الكفّ عن الفعل القبيح. ولهذا يتداخل هذان المفهومان. ويصف طلاّب الحوزة العلميّة مثل هذه المفاهيم بقولهم: «اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا»، أي اذا ذكرنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الىٰ جانب الجهاد. كما اذا قلنا انّ فروع الدين عشرة... السادس هو الجهاد، والسابع هو الأمر بالمعروف، فمعنىٰ ذلك انّ الأمر بالمعروف هو غير الجهاد. فقد اختلف معنىٰ هذين المفهومين لانّهما قد ذكرا معاً، وعندئذ لا يكون الجهاد شاملاً للأمر بالمعروف، ولا يكون الأمر بالمعروف شاملاً للجهاد. وأمّا اذا استُعمل كلّ واحد منهما وحده فانّه سوف يكون شاملاً للآخر، أي انّ الأمر بالمعروف يشمل الجهاد، والجهاد أيضاً يشمل الأمر بالمعروف.

وهذه القاعدة يمكن ان تنفعنا في كثير من الموارد. فاذا قال الامام الحسينعليه السلام

انيّ خرجت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فانّ قوله عليه السلام لا يُحمل علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعنىٰ المحدود المقيّد بمجموعة من الشروط التي من جملتها أن لا يكون هناك خوف من الضرر، وانّما يُحمل علىٰ المعنىٰ الأعمّ الذي ينسجم مع العلم بالخطر، وحتّىٰ أعلىٰ درجات الخطر حيث يعرّض الانسان نفسه للقتل. فحتّىٰ هذا المورد أيضاً يغدو مصداقاً لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. غاية الأمر انّه بالاصطلاح الأعمّ وهو غير اصطلاح المستخدم في الرسائل العمليّة والشائع بين الناس.

ونظير هذا يجري في موضوع الجهاد أيضاً.

ويؤكّد الامام الخمينيّ قدس سره في رسالته المخصّصة لموضوع التقيّة علىٰ انّ بعض مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحرم فيها التقيّة ولو بلغ الأمر ما بلغ، فلاتقيّة في الامور المهمّة. ويضرب عدّة أمثلة للتوضيح، من جملتها: انّ العدوّ اذا حاول هدم الكعبة الشريفة، فهنا لا مجال للحديث عن الامتناع عن الأمر بالمعروف بسبب احتمال وجود الخطر، وأنّما لابدّ من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف في وجه العدوّ وان كان ذلك يؤدّي بالانسان الىٰ القتل، فالمحافظة علىٰ الكعبة ليست مثل أيّ واجب عاديّ آخر. وكذا اذا تعرّض النبيّ او الامام للخطر ـ كما لو ألقىٰ الأعداء القبض علىٰ النبي أو الامام ويريدون قتله ـ فهنا لا يحقّ للمؤمنين أن يقولوا نحن لا ننهىٰ عن هذا المنكر لأنّنا نخاف الضرر، فليقتلوا النبي ولنسلم نحن!

انّ من له أدنىٰ معرفة بالأحكام الاسلاميّة يعلم انّه يجب انقاذ النبيّ حتّىٰ لو قُتل آلاف الناس.

وبعد ذكر عدّة أمثلة اخرىٰ يقول الامام الخمينيّ قدس سره بشكل عام انّه في أيّ مورد يتعرّض فيه كيان الاسلام وأساسه للخطر فالتقيّة حرام ويجب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ونكرّر عتابنا هنا لأصدقائنا من أصحاب التحقيق والاجتهاد حيث إنّهم لم يتابعوا ماقام به الامام‌ﷺ ولم يبيّنوا بدقّة مصاديق هذه الامور المهمّة وحدودها. فقد ذكر الامام‌ﷺ عدّة أمثلة منها، ولابدّ من البحث عن سائر الموارد وتوضيحها حسب الأوضاع الاجتماعيّة التي نمرّ بها اليوم. فقتل النبيّ أو الامام اليوم لا يتمّ فقط بذبحهما بالسيف، وانّما يقوم الأعداء المعاصرون بقتل نبوّته أو امامته أو ولايته. فهناك شخص يحظىٰ باحترام الشخصيّات من الدرجة الاولىٰ في الجمهوريّة الاسلاميّة يكتب رأيه صراحة فيقول:

«انّه بموت النبيّ‌ﷺ قد انتفت الولاية أيضاً!»[١]

فلا ولاية بعد موت النبيّ! ثمّ يُدعىٰ هذا القائل ليحاضر لطلّاب الجامعة واساتذتها في ليلة العاشر من المحرّم بعنوان انه خطيب اسلاميّ، وقد تكرّرت الدعوة له حتّىٰ في هذا العام![٢].

انّه نفس الشخص الذي يقول انّ الوحي أمر شخصيّ ونحن لا نستطيع ان نثبت في الواقع انّ شخصاً مّا نبي أم لا!

وهو نفسه الذي يقول: انّ النبي يخطئ ـ مثل سائر الناس ـ حتّىٰ في فهم الوحي!

هل هذا أسوء أم قتل النبي‌ﷺ؟

لو قتل النبيّ‌ﷺ فانّ هدفه سيترسّخ أكثر، كما حدث عند قتل الامام الحسين‌ﷺ فقد حفظ دمُه هدفَه.

أمّا اذا تمّ قتل النبوّة فماذا سيبقىٰ بعدئذ؟

ففي مقابل هذا الوضع الخطير هل يصحّ القول: انّي اخاف أن اُهان؟ أخاف أن

---

١. عبدالكريم سروش، تحت عنوان «بسط تجربهٔ نبوى»، ص ٢٧ و١٣٣.

٢. ليرجع من شاء الىٰ صحيفة «عصر آزدگان» بتاريخ ١٣٧٩/١/٢٨ ه‍ ش، ص ٣؛ في تقرير عن محاضرة عبدالكريم سروش في مراسم العزاء التي أقامها «دفتر تحكيم وحدت».

أُضرب؟ أخاف ان يُشكّل لي ملّف في الدائرة الفلانيّة؟

هل تصلح هذه الذرائع ان تكون عذراً؟

وهل انّ المسؤولين الدينيّين والحكوميّين عندنا لا يعلمون بـهذه الامـور؟ ولا يشعرون بالأخطار التي تتّجه من هؤلاء الأشخاص؟

أم انّهم لا يعيرون أهميّة لهذه الامور؟

من الذي لا يعلم انّ الدين سالك طريق الضعف في مجتمعنا خلال هذه السنين الأخيرة؟

يشهد اللّٰه انّي عندما أذهب الىٰ الدول الأجنبيّة فانّي لا أملك جواباً للمسلمين الذين يعيشون في انكلترا أو امريكا أو غيرهما. يقولون لقد ذهبنا الىٰ ايران في العام الماضي وذهبنا اليها في هذا العام فلم نصدّق بانّ ايران اليوم هي ايران العام الماضي!

هل يصدّق أحد بانّ مستوىٰ الدين في مجتمعنا باقٍ علىٰ ما كان عليه في العام الماضي؟!

مَن هو السبب في هذا الانحطاط الدينيّ؟

وما هي العلّة في ذلك؟

لماذا أصبحت الأوضاع اليوم بهذا الشكل؟

اذا درستم الأسباب لهذا الأمر فسوف تصلون الىٰ فئتين من العوامل: الفئة الاولىٰ هي المطبوعات والنشريات والكتب المضلّلة، ومن الواضح انّ وزارة الارشاد هي المسؤولة عنها.

والفئة الثانية هي الأعمال التي تتمّ في هذا البلد ممّا يذهب بقبح المعاصي ويزيد في الوقاحة. ويتمّ ترغيب الناس في المعصية، وتُفتح أمامهم سبُلها، وبذريعة انّـهم يهتمّون بشؤون الشباب يعطونهم الضوء الاخضر للاقدام عـلىٰ الذنب. ليس فـقط الذنب السرّي الخفيّ، بل وحتّىٰ الذنب الذي يُرتكب علناً في الوسط الاجتماعيّ!

وهناك عامل آخر وهو قنوات التلفزيون الأجنبيّة في المجالات التي يتيسّر فيها استلامها كالمناطق الحدوديّة أو الذين يملكون ـ بصورة غير قانونيّة ـ أجهزه استلام البثّ من الأقمار الصناعية، أو أفلام الفيديو الاباحيّة التي تدخل البلد بصورة غير مشروعة، وقد يكون بعضها باجازة من وزارة الارشاد!

وقد يتحمّل بعضَ الوزر أشخاصٌ في وزارات اخرىٰ، ولكنّ المسؤوليّة الضخمة تقع علىٰ عاتق وزارة الارشاد، مثل تشكيل دور للثقافة يتمّ فيها تعليم الذنوب أو الترغيب فيها. وكذلك نشر مسرحيّات مضادّة للاسلام مائةً بالمائة كما يقول قائد الثورة الاسلاميّة حفظه اللّٰه. وامور اخرىٰ من هذا القبيل.

من المسؤول عن هذه الأعمال؟

انّ بعض الناس يقول لنا: اذا كنتم تَعدّون هذه الحكومة حكومة اسلاميّة فلماذا تخالفون وزيراً من وزرائها؟

انّها حقّاً مغالطة عجيبة! لانّ كون النظام اسلاميّاً هو بالقيادة. ولهذا السبب تهاجم بعض الصحف والمجلاّت مقام ولاية الفقية والحكومة الاسلاميّة القائمة علىٰ أساس ولاية الفقيه بل وشخص القائد الكريم، وهي تتقدّم في هذا المجال يوماً بعد يوم بصورة أكثر وقاحة. لماذا؟ لانّ هؤلاء لا يريدون الاسلام. وقد قالوها بصراحة في مؤتمر برلين حيث أعلنوا فيه انّ الاسلام لا يستطيع أن يكيّف نفسه مع الديمقراطيّة المعاصرة، وهذه هي مشكلة الاسلام، وانّ مجلس الشورىٰ السادس سوف يضع حلاًّ لهذه المعضلة[١]. ولم يتعرّض لهم أحد!

مثل هؤلاء الوزراء ومساعديهم ومشاوريهم هل يمكننا ان نعدّهم واجبي الطاعة؟ ألاّ اذا كانت طاعة الشيطان واجبة!

---

١. صحيفة «كيهان»، بتاريخ ٢٣ و ٢٤ و ١٣٧٩/١/٢٥. هـ ش؛ ضمن تقارير متعلّقة بمؤتمر برلين.

والكلّ يعلم انّه «لاطاعة لمخلوق في معصيته الخالق»[١]، فهل من المعقول أن يجيز اللّٰه تعالىٰ الطاعة لمن يدعو الىٰ المعصية والىٰ طريق الشيطان؟

انّ هؤلاء يؤيّدون شيوع المعاصي ويمهّدون السبل لها، ويعطون التسهيلات لمن يرتكبون المعاصي ويقدّمون لهم الجوائز ويفرشون الموائد الضخمة للذين كرّسوا جهودهم خلال عشرين عاماً ضدّ النظام الاسلاميّ.

وقد واجه الامام الحسينعليه‌السلام أيضاً اناساً يتحدّثون عن الاسلام ويعتبرون أنفسهم خلفاء النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله ولم يكونوا منكرين للاسلام في الظاهر. لو لم يكن قائد الثورة الاسلاميّة علىٰ رأس هذا النظام فانّ هذه الحكومة لن تكون اسلاميّة. ونحن نحترم اولئك المسؤولين في هذا النظام ممن يحظون بتأييد القائد الكريم. وقد تكرّر ذكر هذا الموضوع في كلام الامام الخمينيرحمه‌الله وفي وصيته، حيث أكّد علىٰ أنّ النظام اذا لم يكن قائماً علىٰ أساس إذن الوليّ الفقيه أو تنصيب الولي الفقيه فانّه طاغوت[٢]، وقد صرّحرحمه‌الله بانّ رئيس الجمهورية اذا لم يتمّ تنصيبه من قبل الوليّ الفقيه فهو طاغوت.

لماذا يقوم هؤلاء بالتشكيك بالأفكار الأصيلة في المجتمع؟

لكي يهدموا ويمحوا هذه المواضيع.

لماذا يكثر هؤلاء من الحديث عن الشعبيّة والديمقراطيّة؟

من أجل انّه اذا قال أكثر الناس في المستقبل انّنا لا نريد الاسلام فانّهم يقولون انّ كلام الناس هو المعيار وليس كلام الامامرحمه‌الله. وبالتالي لماذا قال هؤلاء في مؤتمر برلين: انّ الخميني قد ذهب الىٰ متحف التاريخ؟!

انّ المسؤولين الامريكيّين صرّحوا بانّ الدورة السادسة من مجلس الشورىٰ اذا استطاعت أن تحلّ مشكلة ولاية الفقيه فقد نجحت في تسهيل الامور علينا وسوف تحلّ مشكلتنا مع ايران. انّهم يعلّقون الآمال الكبيرة علىٰ أن يأتي يوم تُزال فيه ولاية

---

١. نهج البلاغة، الكلمات القصار، ١٦٥.

٢. نقلاً من «صحيفة نور»، ج ٩، ص ٢٥٣.



الفقيه من النظام عن طريق الانتخابات، وهم الآن منهمكون في توفير المـقدّمات وإعداد الأرضيّة الثقافيّة لذلك.

لعنة الله علىٰ من يوفّر لهم هذه الأرضيّة! انّهم يخونون دماء الامام الحسينعليه السلام ومئات الآلاف من الشهداء.

ما هي وسيلتهم في ذلك؟

هذه الصحف الكذائيّة التي تُدار وتُدعم بواسطة التموين الخارجـي. قـد يسأل سائل: ما هو الهدف من وراء كلامي هذا؟

انّ المشكلة الأساسيّة في كل مجتمع هي قلّة الوعـي. اذا اسـتطاع هـؤلاء أن يصولوا ويجولوا في هذه السنين الأخيرة فذلك بسبب أنّنا لم نكن عالمين بواجباتنا، فالبعض منّا قد خُدع بمقولة التساهل والتسامح، وقد انخدع الناس بالذمّ المـوجّه للعنف ووصفه بانّه مضادّ للقيم، فقد خاف الناس مـن ان يُـتّهموا بـالعنف حـينما يتكلّمون! وهناك فئة من الناس متديّنة ومستقيمة ولكنّها كانت تخاف اذا تكلّمت ان يكون كلامها ضدّ مصلحة النظام الاسلاميّ وخلاف ما يُرضي القائد. وهـذه الفـئة ليست قليلة. ولابدّ ان نكون مصغين لما يقوله القائد المحنّك. ولكنّه يجب علينا ان نكون علىٰ اُهبة الاستعداد الكامل حتّىٰ اذا صدر ـ في يوم مّـا ـ الأمـر بـالجهاد والنضال فانّنا سوف نصمد ونقاوم الىٰ آخر قطرة من دمائنا. انّ توفير هذا الاستعداد لا يكون في «لحظة»، فاذا صدر الأمر فانّه لا يمكن الاستعداد سريعاً بل لابدّ من توفير الاستعداد الروحيّ في الانسان قبل ذلك بعشرات السنين.

فالامام الخمينيرحمه الله عانىٰ الأمرَّينِ خلالَ خمسة عشر عاماً حتّىٰ اعدّ الأرضـيّة الثقافيّة للثورة الاسلاميّة. لقد دخل السجن ونُفي من الوطن واستشهد ابنه الأكبر في هذا السبيل في ظروف غامضة مشبوهة وتحمّل المشاكل الضخمة خـلال سـنين طويلة حتّىٰ توفّرت الأرضيّة الاجتماعيّة لهذه الحركة العـظيمة. ولو كـانت هـذه

الأرضيّة متوفّرة منذ البداية فان الثورة لم تكن لتتأخّر خمسة عشر عاماً. اذن قام الامام بتوفير هذه الأرضيّة خلال خمسة عشر عاماً ثمّ سقىٰ هذه الشجرة بالدماء الطاهرة للشهداء خلال عشرة أعوام. واليوم يحاول الأعداء ان ينتزعوا منّا بسهولة ثمرة هذه الجهود المباركة. بأيّ شيء؟ بأعذار واهية من قبيل انّنا نخاف أن نفعل شيئاً ويكون عنفاً! أو خلاف التساهل والتسامح! بمثل هذا السحر يريدون ان يلتقموا ويبتلعوا ثمرة نشاط وجهود كلّ الأنبياء والأولياء ودماء سيد الشهداء وآلاف الشهداء الأوفياء وكذا مجالس العزاء خلال ألف وثلاثمائة عام التي انتجت هذه الثورة الاسلاميّة المباركة.

انّهم يريدون ان يقتلعوا هذه الشجرة ويتلفوا هذه الثمرة بسحر التساهل والتسامح!

من أين جاء هذا المفهوم؟ ومن أين نزل هذا الواجب الذي يقضي علىٰ كلّ أحكام الشريعة المقدّسة وينسخ جميع احكام الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

انّه أمر صادر من العالم الغربيّ يفرض علينا التساهل والتسامح!

لابدّ لنا من الحذر الشديد، وأن لا نتصوّر انّها مسألة تخوض فيها الصحف، حيث يكتب أحدهم شيئاً والآخر يجيبه أو يمتنع عن جوابه.

لاحِظوا آثار هذا الموضوع في المجتمع! انظروا كيف يدفعون كثيراً من الشباب الىٰ الانحراف بواسطة هذه الأعمال! انّها آثار هذه الجهود الحثيثة. انّها السياسة الثقافيّة الخبيثة التي تنتج مثل هذه الثمرات المرّة. لو كنّا قد وقفنا ضدّ هذه النشاطات منذ البداية لما ابتُلينا بهذا الفساد، والآن أيضاً ليس الوقت متأخّراً للقيام بما يحجمها.

ليعلمِ الناس انّ العدوّ يتآمر ويخطّط ويحاول بطرح بعض الأقوال والشعارات أن يقضي علىٰ جهود المذهب الشيعي خلال ألف وأربعمائة عام! انّهم يقولون صراحةً انّه بموت النبيّ فقد ذهبت الولاية أيضاً! ويقولون بانّه لا يوجد يقين بنبوّة النبيّ! ويقولون بانّ وجود الله أساساً ليس قابلاً للاثبات العقليّ!



قالوا كلّ هذا وغيره ولم يفهم الكثير منّا لأيّ شيء يخطّط هؤلاء.

انّهم بهذه الأقوال وبهذا السحر يحاولون أن يقضوا علىٰ دين وايمان الشباب الذين يمرّون بمرحلة الثانويّة أو الجامعة وليسوا مزوّدين بالمعارف الاسلاميّة كما ينبغي ولم تستقوِ بعدُ بنيتُهم الايمانيّة كما يجب!

لقد نبّه قائد الثورة الاسلاميّة علىٰ أنّ الأعداء قد وجّهوا سهامهم الىٰ دين الناس وايمانهم. وقد حذّر الناس كثيراً من الهجوم الثقافيّ والغارات الثقافيّة! وقد تساءل: ماذا فعل المسؤولون الثقافيّون في مواجهة هذا الهجوم؟

وبدوري احذّر المسؤولين في البلد وأنصحهم بانّ السبيل الذي انتهجتموه ليس في مصلحتكم. فالناس قد أثبتوا ـ مرّات عديدة ـ بانّهم اذا عرفوا انّ دينهم يواجه خطراً فلن تكون للأرواح قيمة عندهم. وليحاول المسؤولون المعتقدون باللّه تعالىٰ والنبيﷺ أن يبعدوا هؤلاء الشياطين عنهم وأن يطردوهم من الأجهزة الحكوميّة ولاسيّما الأجهزة صاحبة القرار الاساسيّ. وليهتمّوا بنصائح الامامؒ وليجعلوها نصب أعينهم.

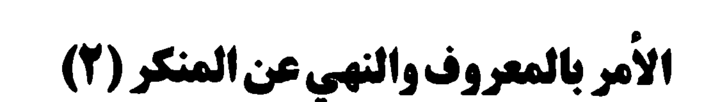
وان لم يفعلوا ذلك فلايستبعدوا أن يأتي يوم يتّجه فيه نفس تكليف سيد الشهداءعليه السلام الىٰ نائب الامام المعصومعليه السلام وينهض الآلاف لنصرته ممّن ينتظرون الشهادة وممّن يزورون الامام الحسينعليه السلام كلّ يوم ويخاطبونه:

«ياليتني كنت معكم فأفوز معكم».[١]

ليحذر هؤلاء من ذلك اليوم وليصحّحوا أخطاءهم وليتوبوا الىٰ اللّه تعالىٰ ان كانوا قد ارتكبوا ذنباً وليعتذروا لسيّدالشهداءعليه السلام وللامّة الإسلاميّة.

---

١. زيارت الامام الحسينعليه السلام في يوم عرفه.



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢)

- مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعنىٰ العام
  - تعليم الجاهل
  - تذكرة وموعظة
  - التصدّي الاجتماعيّ للمؤامرات
  - المواجهة للهجوم الثقافيّ
  - الجهاد والحرص علىٰ الشهادة من أجل ايقاظ المجتمع

نواصل حديثنا في هذا الفصل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد ذكرنا انّه يعتبر واحداً من أهداف نهضة سيّد الشهداء عليه السلام. ثمّ تساءلنا عمّا قام به الامام الحسين عليه السلام في هذه النهضة لماذا لا يتطابق مع الموازين التي نعرفها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبعبارة اخرىٰ: ما هو نوع هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا نعرف له مثيلاً في التاريخ ولا نعرف أحكامه؟

تحدّثنا فيما مضىٰ ـ كمقدّمة للبحث ـ عن بعض المفاهيم التي تستعمل في بعض الأحيان بمعناها العامّ وفي أحيان اخرىٰ بمعناها الخاصّ.

وعلىٰ هذا الأساس وبالالتفات الىٰ موارد استعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم والروايات الشريفة انتهينا الىٰ هذه النتيجة وهي انّ للأمر بالمعروف أيضاً اصطلاحين ومعنيين، أحدهما خاص والآخر عام. فالمعنىٰ الخاصّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو نفس المعنىٰ المصطلح والمستخدم في الرسائل العمليّة، وقد ذُكرت له هناك شروط معيّنة، ومن جملة شروط العمل بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أن لا يكون فيه خوف الضرر.

لكنّه يوجد أيضاً معنى أوسع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث يشمل أحكاماً وعناوين اخرىٰ، وحتّىٰ انّه في بعض الموارد يشمل الجهاد أيضاً.

وقد ذكرنا بعض الأمثلة التي تعكس الاستعمال الواسع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ونحاول ـ بعون اللّه ـ في هذا الفصل أن نبوّب هذه المواضيع وأن نذكر الأحكام المتعلّقة بكل قسم بالمقدار الميسور لنا.

مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعنىٰ العامّ:

انّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه العام يعني بذل الانسان أيّ جهد بهدف التأثير علىٰ انسان آخر بحيث يحمله علىٰ القيام بالعمل الواجب أو يكفّه عن العمل المحرّم. وقد يتحقّق بذل هذا الجهد بطرق مختلفة مثل تعليم حكم العمل المقصود أو موضوعه، بمعنىٰ ان يتمّ تعليمه بانّ الأمر الكذائي واجب في الاسلام أو تعليمه كيفيّة القيام بذلك الواجب. ولعلّ «التعليم» هو أهمّ مصداق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه العامّ. ومن جهة اخرىٰ فانّ مثل نهضة سيّدالشهداءعليه السلام التي انتهت باستشهاده تعتبر أيضاً من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه العام.

والحاصل انّه من ناحية المصاديق يمكن الأخذ بعين الاعتبار ثلاث فئات من المصاديق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تعليم الجاهل:

انّ أوّل مصداق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من قبيل التعليم. فقد نواجه انسانا لم يكن باستطاعته في السابق ان يتعلّم أحكام الاسلام لأسباب مختلفة، مثل كونه قد وصل الىٰ سنّ البلوغ والتكليف حديثاً، أو انّ ظروفه والبيئة التي كان يعيش فيها غير مؤهّلة لذلك، كما لو كان يعيش في منطقة بعيدة عن مركز الاسلام أو كانت تحت سلطة الكفّار. ويُصطلح علىٰ هذا الفرد بانّه جاهل قاصر بالنسبة الىٰ أحكام الاسلام، اي انّه لم يرتكب تقصيراً في مجال عدم علمه بالحكم أو كيفيّة تنفيذه. فهو لم تتوفّر له ظروف تعلّم أحكام الاسلام ولم يتهاون في هذا المضمار. انّ تعليم

احكام الاسلام بالنسبة لأمثال هذا الفرد أمر واجب.

لكنّ تعليم مثل هؤلاء علىٰ مَن هو واجب؟ وكم هي ألوان هذا التعليم؟ وهل يتعيّن ان يكون هذا التعليم فردياً أم اجتماعيّاً؟ بصورة رسميّة أم غير رسميّة؟...

هذه وغيرها أسئلة حسّاسة ولكنّ الجواب عليها يستدعي اتّساع البحث وهو لا يتناسب مع هذا الكتاب.

وعلىٰ الاجمال فانّ هذا الموضوع يُعتبر من المسلّمات وهو انّ تعليم الجاهل القاصر واجب. ولابدّ ان يتمّ هذا التعليم بحنان ولِين، لانّ المتعلّم لم يكن مقصّراً في جهله. ويتعيّن البحث عن أفضل الأساليب التعليميّة واستخدامها بما يتناسب مع عمر المتعلّم وظروف حياته ودرجة استعداده وفهمه حتّىٰ يتعلّم بصورة أحسن وأسرع. فمثلاً بالنسبة للشاب الذي وصل توّاً الىٰ سنّ البلوغ لا يصحّ استخدام نفس الاسلوب التعليميّ الذي يستخدم عادةً لكبار السنّ. وهكذا فان اسلوب التعليم يختلف بحسب درجات استعداد الأفراد ومستواهم العلميّ.

هذا هو قسم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا ينبغي لأحد أن يُشكل علينا بأنّنا لم نسمع من قبل بمثل هذا الأمر بالمعروف، لانّ المفروض أنّنا بصدد دراسة مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه العامّ، وهو شامل لتعليم الجاهل أيضاً.

القسم الآخر هو أن يكون الجاهل مقصّراً، بمعنىٰ أنّه كان يتمتّع بالقدرة علىٰ التعلّم ولكنّه تكاسل وأهمل في هذا المجال. وفي هذه الصورة اذا طالب الجاهل المقصّر بالتعليم فانّه يجب تعليمه. أمّا اذا لم يطلب ذلك ونحن نعلم انّ هذا الجاهل المقصّر لا يعلم واجبه ولا يعلم انّه قد قصّر في التعلّم فهنا يجب تعليمه ويجب أيضاً اللجوء الىٰ اسلوب في تعليمه بحيث ينجذب الىٰ هذا التعليم.

فـ«الجاهل القاصر» يتمتّع ـ بذاته ـ بدافع للتعلّم إلاّ ان ظروف التعلّم لم تتيسّر له

ولهذا لم يستطع ان يتعلّم. أمّا بالنسبة الىٰ «الجاهل المقصّر» فانّ ظروف التعلّم ميسورة له فكان باستطاعته ان يتعلّم ولكنّه تهاون وتكاسل. ولهذا لابدّ من ايجاد الدافع في نفسه لكي يستمع ويهتمّ حتّىٰ يتعلّم. وهذا يعني انّه لابدّ من استخدام اسلوب تعليميّ أشدّ تعقيداً في هذا المجال حتّىٰ يوجد الاستعداد في الجاهل المقصّر ليطلب التعليم بنفسه. وفي غير هذه الصورة اذا قيل له ـ لإقامة الحجّة عليه فقط ـ تعال لنعلّمك المسائل، وهو يجيب بانّني لا احبّ أن أتعلّمها، فانّ التكليف لا يسقط عنّا في هذه الحالة.

اذن اسلوب العمل في مجال الأمر بالمعروف بالنسبة للجاهل المقصّر يكون أكثر تعقيداً. وحسب اختلاف الظروف فانّ التكليف قد يقع علىٰ عاتق فرد معيّن أو قد يوضع علىٰ عاتق مؤسّسة مثل مؤسّسة التربية والتعليم.

القسم الثالث من الأمر بالمعروف الذي هو من قبيل التعليم يأتي في حالة الشخص الذي يتصوّر انّه قد تعلّم الحكم وانّه يعرف كيفيّة تنفيذه.

ولكنّه في الحقيقة مشتبه في ذلك. مثلاً في الشؤون الفرديّة هناك أشخاص تكون قراءتهم خاطئة في الصلاة ولكنّهم يتصوّرون انّهم يقرأون بشكل صحيح. أو هناك مؤمن يتخيّل انه قد نهض بواجبه الاجتماعيّ بصورة صحيحة، لكنّه مخطئ في هذا التخيّل. مثلاً في عصر الطاغوت (زمان شاه ايران السابق) حيث كانت الظروف الثقافيّة والدينيّة لمجتمعنا تختلف كثيراً عمّا هي عليه اليوم، ولعلّها تكون متشابهة في بعض الموارد، فانّ بعض الناس كان يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة عنيفة، وفي بعض الأحيان كان يتمّ بصورة مهينة للآخرين فيقول له: لماذا تفعل هذا الفعل القبيح؟ ويتخيّل هذا الانسان انّه قام بواجبه علىٰ أحسن وجه، ولكنّه في الواقع يرتكب ذنباً ـ من دون التفات منه ـ أثناء ادائه واجب الأمر بالمعروف، وهو عبارة عن توجيه الاهانة لمؤمن حتّىٰ لو كان هذا المؤمن عاصيا.

فهنا يُعدّ هذا الانسان جاهلاً من لون الجهل المركّب، بمعنىٰ انّه لا يعلم ويظنّ انـه يعلم. مثل هذا الشخص لابدّ من تعليمه، إلاّ انّ اسلوب تعليم أمثال هذا يكون أشدّ تعقيداً من الاسلوبين السابقين. أيّ لابدّ من التحدّث معه بشكل ليّن حتّىٰ يـصبح مستعدّاً للتغير، أي ينبغي ان نعمل شيئاً يجعله يحتمل انّه مخطئ في كـيفيّة القـيام بالواجب، لانّه كما ذكرنا يعتقد انّه يؤدّي واجبه بشكل صحيح، ولهذا فمن الصعوبة بمكان ان يسلّم بانّه مخطئ في عمله. ثمّ بعد ذلك نعلّمه الشيء الصحيح.

فالكثير منّا قد سمع بقصّة الامام الحسن عليه السلام والامام الحسين عليه السلام في طفولتهما، فقد نُقل انّهما في يوم من الأيّام شاهدا شيخاً يتوضّأ ولكنّه كان مخطئاً في كـيفيّة الوضوء. وعقدا العزم علىٰ تعليمه الطريقة الصحيحة للوضوء. وهما يعرفان جيّداً ان الادب الاسلاميّ يقتضي احترام الطاعنين في السنّ أكثر من غيرهم، فحاولا تعليمه مع المحافظة علىٰ كرامته. فذهب الحسنان عليهما السلام اليه وسلّما عليه وقالا له: نحن أخوان ونريد أن نتوّضأ أمامك فانظر أيّنا يتوضّأ أفضل من الآخر. لم يقولا له: انّك تتوضّأ بصورة خاطئة، ولماذا لم تتعلّم كيفيّة الوضوء؟ وانّما احترما كِبَر سنّه وسلّما عليه ثمّ عرضا عليه أن يتوضّآ أمامه ليحكم بينهما أيّهما أفضل وضوءاً. فتأمّل الشيخ فـي كيفيّة وضوئيهما متعجّباً وعرف أنّهما يحاولان بهذا الاسلوب ان يـعلّماه الطـريقة الصحيحية للوضوء. وراح الشيخُ يغدّي الحسنين بأبويه قائلاً لهما: إنّكما تتوضّآن بشكل جيّد وأنا المخطئ في وضوئي.

انّ الموارد الثلاثة، وهي الجاهل القاصر والجاهل المقصّر والجـاهل المـركّب، تحتاج الىٰ تعليم، ولابدّ من تعليم هؤلاء، ولكن يجب ان يتمّ ذلك التعليم بأساليب تربوية تتناسب مع عمر الأفراد واستعدادهم ومكـانتهم الاجـتماعيّة حـتّىٰ يـنجح الانسان في قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا يكفي ان يقول الانسان شيئاً كيفما اتّفق من باب «اقامة الحجّة» علىٰ الغير.

ففي مجتمعنا الاسلاميّ لابدّ ان يتصدّىٰ أفراد أو مؤسسات لعمليّة التعليم بأساليب محبّبة ومؤثّرة ومناسبة من جميع الجهات. وتختلف الشروط من مورد الىٰ آخر. مَن الذي يتصدّىٰ للتعليم؟ مَن هم الذين يتلقّون التعليم؟ من الذي يصبح مديراً للمؤسّسة التعليميّة؟ كيف يدير المعلّم الصفّ؟

لابدّ من البحث عن أفضل الأساليب حتّىٰ يتعلّم جيّداً من يحبّ التعلّم. فالهدف هو تعليم الجاهل، وليس الهدف هو إلقاء كلمات كيفما كانت لتتمّ الحجّة علىٰ السامعين.

هذه أقسام ثلاثة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي تدخل جميعاً تحت عنوان «تعليم الجاهل».

ومن الجدير بالذكر أنّنا في هذه المجالات الثلاثة: الجاهل القاصر والجاهل المقصّر والجاهل المركّب، لسنا بحاجة الىٰ استخدام العنف، وانّما لابد من تعليم الجاهل في كلّ هذه الموارد، ولابدّ أن نبذل غاية وسعنا لكي يتعلّم بصورة أحسن.

تذكرة وموعظة:

و هناك قسم آخر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر مصداقاً للموعظة والنصيحة. ولهذا القسم عدّة صور ايضاً تختلف مصاديقها. مثلاً اذا عرفنا انّ شخصاً يرتكب الذنب عالماً عامداً علىٰ الرغم من انّه يعرف الحكم ويعرف انّ هذا الفعل معصية. ولهذا الفرض نفسه عدّة حالات، فتارة يرتكب هذا الشخص الذنب وحده وفي حالة الخلوة ولكنّنا صدفةً اطّلعنا عليه وهو لا يحبّ اطلاقاً ان يطّلع عليه احد، وحتّىٰ اذا علم انّنا قد عرفنا بما جرىٰ فان الخجل يستولي عليه، ففي هذه الحالة يجب علينا ان نأمره بالمعروف وننهاه عن المنكر، إلا ان هذا الأمر والنهي يجب ان يتمّا بشكل بحيث لايصاب بالخجل، لانّ فعل مايخجل الآخرين يكون مصداقاً

لايذاء المؤمن، وايذاؤه حرام. لابدّ من التحدّث معه بصورة لايلتفت فيها الىٰ انّنا عالمون بالقضيّة. فمثلاً نقدّم له الموعظة بذكر الامور العامّة. ولا يجوز اطلاقاً افشاء سرّه للآخرين، بمعنىٰ اخبار الآخرين بمعصيته، لانّ هذا الافشاء هو بذاته من الذنوب الكبيرة. فقد يرتكب شخص ذنباً بسيطاً في الخفاء، ثم نتحدّث به نحن للآخرين تحت عنوان النهي عن المنكر! فهو أوّلاً يُصاب بالخجل وهذا ذنب ارتكبناه. ثانياً اذا عرف الآخرون بذنبه البسيط عن طريقنا فنحن قد ارتكبنا بهذا احد الذنوب الكبيرة. انّه ارتكب ذنباً من الذنوب الصغيرة، ونحن ارتكبنا ذنباً من الذنوب الكبيرة أثناء محاولتنا للقيام بالتكليف!

وبناءً علىٰ هذا اذا ارتكب شخص ذنباً في الخفاء، حتّىٰ لو كان هذا الذنب من الكبائر فانّه لا يجوز لنا افشاء سرّه ويحرم التحدّث به للآخرين حتّىٰ لأبويه، لانّه سوف يصاب بالخجل وتُهدر كرامته، وهو أمر محرّم.

نعم هناك مورد واحد مستثنىٰ من هذا الحكم وهو أن ينحصر طريق اصلاح هذا الفرد العاصي باخبار الآخرين بمعصيته، بمعنىٰ انّه غير مستعدّ اطلاقاً للكفّ عن معصيته، والطريق الوحيد الباقي للتأثير عليه هو أن نخبر شخصاً آخر يستطيع اصلاحه بهدوء، ففي هذه الحالة فقط يجوز التحدّث بذلك الىٰ هذا الشخص. لكنّه مهما أمكن لابدّ ان نحاول نحن اصلاحه والقيام بنهيه عن المنكر الذي ارتكبه بصورة لا يلتفت فيها الىٰ انّنا مطلعون علىٰ ذنبه حتّىٰ لا تُهدر كرامة المؤمن. فالله سبحانه وتعالىٰ ستّار العيوب ولا يرضىٰ ان تهدر كرامة المؤمن بواسطة افشاء سرّه للآخرين.

وكثير من الناس غافل عن هذا الموضوع، ولهذا يتصوّر انّ كل من يرتكب معصية ولاسيّما اذا كانت من الكبائر فلابدّ من التشهير به واخبار الجهات المسؤولة عنه أو لابدّ من تعزيره أو اقامة الحدّ عليه اذا كان لذلك الذنب حدّ شرعيّ معيّن.

بينما الواقع انّه حتّىٰ الذنب الموجب للحدّ لا يجوز افشاؤه بسهولة، إلاّ اذا اجتمع اربعة أشخاص قد شاهدوا المعصية بأعينهم، عندئذ يجوز لهؤلاء الأربعة ان يتحدثوا بهذا الذنب الىٰ الجهات المسؤولة. أمّا اذا جاء الىٰ المحكمة ثلاثة مؤمنين وشهدوا علىٰ ارتكاب هذا الفرد عملا موجباً للحدّ ولم يحضر للشهادة رابعهم فانّ علىٰ القاضي ان يجري الحدّ علىٰ هؤلاء الثلاثة. فالاسلام حريص الىٰ هذا الحدّ علىٰ عدم افشاء اسرار الناس للمحافظة علىٰ كرامتهم.

نعم اذا وصلت الفضيحة الىٰ هذا المستوىٰ بحيث شاهد فيها المعصية اربعة من المؤمنين العدول بحيث لم يكن في ذلك شكّ ولا شبهة فانه عندئذ لابدّ من تنفيذ الحدّ الالهيّ ولا ينبغي تعطيل الحدود الالهيّة.

القسم الآخر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجري في حالة ما اذا كان الشخص العاصي غير مبالٍ بالأمر. صحيح انّه قد ارتكب المعصية في الخلوة ولكنّه اذا عرف انّ الآخرين قد علموا بما فعل فانّه لا يشعر بالخجل. في مثل هذا المورد لا يجب علينا حفظ سرّ هذا الانسان كما كان يجب علينا بالنسبة لمن يستحي من ذنبه. ولكنّه في نفس الوقت لابدّ ان ننهاه عن المنكر بشكل لا يطّلع فيه الآخرون ـ من دون مبرّر ـ علىٰ معصيته. فننصحه بشكل سريّ ونمتنع عن ذلك امام الناس حتّىٰ لا يفشىٰ سرّه. فهو وان كان غير مبالٍ بذلك ولكنّنا نحن لا ينبغي لنا أن نساهم في أشاعه الفحشاء.

وهذا يختلف عن المورد السابق الذي لا يحب فيه العاصي ان يطّلع الآخرون علىٰ ذنبه وهو غير متجاهر بالفسق وقد قام بمعصيته في الخلوة. ولهذا كان يجب علينا ان نحفظ سرّه، وفي نفس الوقت نبذل جهدنا في ايقاظه بشكل من الأشكال، بقراءة حديث شريف أو قصّة نافعة أو ارشاده الىٰ مجلس موعظة بطريقة لا تهدر كرامته.

أمّا اذا كان الشخص متجاهراً بالفسق، بمعنىٰ انّه يرتكب المعصية عمليّاً بحضور الآخرين ولا يشعر بأيّ حرج أو حياء فانّ أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر يصبح أشدّ من الآخرين. وللتعامل مع هذا الفرد مراحل محدّدة. فهنا لا وجود لموضوع المحافظة علىٰ السّر، ولسنا ملزمين بالحديث معه في الخلوة بحيث لا يلتفت الىٰ انّنا مطّلعون علىٰ معصيته، لانّه يرتكب هذه المعصية امام الناس، وبهذا يكون قد أهدر كرامته بنفسه، ونحن لا نضيف شيئاً جديداً في اهدار كرامته. انّه غير مبالٍ في ان يذنب علناً وأمام الناس. في هذا المجال ايضاً توجد مراحل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالمرحلة الاولىٰ هي ان نقوم بموعظته بالقول الليّن والادب والاحترام ونطلب منه ان يترك المعصية أو يؤدّي الواجب، وهذه هي النصيحة، ويمكننا الاستعانة بذكر الآثار الدنيويّة والاخرويّة لهذا العمل حتّىٰ نرغبّه في ترك الذنب. واذا كان من الميسور لنا ترغيبُه بطرق اخرىٰ غير الكلام فانّه مطلوب مثل ان ندعوه لتناول وجبة طعام او القيام بسفرة أو ما شابه ذلك. ويرتبط نوع هذا الترغيب بنوع الذنب المرتكب والمعلومات الواردة عن ذلك الشخص المذنب.

واذا لم تنفع فيه المرحلة الاولىٰ فانّ المرحلة الثانية تكون أشدّ قليلاً حيث اننا نعبس في وجهه، وقد لاحظنا التعبير الوارد في الرواية الشريفة القائلة: «لم يتمعّر وجهه غيظاً لي قطّ»[1] فهو لمثل هذه المرحلة، وكذا قوله ﷺ: «صكّوا بها جباههم»[2]

لابدّ من مواجهته بالقول الخشن واللهجة الآمرة، وهذا هو مصداق القدر المتيقّن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فان لم ينفع معه هذا أيضاً أمكننا اللجوء الىٰ

---

١. اصول الكافي، ج ٥، ص ٥٨، الرواية ٨

٢. تهذيب الاصول، ج ٦، ص ١٨١، الباب ٢٢، الرواية ٢١.

تهديده بنقل القضيّة الىٰ المسؤولين ان لم يكفّ عن عمله ليتصرّفوا معه كما ينصّ القانون. وأحياناً يحقّ له ان يعزّره أو يحبسه، وهي امور يعيّنها القانون. واذا لم ينفع معه هذا التهديد فانّه عندئذ يمكننا نقل الموضوع الىٰ الجهات المسؤولة.

لابد من رعاية هذا التدريج في مراحل الأمر بالمعروف، ولا ينبغي لنا ان نواجه شخصاً بالشدّة أو بعدم الاحترام من دون مبرّر. أمّا اذا وصل الأمر الىٰ حالة لا يؤثّر فيها الكلام اللطيف فانه يتعيّن استخدام الشدّة والحدّة.

وينبغي ان لا يغيب عن بالنا انّ الافراط والتفريط في الأمر غير مستحسن. فكثير من مشاكلنا ناشئ من الافراط والتفريط. احياناً نلاحظ انّ البعض يسلك طريق الافراط، والبعض الآخر يسلك طريق التفريط. في كثير من الحالات تجري احداث ليست هي إلا ردّ فعل لأعمال اخرىٰ. ففي بعض الأحيان يؤدّي التباطؤ الىٰ ان يعمل الآخرون بسرعة. كما ان التصرّفات غير اللائقة من بعض الناس تؤدي الى انكار أصل عمل معروف. لكنّ الاسلام قد جعل كلّ شيء في مجاله المحدّد، فمهما أمكن لابدّ من استخدام الاسلوب الليّن، فان لم يؤثّر فانّه لا ينبغي التضحية بمصالح المجتمع من أجل ان الكلام المعقول لا يؤثّر في شخص عاصٍ، بل لابد من المحافظة علىٰ مصالح المجتمع. لا ينبغي للمجتمع الاسلاميّ ان يعيش بشكل يسقط فيه قبح المعصية، وانّما لابدّ فيه من المحافظة علىٰ الحرمات. ويجب ان يكون الجوّ في المجتمع الاسلاميّ بحيث اذا ارتكب شخص ذنباً فانّه يخجل من ذلك. وأمّا اذا لم يتمّ العمل بهذه القيم فعندئذ تظهر مشاكل اخرىٰ تهدّد المجتمع الاسلاميّ.

وعلىٰ أيّة حال فهذه كلها مصاديق للموعظة ماعدا المرحلة الأخيرة التي تتّسم بالأمر فهي خارجة عن مجال الموعظة.

الموعظة هي ان نقوم بترغيب شخص بواسطة الكلام اللطيف حيث نذكر له فوائد العمل الحسن أو الأضرار المترتّبة علىٰ تركه. وكذا الأمر في بيان الأضرار المترتبة

علىٰ فعل العمل القبيح. انّها موعظة بان يقوم الناصح بذكر النتائج الحسنة والسيئة للفعل حتّىٰ يوجد الدافع في الآخرين ليقوموا بالأعمال الحسنة.

فكلّ مسلم مكلّفٌ بان يأمر الفرد العاصي بالمعروف بمعنىٰ ان يقول له: «انّني آمرك بالقيام بهذا الفعل بعنوان كوني انسانا مسلماً أقوم بواجبي الدينيّ في المجال الاجتماعي»، واذا لم أقم أنا بهذا الأمر فسوف يقوم به مسلم آخر. ولا يعتبر هذا المجال من موارد الموعظة والنصيحة بل لابدّ فيه من الأمر والالزام. ويُعدّ هذا مصداقاً يقينيّاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يشترط فيه الكلام باستعلاء، أي ان يقول له من موضع عالٍ: لابدّ لك من القيام بهذا الفعل.

فاذا استمرّ الشخص العاصي في القيام بمعصية بعد أداء هذه المراحل من الأمر بالمعروف فانّ هناك مراتبَ وشروطاً اخرىٰ له تُذكر في محلّها.

التصدّي الاجتماعيّ للمؤامرات:

تارةً يكون ارتكاب المعصية ـ التي هي عبارة عن مخالفة للشريعة المقدسة ومخالفة لمصالح المجتمع الاسلاميّ ـ بصورة عمل بسيط وبدافع فرديّ وبجرأة وعدم احترام من قِبل المذنب. ولكنّه في بعض الأحيان لا تكون هذه المعصية عملاً فرديّاً ولا أمراً بسيطاً، وانّما هو عمل معقّد ومخطّط وهناك جهات قد خطّطت له بدقّة. فليس الأمر هو أنّ شخصاً منفلت الزمام قدارتكب معصية امام الناس، وانّما هناك خطّة معدّة وراء الستار، وقد جعلها اشخاص لكي يوحوا للآخرين بانّ الاسلام والنظام الاسلاميّ مهزوم وقد فقد قدرته علىٰ السيطرة. فمثلاً يحثّون الناس علىٰ ان يُكثروا من الأعمال القبيحة حتىٰ تصبح عادّية في الجوّ الاجتماعي.

انّها خطّة معدّة من قبلُ وليست فسقاً علنيّاً فقط، فقد اعدّوا خططهم من قبل لكي يلحقوا ألواناً من الضرر بالمجتمع الاسلاميّ.

ومن الطبيعي أن يكون هؤلاء ـ الذين يقومون بمثل هذه الأعمال ـ غير راغبين في الاسلام أو انّهم منافقون لا يتمتّعون بالايمان في أعماق قلوبهم أو انّ الاموال قد اغدقت عليهم فأصبحوا مرتزقة للأجانب، وعلىٰ كلّ حال فهم يريدون القضاء علىٰ حاكميّة الاسلام في المجتمع.

وبهذه الصورة تتّجه ألوان من الضرر وبأساليب متنوّعة للمجتمع الاسلامي، ولابدّ لنا من مقاومتها والوقوف في وجهها.

وقد يتمّ إلحاق هذه الأضرار في اطار عمل ثقافيّ أو اقتصاديّ أو فنّي أو أخلاقي أو حتّىٰ عسكري. وفي هذه الحالة يخرج الأمر عن كونه واجباً فرديّاً، ويخرج ايضاً عن اطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البسيط، وتستوجب هذه الحالة ألوانا من النضال ضدّ هذا الانحراف. ولا تعتبر هذه الحالة من الموارد المعروفة والمشهورة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا نجد ذكراً لأحكامها ومسائلها في الرسائل العمليّة. انّ هذا اللون من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو نضال ضدّ هجوم واسع النطاق، ولا يمكن ان ينهض به شخص بمفرده ولا ينفع فيه الاسلوب البسيط الذي يستخدم عادةً مع الشخص العاصي حيث يقال له: «لا تفعل».

انّ هذا الهجوم عمل شيطانيّ معقّد ومخطّط مدروس، ولابدّ في صدّه من اللجوء الىٰ التخطيط والتفكير والتنظيم بحيث يتمّ إعداد مخطّطٍ يتناسب مع حجم ذلك الهجوم ويحول دون تحقّق تلك الخيانة. وقد يُنفّذ هذا الهجوم في إطار خطوة اقتصاديّة، وقد طرق سمعَكم قصّة «التنباك» وفتوىٰ الميرزا الشيرازي‌ﷺ في تحريمه، وهناك أمثلة عديدة في هذا المضمار، ويتميّز بعضها بتعقيد خاصّ بحيث يعجز غير اصحاب الفنّ عن كشف عمق المؤامرة. مثلاً من جملة المؤامرات التي يحاول أعداء الاسلام في هذا العصر أن يُلحقوا بواسطتها الضررَ الاقتصاديّ بالمسلمين هي مؤامرة خفض قيمة البترول. وليس هذا أمراً ساذجاً حتّىٰ ندرك ـ أنا

وأنت ـ حجم الخيانة التي تُرتكب في هذا المجال وكيفيّة التصدّي لها. انّ هذا منكر اجتماعيّ اقتصاديّ مخطّط ومدروس من قِبل جـهات عـالميّة ومـنظمات دوليّـة. وحتّىٰ انّ أيّ دولة بمفردها لا تستطيع القيام بهذا المنكر، وانّـما لابـدّ ان يـتعاون الشياطين المنبثّون في الدول المـختلفة ليـتمكّنوا مـن إلحـاق مـثل هـذا الضـرر بالمسلمين.

فلكي تنخفض قيمة البترول العائد للمسلمين من أكثر من ثلاثين دولاراً للبرميل الواحد الىٰ أقل من ثمانية دولارات قام الشياطين من الدول المختلفة بأعمال ليس هنا مجال تفصيلها! انّ هذا المنكر «ضرر» يلحق بجميع الناس في هذا البلد المسلم بل بجميع المسلمين في العالم، ولابدّ من التصديّ له لاستعادة الحـقوق المـضيّعة للمسلمين، لانّ استمرار هذا المنكر يثبّت سلطة الكـفّار عـلىٰ المسـلمين وعـلىٰ أسواقهم، واللّٰه سبحانه وتعالىٰ لا يسمح بتحكّم الكفّار في المسلمين ولو في المجال الاقتصاديّ بحيث يفرضون عليهم أهدافهم المنحرفة.

وفي مجال مثل هذه المنكرات لابدّ أن يتّخذ المسلمون قرارهم بشكل جماعيّ، وينبغي ان لا يكون قراراً ساذجاً بل لابدّ ان يكون مدروساً ومخطّطاً بشكل علميّ، فيتأمّلون في السبل الميسورة لمواجهة مؤامرة الأعداء هذه. وللظفر بـطريق حـلّ مناسب لابدّ ان يتوفّر المتخصصّون من الدرجة الاولىٰ ويفكّروا بعمق حتّىٰ يُعدّوا خطّة مؤثّرة في هذا المضمار. وعندما يظفرون بطريقة حلّ مناسبة لمواجـهة هـذا المنكر المعقّد لابدّ ان يجتمع المسلمون علىٰ تنفيذ هذه الخطّة والعمل بـمضمونها. فقد يكون الحلّ احيانا بمقاطعة اقتصاديّة لسلعة معيّنة، فمثلاً يؤكّدون عـلىٰ عـدم شراء البضاعة الامريكيّة. وحينئذ يجب علىٰ جميع المسلمين الاذعان لهذا الأمر. ويصبح شراء البضاعة الأمريكيّة محرّماً، حتّىٰ لو اضطُررنا لشراء مثل تلك البضاعة من دولة اخرىٰ بضعف قيمتها، ولكنّنا نتحمّل ذلك من أجل التـصدّي لمـؤامـرات

الأعداء وخيانتهم ممّا يلحق الضرر بجميع المسلمين. ويكون العمل بهذه المقاطعة واجباً علىٰ جميع المسلمين بعنوان النهي عن المنكر. هكذا يتّسع مجال النهي عن المنكر في المجتمع الاسلامي.

وسعة مجال النهي عن المنكر في الشؤون العسكريّة هي أجلىٰ وأوضح، لانّ العدوّ يتآمر ليتسلّل الىٰ داخل الحدود أو يرسل عملاءه الىٰ الداخل ليقوموا بالاغتيالات أو أنّه يحاول زرع عملائه في مجالات حسّاسة في الجيش ومراكز الأمن. وهناك عشرات من الامور الاجتماعيّة المعقّدة التي يتعيّن علىٰ المتخصّصين دراستها بعمق ورويّة.

اذن لابدّ من المواجهة للمعصية في المجتمع، والطريق الوحيد لمواجهتها ليس هو بان أتّخذ القرار بمفردي، وانّما يتعيّن علىٰ المتخصّصين ـ بالدرجة الأُولىٰ ـ ان يتشاوروا ويعدّوا مخطّطاً علميّاً، ثمّ تأمر الحكومة الاسلاميّة الناس بتنفيذ هذه الخطّة.

فيصبح من الواجب علىٰ جميع الناس عندئذ العمل بهذا المخطّط. ويعتبر وجوب العمل بهذا المخطّط ناشئاً من جهتين: الاولىٰ من جهة انه نهي عن المنكر، والثانية من جهة انّه طاعة للحكومة الاسلاميّة التي هي عبارة عن الطاعة لوليّ أمر المسلمين.

الفرض الآخر الذي يمكن تصوّره هو ان تجري المؤامرة الاقتصاديّة في بلد لا يخضع لحكم وليّ امر المسلمين أو الحكومة الاسلاميّة، أو انّ الحكومة الاسلاميّة موجودة في ذلك البلد لكنها ـ لسبب من الأسباب ـ لا تستطيع ان تفعل شيئاً. في هذا الفرض الذي تكون فيه الحكومة الاسلاميّة موجودة لكنّها لا تستطيع ان تقف في وجه المؤامرة الاقتصاديّة للعدوّ يصبح التكليف أصعب وأشدّ تعقيداً. فنحن نلاحظ في هذا البلد الاسلاميّ مجموعة من عبيد المال والثروة يسيطرون علىٰ

المراكز الاقتصادية والتجارية وغيرها ويحاولون تمرير مؤامراتهم من خلال الإعلام لكي يجعلوا الحكومة أمام الأمر الواقع. وحتّىٰ انّهم قدتسلّلوا الىٰ المناصب العليا في الدولة فهناك في مراكز القرار من لا يحترق قلبه للاسلام وانّما هو مهتمّ فقط بمصالحه الشخصيّة.

فاذا تحقّق مثل هذا الوضع ولو حظ وجود تآمر علىٰ اقتصاد أو مصالح الدولة الاسلامية أو مصالح منطقة معيّنة، فان كان الناس قادرين علىٰ التخطيط لإحباط مؤامرة العدو فانّه يجب عليهم فعل ذلك حيث يُتّخذ القرار للتصدّي لهذه المؤامرة وإفشال خطّة العدوّ، لانّ المفروض هو انّ الحكومة الاسلاميّة ـ لسبب مّا ـ لا تستطيع القيام بإفشال هذه المؤامرة، إمّا لانها لا علم لها بها وامّا انّها تعلم ولكنها غير قادرة علىٰ عمل شيء.

وهناك صورة اخرىٰ محتملة وهي ان تكون الحكومة الاسلاميّة عالمة بتآمر الأعداء ولها القدرة علىٰ مواجهته لكنّها لاتفعل شيئاً. ففي هذه الحالة يجب علىٰ الناس ان يتصدّوا لرفع هذا الخطر، حيث يهيّئون خطّة ثم ينفّذونها. وقد تسبّب هذه الخطوة ضرراً اقتصادياً للمجتمع بشكل موَقّت ولكنّه يمكن ان يجبر هذا الضرر فيما بعد.

ونؤكد علىٰ دراسة مثل هذه الموارد والتعمّق في أحكامها وان لا نكتفي بالشؤون الفرديّة السهلة.

إذنْ كلّما اتّجه خطر من قِبل الاعداء في الخارج او الداخل الىٰ ايّ بُعد من ابعاد الحياة الاجتماعيّة الاسلاميّة فانّه يجب علىٰ المسلمين أن يستنفروا علماءهم ومتخصصيهم وان ينتفعوا بعلمهم وتجاربهم وأن يضعوا خطّة لمواجهة الخطر وإحباط خطط الأعداء.

المواجهة للهجوم الثقافيّ:

إنّ الهجوم الثقافي هو من أهمّ الأخطار إن لم يكن أهمَّها. والهجوم الثقافيّ ناشئ ـ الىٰ حدّمّا ـ من الضعف الثقافي الموجود فينا وفي مجتمعنا. ونحن نعبّر بالهجوم الثقافي لكي نكون قد تحدّثنا بلغة الآخرين. فماذا يعني الهجوم الثقافي؟ يعني الهجوم علىٰ الدين. فقد أكّد قائد الثورة الاسلاميّة علىٰ انّ الاعداء قد وجّهوا سهامهم الىٰ ايمان الناس. وليس هذا مزاحاً وانّما هو تحليل من متخصّص يفهم هذه الامور أكثر من غيره.

في مثل هذه الظروف اذ قلت أنا لا علاقة لي بهذه الامور وانّي مشغول بعبادتي ودروسي! وقال الآخر انه لا علاقة له بها! والحكومة تعمل بشكل آخر! والناس مشغولون بأعمالهم! والفئات المختلفة مشغولة بالصراع فيما بينها! ولا احد يهتمّ بتآمر الاعداء! وكلّما صاح ولي امر المسلمين ان اهتمّوا بهذا الهجوم الثقافيّ واهتمّوا بشؤون الجامعات لان جامعاتنا لم تصبح اسلاميّة بعدُ فانه لا يجد أُذنا صاغية، وصحيح انّ الحكومة اسلاميّة ويقف علىٰ رأسها الولي الفقيه إلاّ انّ الذين يتعيّن عليهم تنفيذ الأوامر لا ينفّذونها، فهل يصحّ للمسلمين في هذه الحالة ان يضعوا يداً علىٰ يد وان يبقوا متفرّجين علىٰ ما يحدث؟ وهل يجوز لهم ان لا يتكلّموا بشيّ خوفاً من أن يوصف عملهم بـ«العنف»؟ وهل ينبغي لهم أن يتّخذوا طريق التساهل والتسامح؟

وبعد أن أكّد قائد الثورة الاسلاميّة بانّ هناك غارة ثقافيّة وانّ العدوّ في حالة نهب لثقافتنا وديننا وانّه استهدف ايمان شبابنا، فماذا يمكننا ان نضيف الىٰ ذلك؟ هل مع ذلك لا ينبغي ان نشعر بالواجب الملقىٰ علىٰ عاتقنا؟

افرضوا انّنا جالسون في بيوتنا وفجأةً سمعنا مناديا في الشارع يصرخ بالناس انّ هناك مشكلة خطيرة في التيّار الكهربائي فاحذروا ان تلمسوا الأزرار الكهربائيّة لانّ الدار سوف تلتهب ناراً. أو أنّ الأمطار قد هطلت بغزارة بحيث اندفعت السيول في

الشوارع ونحن نائمون في بيوتنا ثمّ انتبهنا علىٰ صراخ محذّر يقول: انّ السيول قد تهدم بيوتكم فاخرجوا منها. ماذا سيكون موقفنا عندئذ؟ قد نستيقظ في البداية والنوم يخالط أعيننا فنقول: من الذي أزعجنا بصياحه وسط الليل؟ ثمّ نعاود النوم. لكنّه اذا تكرّر هذ النداء واستيقظنا بشكل كامل فوجدنا الماء يجري حولنا في كلّ مكان عندئذ سوف نأخذ الموضوع بجدّ ونقدّم الشكر لمن نبّهنا للخطر المحدق بنا، ونشعر بالامتنان له لانّه لولا صراخه لانهدمت بيوتنا واختنق أطفالنا، او أن النار التهمت بيوتنا وعوائلنا اذا كان الخطر الداهم الذي حذّرنا منه هو «الحريق». فهل من المعقول أن نعترض عليه لانّه أيقظنا من نومنا العميق أم نشكره؟

لكنّنا بالنسبة للامور المعنويّة لسنا بهذا الشكل. نحن نفهم الامور الماديّة بشكل جيّد، واذا قام احد بتحذيرنا من خطر حدوث زلازل أو حرائق أو سيول أو قصف جويّ فاننا ندرك ذلك بوضوح، ويكون هذا التحذير ذا قيمة عندنا، ونشكر من قام بتحذيرنا.

أمّا اذا حذّرنا شخص في مجال الامور المعنويّة فمع أنّنا نعرف انه صديق ويحبّ الخير لنا وهو يصيح بنا لشفقته علينا لكنّنا لا نرحّب بتحذيره، بل قد نقول له: لماذا تستعمل «العنف» معنا! تكلّم بهدوء!

في حالة حدوث الزلازل أو السيول اذا صرخ بنا شخص يحذّرنا منها فانّنا لا نقول له تكلّم بهدوء لانّ الكلام الهادئ لايوقظ النائم. وكذا الأمر في مجال الأخطار المعنويّة، فهناك من يحذّر دائماً ويكتب ونحن لا نلتفت ولا نهتّم، ولكنّه اذا صرخ المخلص فانّه يؤثر في البعض وإلاّ فنحن غير حسّاسين بالنسبة للأخطار المعنويّة. ولا أقصد بقولي «نحن» المؤمنين الملتزمين فحسب، وانّما الطبيعة البشريّة تأنس عادةً بالامور الحسّية أكثر. أمّا ما هو أرفع من الحسّيات فانها لاتصدّق به سريعاً. فاذا قيل لنا انّ الاعداء يشنّون غارة علىٰ ديننا، فنحن نجيب: اين وكيف؟ لم ينهبوا

شيئا! أمّا اذا نُهب مالنا الشخصيّ فنحن نشعر بذلك سريعاً. واذا قيل لنا انّ ديننا قد نُهب، نقول كلّا، فنحن نصلّي ونصوم ولا صحّة لهذا الادّعاء.

ولكنّنا اذا تعمّقنا قليلاً فسوف نلاحظ انّ الايمان في العام الماضي يختلف عن الايمان عندنا في هذا العام. في العام الماضي كنّا علىٰ يقين باللّٰه تعالىٰ وبالنبي ﷺ، أمّا في هذا العام فنحن في شك مريب. في هذا العام يخطر في بالنا أحياناً انّ أقوال علماء الدين قد لا تكون صحيحة! انّ الذين يتحدّثون خلاف أقوال علماء الدين قد درسوا وتخرّجوا من جامعات لندن ولابدّ انهم يفهمون مايتحدّثون به ولعلّهم يفهمون أكثر من علماء الدين!

هكذا يفقد الدين رونقه بصورة تدريجيّة وفجأة ينتبه الانسان فيجد انّ الدين لم يبق منه شيء يذكر.

ان الانسان اليقظ الحسّاس يشمّ الرائحة من بُعد، فاذا جاء العدوّ فانّه يفهم من بعيد لأيّ غرض قد جاء. فهو قادر علىٰ تقييم حركات العدوّ، ويستطيع ان يحدس الشيء الذي استهدفه العدوّ وما هو مشغول فيه الآن. أمّا الآخرون الغافلون عن مؤامرات العدوّ فمهما قيل لهم بالحقائق فانّهم لا يصدّقون.

وعلىٰ كلّ حال فهذا لون من النهي عن المنكر، حيث توجد أخطار تهدّد المجتمع الاسلاميّ لا من قِبل شخص واحد، وبالتالي فان دفعها لا يتيسّر بواسطة شخص واحد. انّ هذه المنكرات تتميّز بتخطيط معقّد وتُشكّل خطراً كبيراً علىٰ المجتمع، والتصدّي لها ومواجهتها تحتاج الىٰ تخطيط دقيق، فلابدّ أن يعيّن المتخصّصون أفضل الأساليب لمواجهتها، وأن يحسن الآخرون الظنّ بهم، وان يرحّبوا ـ عن حسن نيّة ـ بصراخ المخلصين وان يقبلوا منهم تحذيرهم.

واذا لم يفعلوا ذلك فسوف يملأ الدخان المتصاعد من الحريق عيونهم وسوف يجدون أبناء هذا المجتمع غداً وقد أصبحوا من دون ايمان، وعندئذ سوف تترتب

علىٰ ذلك الآثار الأخلاقيّة السيئة، حيث يبتلون بالمخدّرات ومرض الايدز وينضمّون الىٰ مجموعات الجريمة والتهريب، ويسود الانحطاط الثقافي:

«لَهُمْ عَذابٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ»[1]

من جملة ألوان العذاب الدنيويّ هو انهيار الكيان العائليّ والاختلاف الدائم بين الزوجين وسوء تربية الأبناء والعادات القبيحة كالإدمان علىٰ المخدّرات وآلاف المشاكل التي تستعصي علىٰ العلاج.

اذا رحل الايمان فسوف تحدث هذه المشاكل، فان كنتم حريصين علىٰ ان لا يواجه المجتمع هذا المصير فلابدّ ان تحولوا دون اسبابه من البداية، يجب ان تكونوا حسّاسين بالنسبة للشؤون الثقافيّة، ولا تقولوا ان كل مشكلة يمكن حلّها بواسطة الاقتصاد، لأنّ بعض الامراض تنشأ من الاقتصاد نفسه، فكثير من المفاسد الاجتماعيّة تُنفّذ بواسطة أصحاب الثروة. انّ من يحرص علىٰ جمع الأموال ويكدّس منها مايزيد علىٰ حاجته ويحبّ المزيد هو الذي يقوم بهذه الانحرافات. ليست كلّ المفاسد ناشئة من الفقر، ويخطئ من يظنّ انّ المعضلات الاجتماعيّة سوف ترتفع بحلّ المشاكل الاقتصاديّة. ومن الواضح انّه لابدّ من الاهتمام بالشؤون الاقتصاديّة، فالفقر الاقتصاديّ احياناً يعين علىٰ حدوث هذه الانحرافات، ولكنّه ليس علّة تامّة لها. وطريق معالجتها ايضاً ليس منحصراً في حلّ المشاكل الاقتصاديّة. وصحيح أنّنا نؤكّد علىٰ ضرورة الاهتمام بحلّ المشاكل الاقتصاديّة وهو أمر واجب علىٰ المجتمع الاسلامي والحكومة الاسلاميّة، ولكنّه ليس الواجب الوحيد عليها، وانّما الواجب الأوّل هو المحافظة علىٰ الدين والأخلاق والمعنويّات والقيم الرفيعة. ثمّ تأتي بعد ذلك أهميّة المحافظة علىٰ القيم الأخرىٰ. ومن البديهيّ

---

١. سورة الرعد، الآية ٣٤.

انّني لا اقصد التقدّم والتأخّر في الزمان وانما اقصد التقدّم والتأخّر من حيث الرتبة.

منذ فترة من الزمن وهم يلقّنون أبناء مجتمعنا ـ لأغراض معيّنة ـ بالبيانات والمقالات ووسائل الإعلام الاخرىٰ بانّ كل شيء سوف يصبح ممتازاً اذا تمّ حلّ المشاكل الاقتصاديّة!

كلاّ ليست الحقيقة بهذه الصورة. انّ من يتحدّث بهذه الطريقة فهو يخدع نفسه، فلاينبغي لنا ان ننخدع بقوله. ان الرفاهية الاقتصاديّة ليست حلاّلة لكلّ المشاكل. فمن المعروف أنّ أكثر الدول رفاهيةً في العالم هي امريكا، فعائدها السنويّ يفوق العائد السنويّ لسائر دول العالم، ونموّها الاقتصاديّ أكثر من نموّ الآخرين. أو علىٰ أقلّ تقدير تعتبر امريكا احدىٰ الدول المتقدّمة اقتصاديّاً. فهل هذا البلد خالٍ من المشاكل الأخلاقيّة والاجتماعيّة؟ حسب ما تنقله نفس وسائل الإعلام الامريكيّة فانه في كل عدّة ثوان تحدث جريمة في امريكا. وأطفال المدارس فيها يُصطحبون بالمحافظين الىٰ مدارسهم، وفي المدارس الثانوية الامريكيّة يوجد أفراد من الشرطة المسلحين. ومع هذا كلّه تحدث الجرائم باستمرار في أعماق المدارس! فهل يمكن حلّ هذه المشاكل الأخلاقيّة الاجتماعيّة بواسطة الأموال؟ هل هؤلاء فقراء؟

ولست انكر انّ كثيراً من المشاكل الاجتماعيّة ناشئ من الفقر، أو ان الفقر ـ علىٰ أقلّ تقدير ـ يزيد في حدّتها، لكنّ هذا لايعني ان مشكلة الفقر اذا تمّ حلّها فسوف تحلّ جميع المشاكل الاخرىٰ بصورة ذاتيّة. كلاّ، ففي كثير من الأحيان تحدث مشاكل جديدة وعسيرة نتيجةً لوفرة المال وكثرته.

الجهاد والحرص علىٰ الشهادة من أجل ايقاظ المجتمع:

اذن هذا هو لون من ألوان النهي عن المنكر، فان نهض به أفراد أو نهضت به الحكومة الاسلاميّة، أو حصل تعاون بين الحكومة والناس في هذا المجال، أو لم



تستطع الحكومة الاسلاميّة فعل شيء أو لم تكن هناك حكومة اسلاميّة لكنّ المسلمين نهضوا بذلك وقاوموا أعداء الاسلام وأفشلوا خططهم وحلّوا المشكلة فقد حصل المطلوب. أمّا اذا لم تحصل مواجهة كافية في هذا المضمار فعندئذ يجب علىٰ جميع المسلمين التصدّي لهذه المنكرات.

لكن هل كان جميع المسلمين علىٰ مرّ التاريخ عارفين بواجباتهم؟

وهل من الممكن ان يقصّر المسلمون في القيام بواجباتهم الاسلاميّة؟ ألا يُلاحظ في التاريخ وجود نماذج من عدم وفاء المسلمين؟

وهل يُعدّ من قبيل المستحيل ان تقصّر الاغلبيّة الساحقة من المسلمين في القيام بواجباتها الاسلاميّة؟

ان مصداق هذا الأمر يعرفه الجميع.

لقد امتدّت الفترة منذ استشهاد اميرالمؤمنين عليه السلام وحتىٰ استشهاد الامام الحسين عليه السلام عشرين عاماً. فماذا كان يفعل سيّد الشهداء خلال هذه المدّة الطويلة في المدينة؟ وهل كان الحكّام حينذاك ينكرون وجود اللّٰه أو يعبدون الأصنام؟ وهل كانوا منكرين ـ في الظاهر ـ لنبوّة النبي صلى الله عليه وآله وأحكام دينه؟

كلاّ لم يكن شيء من هذا، فهؤلاء كانوا يعتبرون أنفسهم خلفاء لرسول اللّٰه صلى الله عليه وآله، وكانوا يؤدّون الصلاة ويؤمّون الناس في يوم الجمعة، غاية الأمر انّهم كانوا في بعض الأحيان يصلّون صلاة الجمعة في يوم الأربعاء! وأحيانا يؤمّون الجماعة وهم سكارىٰ! والقدر المتيقّن انهم كانوا يصلّون. وحتّىٰ في يوم عاشوراء أقدم عمر بن سعد علىٰ اداء الصلاة اولاً ثمّ نادىٰ:

«يا خيل اللّٰه اركبي وبالجنّة أبشري»[1].

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٩١، الباب ٣٧، الرواية ٢.

والناس الذين كانوا يعيشون في زمان سيّد الشهداء كانوا جميعاً يصلّون ويزعمون انّهم مسلمون وانّ حكومتهم اسلاميّة. إلاّ انّ الامام الحسين عليه السلام قد ذاق الأمرّينِ خلال عشرين عاماً ولم يستطع ان يصرّح بانّ هذه الحكومة غير قائمة علىٰ الحقّ. ولم يقل ذلك إلاّ لأفراد معدودين هنا وهناك وبصورة خاصّة وسرّية. وحتّىٰ عندما وصل خبر موت معاوية فان الامام عليه السلام قام ـ في الظاهر ـ بتقديم التعازي الىٰ حاكم المدينة.

هكذا كان الوضع يومئذ.

وكذا الأمر بالنسبة الىٰ سائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام. فهل كان الامام الصادق عليه السلام أو الامام موسىٰ بن جعفر عليه السلام أو غير هما قادراً علىٰ ان يصرّح للناس بانّ هذه الحكومات باطلة؟ فلماذا سُجن هؤلاء الكرام؟ ولماذا استشهدوا؟ وهل كان الخلفاء يحكمون باسم الكفر؟ أم كانوا منكرين لوجود اللّٰه؟ وحتّىٰ لو كانوا ـ في الواقع ـ منكرين لوجود اللّٰه فانهم لم يكونوا يظهرون ذلك بل كانوا يحكمون بعنوان انّهم خلفاء لرسول اللّٰه صلى الله عليه وآله.

ولعلّكم سمعتم بهذه القصّة وهي انّ هارون الرشيد لمّا قرّر ان يودع الامام موسىٰ بن جعفر عليه السلام السجن فقد جاء الىٰ مرقد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله معتذراً قائلاً اعذرني يا رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله لانّي أُدخل ابنك السجن لكي اؤمّن مصلحة المجتمع الاسلامي! لكي يسود الأمن في المجتمع! لكيلا يحصل اختلاف ونزاع في الجوّ الاسلاميّ![1] فلم تكن جميع تلك الحكومات كافرة ومشركة.

اذن ما العمل في مثل هذه الظروف؟

تارةً تكون الظروف بشكلٍ يمكن فيه حفظ الدين بواسطة النشاطات الثقافيّة

---

١. الارشاد، ص ٢٨٥.

السرّية وغير المنظمّة، تمهيداً ليوم يرتفع فيه مستوىٰ وعي الناس وثقافتهم بحيث يستطيعون النهوض بأعمال أهمّ واوسع.

ومثل هذا المنهج قد سار عليه الأئمةعليهم السلام منذ الامام السجادعليه السلام ومن جاء بعده لأسباب مختلفة، فهناك مجموعة من الناس قد تمّ تربيتها علىٰ أساس الاسلام وقد عرفوا الحق ببركة دماء سيّد الشهداء وأصحابه الميامين فاستوعبوا الثقافة الاسلاميّة وانتشروا في بقاع العالم الاسلامي، ومن جملة هؤلاء ابناء الأئمة الذين جاءوا الىٰ بلاد خراسان ومازندران ومناطق اخرىٰ بهدف هداية الناس وتوعيتهم.

وهناك آخرون نهضوا بنفس المهمّة إلاّ ان الاغلب كانوا من بيت النبي الأكرمصلى الله عليه وآله.

في مثل هذه الظروف كان يتحتّم الاقتصار علىٰ النشاطات الثقافيّة، لأنّه لم يكن من الميسور القيام بأية نشاطات اخرىٰ، والشيء الوحيد الذي كان من الممكن القيام به هو العمل الثقافي، وهناك اطمئنان بانّ أصل الدين باقٍ لا يمسّه سوء.

ولنتذكّر ماقاله الامام الحسينعليه السلام في منىٰ لتلك الصفوة من المسلمين حيث أكّد لهم: «فانّي أخاف أن يندرس هذا الحقّ ويذهب» ليس الكلام عن حكم شرعي أو حكمين، افتحوا عيونكم جيّداً فانّي أخاف ان يضيع أصل الحقّ فلايستطيع الناس حينئذ ان يميّزوا بين الحقّ والباطل، فليس هناك أيّ سبيل اخرىٰ للتمييز بين الحقّ والباطل! انّ هذه الظروف تستدعي عملا خاصّاً آخر. فلايمكن القيام بالنشاط الإعلامي ولا يمكن تأييد الحقّ بواسطة المال ولا يمكن ترتيب حرب منظّمة، فجبهة الحقّ ليس لها نصير، والقوّة في يد جبهة الباطل والثروة تحت تصرّفها. وقد شنّوا حرباً إعلاميّة بحيث لا يستطيع احد ان يتنفّس. والمعارضون قد تعرّضوا للصلب أو للاغتيال بحيث لا يجرؤ أحد علىٰ النهوض، ولم تبق قوّة ولا قدرة لأحد. في مثل هذه الظروف لابدّ من توجيه هزّة اخرىٰ للمجتمع.

أيّ شي يستطيع أن يفعله شخص واحد أو مجموعة صغيرة من الناس للمجتمع

الاسلاميّ الكبير؟ فالإعلام لا تأثير له لان جميع وسائله كانت تحت تصرّف الأُمويين، ولم يبق إلا عدد محدود جدّاً يمكنه ان يسمع صرخات الامام الحسين عليه السلام. كم كان سيّد الشهداء يستطيع ان يوجّه من صرخات؟ وكم كان عدد الأشخاص الذين كان عليه السلام يستطيع أن يوصل اليهم صوته؟ هذا اذا أُجيز له أن يتحدّث للناس خلال العشرين عاماً، ولكنّهم قد حرموه حتّىٰ من هذه الفرصة، فلم يبق أمامه عليه السلام إلاّ أن يتحدث مع أصحابه بالسّر والخفاء.

ما العمل في مثل هذه الظروف؟

انّه العمل الذي قام به الامام الحسين عليه السلام حيث أوجد هزّة في المجتمع الاسلاميّ سوف يبقىٰ أثرها حتىٰ قيام الساعة. انّ هذا الزلزال سوف يستمرّ ولن يهدأ. وهي نهضة تستعصي علىٰ التحريف وترفض التفسير الخاطئ.

ماذا يمكنهم ان يقولوا؟

انّ أيّة آية في القرآن الكريم يمكنهم ان يحرّفوها وان يفسروها بطريقة خاطئة، أو انّهم يبتدعون لها قراءة جديدة كما يقولون اليوم.

وانّ أيّ حديث شريف يمكنهم ان يقولوا انّه مجعول وكاذب أو هو من الاسرائيليّات، أو غاية الأمر ان هذه قراءتكم لهذا الحديث! وهناك قراءة اخرىٰ له ايضاً!

ويواجهون المراجع الكرام بقولهم: لا تجعلوا فهمكم مطلقاً، فهناك قراءات اخرىٰ أيضاً!

لكن ماذا يستطيعون ان يفعلوا بنهضة سيّد الشهداء عليه السلام؟

ألها تفسير آخر غير انّ مجموعة مطهّرة قد ضحّت بأنفسها وأحبّائها من أجل إحياء الدين؟

لحدّ الآن لم يقدّم أيّ مؤرّخ وأيّ انسان منصف تفسيراً غير هذا لنهضة كربلاء.



نعم هناك بعض الأشخاص في هذه الأيّام يزعمون انّ لديهم قراءةً جديدة لقصّة كربلاء!

فهم يقولون ان الحسينعليه السلام ـ والعياذ باللّٰه ـ لم يفعل شيئاً مهمّاً! وما حدث في كربلاء هو ردّ فعل متوقّع للعنف الذي قام به جدّه! فيزيد وأصحابه ماكانوا مقصّرين، لانّ جدّ الحسينعليه السلام قد قتل آباءهم، فهم جاءوا في كربلاء ليأخذوا الثار فقتلوا أولاد النبيصلى الله عليه وآله!

انّه التفسير الشيطاني الذي يقدّمه اصحاب القراءات الجديدة في هذا العصر لنهضة كربلاء.

وليس لمثل هذا التعبير سابقة في التاريخ.

انّ العدوّ والصديق، المسلم والكافر، المشرك وعابد الأصنام، كل هؤلاء قد وقفوا مندهشين أمام عظمة نهضة كربلاء. وهكذا أصبح الحسينعليه السلام مصباح الهدىٰ ومشعلاً مضيئاً لا يخبو إشعاعه أبداً ولا يمكن إلغاء اثره.

هذه الهزّة العنيفة هي التي ايقظت المجتمع الاسلاميّ.

فهذا مصداق آخر للنهي عن المنكر بمعناه العام، حيث قال الامام الحسينعليه السلام: «اريد أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر»[1].

فهل حقّق سيّد الشهداء هدفه؟

الجواب: نعم، لقد حقّق الامامعليه السلام ما أراد وقد وصل الىٰ النتيجة التي كان يهدف اليها.

ما هي نتيجة هذه النهضة؟

هي أن يستطيع الناس التمييز بين الحقّ والباطل.

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩، الباب ٣٧، الرواية ٢.

فالهداية هي المهمّة الاولىٰ لأنبياء اللّٰه وأوليائه. وبعد الهداية اذا كان الناس مستعدّين لقبول قيادة هؤلاء العظام فانهم عندئذ يشكّلون حكومة أيضاً. وصحيح ان تشكيل الحكومة هو أحد واجباتهم ولكنّه مشروط بمساعدة الناس ونصرتهم كما صرّح بذلك أميرالمؤمنين في خطبته المعروفة بالشقشقيّة: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر»[1]

فاذا حضر الناس وأعانوا فانّني أقوم بواجبي. أمّا اذا لم يحضروا فان واجب تشكيل الحكومة يصبح ساقطاً عنّي، لكنّ واجب الهداية باقٍ علىٰ حاله.

انّ الهداية واجب الأنبياء والأولياء، وفي عصر غيبة وليّ اللّٰه الاعظم (عج) يقع عبء الهداية علىٰ عاتق العلماء: «العلماء ورثة الأنبياء»[2]. وهذا الواجب موجود دائماً، ولا يسقط في أيّ حال من الأحوال عن عاتق أيّ شخص. واذا انسدّت كل الأبواب فلابدّ أن يقدم الناس علىٰ الشهادة من أجل الهداية حتّىٰ يفهم الجميع ويميّزوا. حتّىٰ يتساءل الناس: لماذا استعدّ للشهادة هذا التابع للامام الحسين عليه السلام؟ واذا كان عندهم إنصاف فليحلّلوا وليدرسوا الموضوع، وسوف يصلون الىٰ هذه النتيجة وهي انّه قد قام بهذا الفعل من أجل القيام بواجبه الدينيّ. وسيظهر انّ جميع التُهم كانت كاذبة.

اذن من الممكن أيضاً ان يكون للنهي عن المنكر مثل هذا المصداق لكنّه: أوّلاً: موارد ذلك نادرة.

ثانياً: يحتاج الىٰ وعي كبير حتّىٰ يعرف الشخص انّ عليه مثل هذا الواجب. انّه يحتاج الىٰ تضحية ضخمة بحيث يزهد في كل شيء، وان لا يخترع لأهوائه حيلة شرعيّة، وان لايبحث عن الذرائع لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومثل

---

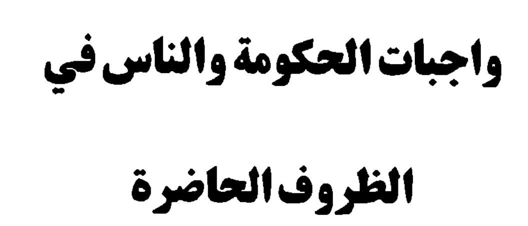
١. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

٢. بحارالأنوار، ج ١، ص ١٦٤، الباب ١، الرواية ٢.



هذه الشخصية نادرة في التاريخ، ولكنّ اللّه عزّ وجلّ قد أتمّ الحجّة عليّ وعليك. فان لم يكن هناك أحد فقد كان الحسين بن عليّ عليه السلام.

السلام عليك يا أبا عبداللّه، فداك نفسي وأولادي وأبي وامّي. فلقد أضأت مصباح الهداية في هذا العالم، فمادام هذا العالم موجوداً فانّ ذلك المصباح لن ينطفئ.



واجبات الحكومة والناس في الظروف الحاضرة

- واجب الحكومة والمجتمع في مجال تعليم الأحكام والمسائل
- واجب الحكومة والمجتمع في مقابل مؤامرات الأعداء
- علل نسيان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ايجاد التنظيمات الاسلاميّة للقيام بالنشاطات الاجتماعيّة

ذكرنا فيما مضىٰ انّ من أهداف نهضة سيّد الشهداء ـ كما صرّح بها الامام الحسين عليه السلام نفسه ـ هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد حاولنا أن نبيّن معاني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن نحدّد ايّ معنىً من هذه المعاني كانت تندرج به هذه النهضة المباركة تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي أيّ ظرف يصبح فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذا المعنىٰ واجباً؟

وخلاصة الجواب هو: اذا حدثت في المجتمع الاسلاميّ مؤمرات معقّدة تهدف الىٰ محو حقيقة الاسلام وتضليل الناس والقضاء علىٰ الحكومة الاسلاميّة (حكومة الحق)، ولم تفلح الطرق العاديّة والمتعارفة ـ سواء أكانت خطوات فرديّة أم اجتماعيّة ـ في حلّ المشاكل، ولم يبق لاثبات انّنا محقّون ومظلومون سوىٰ طريق واحد وهو النهوض الاستشهاديّ فانّه يصبح متعيّناً.

وكذا الأمر اذا حدثت ظروف يتوقّف فيها بيان سبيل الحقّ واقامة النظام الاسلامي علىٰ مثل هذه النهضة فان هذه الحركة تغدو واجبة.

ومن الواضح انّ نهضة سيّدالشهداء عليه السلام تتميّز ببركة عظيمة بحيث تجعل من المستبعد ان تعود مثل هذه الظروف لتحدث مرّة اخرىٰ في المجتمع الاسلاميّ فيمسي الجوّ الاجتماعيّ حالكاً ويتعذّر تمييز الحقّ فيه. ونحمدالله تعالىٰ علىٰ انّه قد توفّرت ظروف بعد هذه النهضة المباركة استطاع فيها سائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام ان يبيّنوا حقائق الاسلام في ارجاء العالم الاسلاميّ، وقد قاموا بتربية تلامذة لهم

أخذوا علىٰ عاتقهم تبليغ المعارف الاسلاميّة وترويجها، ودأبوا علىٰ ارسال أصحاب لهم الىٰ مختلف البلاد للقيام بحركات الاحياء والارشاد، بحيث لم تكن حاجة للقيام بمثل نهضة الامام الحسين عليه السلام في زمان سائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام. ونسأل اللّٰه تعالىٰ ان لا تحدث هذه الحاجة في المستقبل. إلاّ انّ المسائل العامّة ليست تابعة لكثرة مصاديقها ولا حتّىٰ لوجودها، وانّما يظهر حكمها من خلال وجود مصداق واحد . وصحيح انّه من البعيد ان توجد ضرورة للقيام بمثل هذه النهضة بسعتها وخصوصيّاتها، لكنّه قد تحدث حاجة أحياناً للقيام بنهضة أضيق وأكثر محدوديّة. وقد أشار الىٰ وجود هذا الاحتمال قائد الثورة الاسلاميّة[1].

وعلىٰ كلّ حال فلابدّ من الاهتمام بهذا الموضوع لانّ استعداد المجتمع الاسلاميّ للتصدّي للأعداء يقلّل من فرص نفوذهم ونجاحهم. أمّا اذا جاء يوم استفرغنا فيه في النوم العميق واستسلمنا فيه لتأثير إعلام العدوّ وفقدنا غيرتنا الدينيّة فحينئذ سوف يطمع العدوّ فينا وقد تحدث ظروف نحتاج فيها الىٰ مثل هذه النهضة الاستشهاديّة. وبهذه المناسبة قدّمتُ هذا البحث الطويل نسبيّاً حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلت انّ الأمر بالمعروف ـ بمعناه العام ـ يشمل عدّة عناوين اخرىٰ، منها عنوان «التعليم»، ومنها عنوان «الموعظة»، وبالتالي نصل الىٰ واحد من أهمّ تلك العناوين وهو عنوان «الجهاد».

واجب الحكومة والمجتمع في مجال تعليم الأحكام والمسائل:

في مجال التعليم قلنا انّ له ثلاث شعب هي: تعليم الجاهل وتنبيه الغافل وارشاد الضّال. فالصورة الاولىٰ هي ان يعيش شخص في المجتمع الاسلاميّ وهو لا يتمتّع

---

١. خطاب قائد الثورة الاسلاميّة آية اللّٰه خامنئي في اجتماع الشباب (فى مصلّىٰ طهران) بتاريخ ۱۳۷۹/۲/۱ هـ ش.



بالمعارف الاسلاميّة ولم تتوفّر له ظروف يتزوّد فيها بالمعلومات اللازمة في مجال الدين، فهذا الشخص يجب تعليمه. وتعتبر هذه المرحلة من مصاديق الأمر بالمعروف بمعناه العام.

المعنىٰ الثاني هو أن يكون الشخص عالماً بالمسألة ولكنّه قد تعرّض لظروف أدّت به الىٰ الغفلة تماماً عن وجود مثل هذا الحكم والتكليف ومثل هذه المسألة بالنسبة اليه. فالانسان عادة تكون مواقفه واتّجاهاته تابعة لوضعه الذهني، وفي كثير من الأحيان يكون وضعنا الذهنيّ تابعاً لظروف البيئة، فان كانت البيئة ملوّثة ومظلمة وفاسدة فقد يؤدّي ذلك بالكثير من الناس الىٰ الغفلة. فاذا سئلوا هل يوجد هذا الواجب في الاسلام فانّهم يجيبون بالايجاب، ولكنّهم غافلون عن ان هذا الواجب واقع علىٰ عاتقهم أيضاً ولابدّ لهم من القيام به. ففي هذا المورد يظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة «تذكير الغافل» أو «تنبيهه» و«ايقاظه».

المعنىٰ الثالث هو «ارشاد الضّال»، أيّ انّ هناك شخصاً لا يتمتّع بالمعرفة الصحيحة ولكنّه يتخيّل انّه يتمتّع بها، فهو جاهل من نوع الجهل المركّب. يظنّ انّه يعرف واجبه ولكنّه مخطئ ومشتبه في ذلك. فهذا الشخص يجب ارشاده ويجب ان نبيّن له انّه مخطئ اذا كان يتصوّر انّ هذا واجبه أو انّ الواجب لابدّ ان يتمّ بهذه الصورة، كلاّ، فالطريق الصحيح هو كذا والهدف الصحيح هو ذاك. هذا هو ما نقصده من «ارشاد الضّال».

هذه واجبات ثلاثة كلّها من قبيل التعليم

ويتمّ التعليم أحياناً بصورة فرديّة، فكلّ انسان يتحمّل مثل هذه المسؤوليّة في عائلته بالنسبة الىٰ أولاده وأهل بيته، فان كان فيهم جاهل أو غافل أو ضالّ فانّه يجب تعليمه أو تنبيهه أو ارشاده: «**قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ**»[1]

---

١. سورة التحريم، الآية ٦.

فكما انّ الانسان مكلّف بالقيام بواجباته الشخصيّة فهو مكلّف أيضاً بتعليم عائلته وأقار به ومن يؤثّر فيه فكريّاً.

ويقع هذا الواجب ـ في مستوى أرفع ـ علىٰ عاتق العلماء والمتخصصين في هذه المجالات، فلابدّ ان ينهضوا بواجباتهم في المجتمع بصورة أوسع وأعمق. وفي العصر الذي يُدار فيه المجتمع بواسطة المؤسّسات المتنوّعة لابدّ من الأخذ بعين الاعتبار مؤسّسة معيّنة تتولّىٰ القيام بهذه المسؤوليّة. فالكلّ يعلم انّ المجتمعات السابقة التي كانت تُدار بصورة بسيطة لم تكن فيها مثل هذه الوزارات والتقسيمات التي نلاحظها في الدولة المعاصرة. مثلاً في صدر الاسلام عندما كانوا يبعثون بالمسؤولين الىٰ منطقة معينة فانّهم كانوا يرسلون ـ علىٰ الأقلّ ـ ثلاثة أشخاص: احدهم الوالي (الحاكم)، والآخر المعلّم والقارئ وهو الذي يعرف القرآن الكريم ويعلّمه للآخرين وهو عالم يرجع اليه الناس للاطّلاع علىٰ المعارف والأحكام، والثالث هو صاحب الخزانة الذي يتولّىٰ جمع الأموال ويقوم بالحسابات اللازمة.

اذن كانت هذه المؤسّسات الثلاث فحسب، ثمّ بعد ذلك تعقّدت تدريجيّاً العلاقات في المجتمع وأخذت تظهر مؤسّسات جديدة في المجتمع تضاف الىٰ ماسبق حتّىٰ وصلت الوزارات في الحكومات المعاصرة الىٰ عشرين أو ثلاثين وزارة بل فاق عددها الثلاثين في بعض الدول. وفي ظروفنا التي نعيشها حاليّاً توجد ـ على الأقل ـ ثلاث وزارات تتولّىٰ الألوان الثلاثة للتعليم، احداها وزارة التربية والتعليم وهي مكلفة بمحو الاميّة وتزويد الأطفال بالعلوم المادية والدنيوية المتعارفة بالاضافة الىٰ التوعية الدينيّة، هذا اذا كان النظام اسلاميّاً. والحقّ يقال انّ وزارة التربية والتعليم هي من أفضل موسّساتنا حتّىٰ في زمان النظام السابق وقد قامت بخدمات جليلة لهذا المجتمع، وكذا اليوم فهي مؤسّسة محترمة. ولهذا الأمر أسباب عديدة من جملتها انّ معظم موظفيها من المعلمين والمدرسين ينتمون الىٰ



الطبقة الوسطىٰ العاديّة وهم أبناء هذا الشعب الذي هو علىٰ اتصال دائم بالمحافل الدينيّة ويتمتّع بأفكار دينيّة قوية ومحكمة، ومن هنا فانّهم يشعرون بالمسؤوليّة في مدارسهم.

والثانية هي وزارة التعليم العالي وتتولّىٰ جانباً من مسؤوليّة التعليم في المجتمع وتسيير شؤون الجامعات.

والثالثة هي وزارة الثـقافة والارشـاد الاسـلاميّ. ويـبدو مـن اسـمها ضـخامة المسؤولية الواقعة علىٰ عاتقها.

ومع الأسف فان نتائج اعمال هاتين الوزارتين لم تـرتفع الىٰ الحـدّ المـطلوب منهما. وعلىٰ الرغم من تصريحات قائد الثورة الاسلاميّة التي يخاطب فـيها وزارة التعليم العالي قائلاً: لابدّ من جعل الجامعات اسلاميّة، مع ذلك لا نلاحظ انّها قـد قامت بعمل جدّي في هذا المجال، ولعلّ السبب في ذلك هو انّ بعض المسؤولين فيها لا يملكون ارادة جادّة للقيام بهذه المهمّة. ولهذه الظاهرة أسبابها ايـضاً، ومـن جملة تلك الأسباب انّ كثيراً من أساتذة الجامعات ومديري هذه المـؤسّسة واقـع تحت تأثير الجوّ الخارجيّ، حيث أمضوا سنوات في اوربا أو امريكا أو انهم تعلّموا علىٰ ايدي الذاهبين الىٰ اوربا او امريكا، فأصبحت أخلاقهم وأذواقـهم وثـقافتهم ومعلوماتهم اقرب الىٰ ثقافة الكفر منها الىٰ ثقافة الاسلام. ومن الطبيعي ان من يتربّىٰ علىٰ أيدي هؤلاء لن يكون أحسن حالاً منهم. اذن عمل هذه الوزارة ناقص وهـو بحاجة ماسّة الىٰ عمل كثير.

وأمّا وزارة الارشاد فالكلّ يعلم ما هو وضعها الآن وما هو اسلوب عملها. وقد صرّح بعض المسؤولين الكبار في هذه المؤسّسة بانهم لا علاقة لهم اصلاً بالدين، وان عنوان الارشاد الاسلامي ليس سوىٰ اسم يطلق علىٰ هذه الوزارة. وهذا يعني انّ هذه التسمية مجاملة ليس أكثر وإلا فان عمل هذه الوزارة هو نفس عمل وزارة

الثقافة والفنّ في زمان الشاه! ويصرّحون بانّنا لا علاقة لنا بدين الناس! نحن نهدف الىٰ ترويج ثقافتنا الوطنيّة وثقافتنا القديمة والرقص والغناء وما شابه ذلك من امور فنّية! نحن نريد اشاعة اللغة الفارسيّة والثقافة القوميّة الايرانيّة في سائر الدول! ولا علاقة لنا بالاسلام!

لقد صرّحوا بذلك، واذا كانوا يكذّبون هذه الأقوال فلديّ الوثائق عليها وتاريخ التصريح بها ونوعيّة المخاطبين بها.

وعلىٰ كلّ حال فانّه يجب علىٰ هذه المؤسّسات الثلاث في مجتمعنا أن تـولي اهتماماً كبيراً بتعليم وتربية شبابنا، وتاريخ عمل إحداها جيّد نسبيّاً، وامّا الوزارتان الاخريان فعملهما غير مطلوب وقد كانت احداهما سيئّة جدّاً.

وهنا نتساءل: اذا لم تقم هذه المؤسّسات الثلاث بواجبها الاجتماعيّ فماذا يجب علىٰ الناس أن يعملوا؟

بقطع النظر عن كوننا مواطنين ـ حسب الاصطلاح المعاصر ـ وبهذا العنوان علينا واجبٌ إزاء الحكومة ولنا حقّ عليها، لكنّنا نحن ماذا يجب علينا أن نعمل؟ اذا لم يقم هؤلاء بواجباتهم فهل يمكن أن يشعر الناس بانّه لا يوجد واجب علىٰ عاتقهم؟

لو كان المجال يسمح لي بالتوسّع لبيّنت انّ هذه الواجبات هي أساساً تقع علىٰ عاتق الناس، ولكنّه لوجود الظروف الاجتماعيّة المعقّدة في العصر الحـاضر فـقد جُعلت علىٰ عاتق الحكومة. فهناك بحث يدور حول واجبات الحكومة ما هي؟ أهي مجموعة من الواجبات المتعلّقة ـ أصالةً ـ بالحكومة ولا دور للناس فيها، أم علىٰ عكس ذلك هي مجموعة من الواجبات التي يتعيّن علىٰ الناس القيام بها، لكن بما انّ الناس عاجزون عن القيام بها أو انّه لا يوجد عدد كافٍ من المتبرّعين للقيام بها فانّ الحكومة تنوب عن الناس في القيام بها. ومن الواضح انّ التعليم والتربية هما مـن شؤون الناس. فلابدّ ان يبذلوا ما في وسعهم لنشر المعارف الاسلاميّة في المجتمع،



ولكن بالنظر الىٰ الظروف الاجتماعيّة المعاصرة فقد جُعلت أبعاد من هذا الواجب علىٰ عاتق الحكومة، فهو من شؤونها ولابدّ ان تنهض به، ويتعيّن علىٰ الناس ان يطالبوها بذلك. أمّا اذا قصّرت الحكومة ـ لأيّ سبب من الأسباب ـ ولم تقم بواجبها في هذا المجال فانّ الواجب لايسقط عن عاتق الناس.

اذن من جملة واجباتنا ـ ولاسيّما في هذه الظروف التي لا تقوم فيها وزارة التعليم العالي ووزارة الارشاد بما يجب عليهما ـ ان نتصدّىٰ لتعليم الشباب واليافعين في مجتمعنا. والمقصود من هذا التعليم الواجب هو تعليم الامور الدينيّة. وقد توجد ضرورة ـ أحياناً ـ لتعليم سائر الامور أيضاً ولكنّ اهتمامنا الآن منصّب علىٰ تعليم الامور الدينيّة بعنوان كونه من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمعنىٰ ان نسلّحهم بالمعارف الدينيّة بحيث لا يقعون فريسة للأجواء المعادية فيضعف دينهم ويتزلزل ايمانهم ويحصل لهم الشكّ في اصول الدين وأُسسه. فهم يُزوّدون بهذه التعليمات حتّىٰ يصبحوا محصّنين ضدّ هذه الظواهر المرَضيّة.

ويقع القسم الأعظم من هذه المسؤوليّة علىٰ عاتق علماء الدين فلابدّ أن يبذلوا قصارىٰ جهدهم لتأليف كتب في هذا المجال في مستويات متنوّعة، وأن يربّوا أساتذة أكفاء، وان يعقدوا صفوفاً مختلفة للتعليم الحضوري وغير الحضوري، الرسميّ وغير الرسمي، القصير الأمد والطويل الأمد، حتّىٰ يتمكّن الشباب من الانتفاع من هذه الفرص. ومن حسن الحظّ انّ خطوات قدقُطعت في هذا المضمار، ولاسيّما بالنسبة لطلاّب الجامعات، وبمساعدة من التعبئة الطلابيّة ينال التعليم في كلّ عام مايقرب من ألفي طالب، وقد أُلّفت كتب بهذا الخصوص، وأصدر قائد الثورة الاسلاميّة أمره بتدريس هذه الكتب في كلّية القوّات المسلّحة. ويستطيع سائر الطلاّب والمعلّمين الحصول علىٰ هذه الكتب وإعداد استاذ لتدريسها أو استخدام الأشرطة الموجودة لشرحها وتوضيحها، وذلك بهذف تسليح النفس لحمايتها من

التأثّر بالشبهات الشيطانيّة. وهناك ستّة كتب قد أُعدّت لهذا الفرض. ومن أحبّ تفصيلاً أكثر في هذا المجال، فانه يستطيع مراجعة مؤسّسة الامام الخميني ﷺ للتعليم والبحوث في قم، أو مكتب طرح الولاية التابع للتعبئة الطلابيّة.

هذه هي ألوان التعليم التي يجب علينا القيام بها تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

القسم الثاني هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعنىٰ المواعظ بشكل عام. وهذا القسم أيضاً واجب علىٰ الجميع بالنسبة لعائلة الانسان ومن يؤثّر فيهم فكريّاً. فالكلّ مكلّف بتقديم النصح لأولاده حسب مستواه العلميّ، وأن يدلّهم علىٰ طريق الخير، وان يحذّرهم من طريق الشر، وان يشجّعهم على القيام بواجباتهم الفرديّة والاجتماعيّة.

وتقع هذه المسؤوليّة في مستوىٰ أوسع علىٰ عاتق مؤسّسات اخرىٰ ومن جملتها الذين يتصدّون بشكل رسميّ للوعظ والارشاد. فلابدّ ان يشعر الواعظون بضخامة مسؤوليتهم وان يكونوا جادّين في إعداد أنفسهم، وان ينظّموا مواعظهم بحيث تلبّي الحاجات الموجودة في المجتمع، وان تحمي الشباب من التورّط في المزالق، وان يولوا الشباب اهتماماً أكبر، وان لا يعتمدوا علىٰ القوالب القديمة التي تعود الىٰ مائة أو مائتي عام من قبل، بل يتعيّن عليهم الاهتمام بالحاجات المعاصرة وان يعيشوا مشاكل مجتمعهم الحالي.

وبطبيعة الحال فان للموعظة ظروفها وشروطها، ولمّا كانت هذه الامور معروفة لدىٰ الجميع، حيث يعرفون شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجال الأعمال الفرديّة البسيطة لهذا لا نريد ان نفصّل هذا الموضوع وانّما ننتقل الىٰ قسم أهمّ نريد ان نتعلّمه من قصّة عاشوراء ونهضة الامام الحسين عليه السلام.



واجب الحكومة والمجتمع في مقابل مؤامرات الأعداء:

كما أشرنا من قبل فانّ جانبا مهمّاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد غُفل عنه مع الأسف الشديد، ولاسيّما قبل نهضة الامام الخميني(قدّس سرّه)، وهو مايتعلّق بالنّضال ضدّ المؤامرات علىٰ الاسلام في المجالات المختلفة من اقتصاديّة وثقافية وسياسيّة وعسكريّة وفي مجال التربية والتعليم. وفي هذا المجال الحسّاس لا يمكن الاكتفاء بفترة قصيرة من التعليم لإعداد أنفسنا لمثل هذا الأمر بالمعروف، بل لابدّ من تعليم محكم ودقيق محسوب فيه الحساب بحيث يكون متناسباً مع خططهم الشيطانيّة التي أُعدّت بواسطة متخصّصين عكفوا أعواماً عديدة وأنفقوا ميزانيّات ضخمة عليها. وقد أشار قائد الثورة الاسلاميّة الىٰ جانب منها قائلاً: انّ الأعداء قد سخّروا بعض مطبوعاتنا لأغراضهم واتّخذوها قاعدة لانطلاقهم[1] لكي يستغلّوها للهجوم علىٰ الاسلام والنظام الاسلاميّ. فالمطبوعات في داخل ايران واقع بعضها بأيدي أُناس قد باعوا انفسهم للأجنبيّ، ويُموّن بعضها من بيت المال لكنّها قد أصبحت موقعاً للامريكان والصهاينة وسائر الأعداء حيث تنفّذ أهدافهم وتعينهم في التسلّل الىٰ عقول الناس وقلوبهم.

فالشيء الذي يتوقّع أن تقوم به اذاعة لندن أو اذاعة امريكا يقوم به هؤلاء متطوّعين. وهذا جانب واحد من النشاطات التي يقوم بها العدوّ ضدّ نظامنا الاسلاميّ.

ولننظر الآن ماذا نستطيع ان نعمل في مقابل هذه المؤامرة، فقط في مجال التآمر الإعلامي؟

هل يتيسّر لشخص او شخصين أو حتّىٰ عشرة اشخاص ان يتصدّوا لهذه المؤامرة؟

لابدّ ان نفكّر كثيراً وان نستنفر كلّ قوانا لنعرف ما هي الحركات التي يجب علينا القيام بها للتصدّي لهذه الحركة الشيطانيّة المشبوهة وهذا النشاط الواسع المدروس.

---

١. خطاب قائد الثورة الاسلاميّة آية اللّٰه خامنئي في اجتماع الشباب (مصلّىٰ طهران) بتاريخ ١٣٧٩/٢/١ هـ ش.

هذه بعض الموارد التي ينبغي ان تجعلنا حسّاسين وان تدفعنا للتفكير أكثر في مسؤوليّة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في مثل هذه المواضيع وأن نوليها جدّية أكبر.

وفي هذا المجال لا يجري الكلام عن معصية فرديّة يرتكبها شخص ونحن نقوم بتنبيهه، وانّما هو امر قد يهدّد كيان الاسلام بالخطر، بحيث نفتح عيوننا في يوم مّا واذا بكلّ شيء قد وقع في أيدي الأعداء، ونسأل اللّٰه تعالىٰ ان لا يحدث مثل هذا الأمر، وانّ بركات سيدالشهداء عليه السلام سوف تحول دون وقوع ذلك ولكنّ هـؤلاء قـد وضعوا خططاً دقيقة ووفّروا لها مقدّماتها وهم يؤمّلون كثيراً في ذلك. ونحن أيضاً لا ينبغي لنا ان نقلّل من شأن العدوّ، ولكنّه يجب التأكيد علىٰ أن تكون قلوبنا معلّقة بلطف اللّٰه تعالىٰ ودعاء الامام صاحب العصر والزمان ـ عجل اللّٰه تـعالىٰ فـرجـه الشريف ـ وليس معنىٰ هذا ان نجلس مكتوفي الايدي وان لا نعمل شيئاً، وانّما يعني ان نتوكّل علىٰ اللّٰه تعالىٰ وان نقوم بكلّ ما نستطيع معتمدين علىٰ دعـمه لنـا وان نطمئن بوجود النصر الالهي: «**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ**»[١] لكنّ هذا مشروط بـان نبذل غاية ما في وسعنا وان يكون ذلك باخلاص للّٰه سبحانه، وعندئذ سوف نرىٰ العون الالهيّ يرفدنا في كل مجال ينقصنا فيه شيء.

وعلىٰ كلّ حال فلابدّ من التعامل بجدّية في هذا المجال وان نبثّ الوعي به في كل مكان، وقد أُعدّ هذ البحث ليكون مقدّمة لاثارة الشعور بالمسؤوليّة بين الإخوة الاعزاء والأخوات الكريمات، ولست أدري ان كنت قد وفّقت لذلك ام لا، وأُحاول الآن ان اخرج بنتيجة محدّدة وهي الجواب عن هذا السؤال: ماذا يجب عـلينا أن نعمل؟ فهناك كثير من الإخوة والأخوات ولاسيّما من الأوساط الجامعية يسألون ما العمل؟ انّ قلوبنا تحترق ونعلم انّ علينا واجباً في هذا المضمار ولكنّنا لا نعرف ماذا يتعيّن علينا ان نعمل. وأُحاول في البداية أن أُبيّن لماذا نحن لا نعلم؟ وكيف تطوّرت

---

١. سورة محمد، الآية ٧.



الأوضاع بحيث أصبحنا لا نعلم؟ ثمّ أُحاول بعون اللّٰه بيان الخطوط العامّة لهذا الأمر.

علل نسيان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

توجد في هذا المجال عدّة نقائص بحيث أدّت الىٰ ان لا نتعرّف ـ كما ينبغي ـ علىٰ مثل هذه المسألة المهمّة. فمع انّه قد مرّ أكثر من أربعين عاماً علىٰ بداية نهضة الامام الخميني ـ حيث بدأت رسميّاً عام ١٣٤١ هـ.ش ـ وخلال هذه السنين الطويله سمعنا بيانات الامام وكانت كتبه ووصيته تحت تصرفنا، ومع هذا كلّه نقول انّنا لا ندري ماذا يجب علينا أن نعمل؟! وما هي مشكلتنا؟ واذا أردنا القيام بحركة في سبيل القيام بهذه الواجبات فمن أين يجب أن نبدأ؟

المشكلة هي تأثير الإعلام الشيطاني خلال هذه السنين الأخيرة في ترويج ثقافة التساهل والتسامح . فقد روّج لهذا الموضوع اشخاص مختلفون وبأنواع مختلفة من البيان ـ ولعلّ بعض هؤلاء قد قام بذلك عن حسن نيّة أو انّنا علىٰ أقل تقدير نحن نظنّ ببعضهم انّ له حسنَ نيّة في ذلك ـ وقد كرّروا الدعوة الىٰ التساهل والتسامح وتحمّل أفكار الآخرين وأقوال من هذا القبيل بحيث أثّر ذلك فينا جميعاً بشكل أو بآخر. ولعلّي أستثني من قولي «جميعاً» عدداً من الأشخاص بمقدار أصابع اليد كانوا بمنأىٰ عن هذا التأثير . اذن قد صدّق أكثرنا بانّه في هذا الزمان وفي هذه الظروف لا يمكن التشدّد ولا يصحّ اللجوء الىٰ «العنف» كما يزعمون. انّهم يطلقون اصطلاح «العنف» علىٰ كلّ ما هو غير التساهل والتسامح، من قبيل ان يكون للانسان غيرة دينيّة أو تعصّب بالنسبة للأحكام الاسلاميّة أو انّه يقول بضرورة وجود دين واحد هو الأصيل وهو الدين الحقّ وانّه لابدّ من تنفيذ الأحكام الاسلاميّة وما شابه ذلك من أقوال. انّهم يسمّونها بالأفكار المتشدّدة والمتطرّفة والمتعصّبة، ويقولون ان مثل هذه الافكار تعود الىٰ القرون الوسطىٰ! ولا مكان لها في هذا العالم المتحضّر!

ماذا يعني ان يكون «دين واحد» فحسب؟! ليكن ألف دين! انّها التعدّدية الدينية! وأشياء من هذا القبيل! لقد قالوها وكتبوها كثيراً بحيث أثّروا علىٰ الجميع بنحو من الأنحاء.

فاذا أردنا أن نستيقظ من هذا النوم العميق وأن نُفلت من هذه المصيدة التي نُصبت لنا فلابدّ من تمزيق شباك «التساهل والتسامح». ان نسيج هذه الفكرة واهن كخيوط العنكبوت. ففي الدين الاسلاميّ يوجد اليسر والسهولة يقول اللّٰه تعالىٰ: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ»[1]، ولكنّه لا يوجد التساهل في الدين الاسلاميّ. انّ الدين الاسلاميّ في حدّ ذاته دين سهل يسير ولكنّه لا يجوز اطلاقاً التساهل في أحكامه وقوانينه. فالتساهل يعني عدم الاهتمام واللامبالاة، وهو أمر مرفوض، فلابدّ من الاهتمام بما هو موجود في الدين، انّها مغالطة ضخمة طالما نبّهنا عليها، ومع ذلك تعود الصحف لتؤكّد علىٰ ثقافة التساهل والتسامح، ويصدر هذا الأمر من شخصيّة ثقافيّة مسؤولة في الحكومة، ومع أنّنا أجبنا علىٰ ذلك مرّات عديدة لكنّنا نعود لنؤكّد انّه لا يوجد في الاسلام شيء يسمّىٰ بالتساهل والتسامح، وما ورد من قوله ﷺ: «لكن بعثني بالحنيفيّة السهلة السمحة»[2] لا يعني اللامبالاة بالدين، وانّما يعني ان الدين هو بذاته أمر سهل يسير، لكنّ هذا الدين السهل اليسير لابدّ من الاهتمام به بكامله ولا يصحّ الإخلال بجانب منه حتّىٰ بمقدار رأس الإبرة.

وعلىٰ كلّ حال فقد روّجوا لهذه الفكرة وأشاعوا هذه الروح ورغّبوا بها شبابنا مستخدمين الآداب من شعر ومسرحيّات وقصص وأفلام سينمائيّة وأشياء اخرىٰ بحيث رسّخوا هذا الموضوع في عقول الناس وقلوبهم وخلقوا هذا الجوّ في أرجاء هذا البلد الاسلاميّ. فلابد من التعجيل بتمزيق هذه الخيوط العنكبوتيّة، فكلّ هذا الكلام غير صحيح ولا دليل عليه. فالاسلام يؤكّد علىٰ ضرورة الغيرة، والاسلام

---

١. سورة البقرة، الآية ١٨٥.

٢. بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٢٦٣، الباب ٥، الرواية ٣.



يطلب منّا الصمود والتقوىٰ والحسم والجدّ، ولا يجيز لنا التساهل واللامبالاة.

فان أردنا ان نعرف واجبنا وأن لا نقع في مصيدة الشياطين وأن لا يأتي يوم يهدّد فيه نظامنا الاسلاميّ بالخطر ـ والعياذ بالله ـ فلابدّ أن نبدأ أولاً بتمزيق هذا الشباك العنكبوتيّ.

هذه هي الخطوة الاولىٰ، أمّا الخطوة الثانية فهي تعود الىٰ لون من الضعف الثقافيّ الذي أصابنا نتيجةً لأعمال قد تمّت خلال فترة طويلة من الزمان ولاسيّما خلال نظام الحكم البهلوي السابق ـ ولعلّ بعضنا قد ساهم في تلك الأعمال ـ ويتمثّل هذا الضعف بحالة عدم الاعتناء التي نشعر بها بالنسبة لأعمال الآخرين، فكلّ انسان منّا يهتمّ بعمله فقط ولا علاقة له بأعمال الآخرين، وكل فرد يعمل حسب تشخيصه الذاتي ولا يهمّه التشاور مع الآخرين والانسجام وتبادل الأفكار معهم. انّ هذا الاسلوب الفرديّ وعدم الاحساس بالحاجة الىٰ الآخرين في القيام بالنشاطات المختلفة هو نقص ثقافيّ موجود فينا. فاذا أردنا القيام بالأمر بالمعروف فنحن نقوم به وحدنا، واذا أردنا التعاون مع الآخرين فأقصىٰ ما نطمح اليه هو التعاون مع شخصين أو ثلاثة من أقاربنا أو جيراننا في مكان السكن أو في مكان العمل. أمّا انّنا نحتاج الىٰ ارتباط أوسع وجدّية أكبر في مجال القيام بالواجبات الاجتماعيّة فهذا ما لم نصدّق به ولم نعمل علىٰ أساسه. ولهذا الأمر أسباب متعدّدة لعلّ لنا الحقّ في بعضها، ولكنّنا نعلم انّ الاسلام قد شجّع علىٰ الاتّحاد والتآلف، ويقول الحديث الشريف: «المؤمن آلف مألوف»[1] فهو يأنس بالآخرين والآخرون يأنسون به. ويقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام: «من استبدّ برأيه هلك»[2]. ويقول الله سبحانه: «**وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا**»[3]. وكلّنا يعلم انّ الاسلام يحثّ علىٰ الوحدة

---

١. بحارالأنوار، ج ٦٧، ص ٣٠٩، الباب ١٤، الرواية ٤١.

٢. نهج البلاغة، الكلمات القصار، ١٦١.

٣. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

والترابط بحيث يعتبر المؤمنين بحكم الجسد الواحد كما في الحديث الشريف:

«المؤمن أخ المؤمن كالجسد الواحد»[١]

فنحن المؤمنين الذين نحبّ القيام بواجباتنا الشرعيّة ونحبّ ان لا نرىٰ الاسلام ضعيفاً وان لا تُوجّه طعنة للنظام الاسلاميّ لابدّ أن نبذل غاية جهدنا لإقامة العلاقات فيما بيننا.

وتوجد في هذا المجال مشكلة ـ وقد قلت لعلّ لنا الحقّ فيها ـ وهي انّه منذ قرن من الزمان ولحدّ الآن صوّروا لنا انّه اذا أردنا القيام بنشاط اجتماعيّ فلابدّ أن يتمّ ذلك في اطار التنظيم الحزبيّ.

وقد شكّلت أحزاب كثيرة لكنّها لم تستقم في مسيرتها، وحتّىٰ بعد انتصار الثورة الاسلاميّة اُسّست أحزاب لكنّها لم ينجذب القلب اليها. فمع أنّ المؤسسين للحزب الجمهوري الاسلامي هم من المقرّبين للامام الخمينيﷺ امثال الدكتور بهشتي والدكتور باهنر وسماحة آية اللّه الخامنئي والشيخ هاشمي رفسنجاني لكن الامامﷺ لم يؤكّد كثيراً علىٰ تشكيل هذا الحزب، بل قال: اذا اردتم ان يكون لكم حزب فليكن الحزب الجمهوري الاسلامي. وهذا يختلف كثيراً عن القول بانه لابدّ ان تشكّلوا حزباً.

وعلىٰ كلّ حال فقد صوّروا لنا الأمر بانه في المجال السياسي الاجتماعي إمّا ان يكون النشاط فردياً وإمّا أن يكون حزبيّاً، ولمّا كنّا مشمئزّين من العمل الحزبيّ فان الأمر ينحصر في أن نقوم بالعمل الفرديّ، غافلين عن انّ هناك شكلاً ثالثاً للنشاط. فلا العمل الفردي يمثّل النموذج الاسلامي ولا العمل الحزبيّ، وانّما النموذج الاسلاميّ هو ماتوصّل اليه الامامﷺ نفسه ولكنّه مع الأسف لم يتمّ بحثه ولا دراسته بشكل كافٍ.

---

١. بحارالأنوار، ج ٦١، ص ١٤٨، الباب ٤٣، الرواية ٢٥.



ايجاد التنظيمات الاسلاميّة للقيام بالنشاطات الاجتماعيّة:

في أوائل هذه النهضة الاسلاميّة جاءت الىٰ الامام الخمينيﷺ مجموعة من عشّاقه وفدائييه وقالوا له: انّ أرواحنا وأموالنا تحت تصرّفك فأْمرنا ماذا نفعل، وطلبوا منه تزويدهم باسلوب العمل. وكان لهؤلاء الأشخاص عدّة هيئات دينيّة وهيئات لإقامة العزاء. فقال الامامﷺ تعالوا قرّبوا بين هذه الهيئات واوجدوا بينها ائتلافاً. ولتكن الهيئات مستقلّة، فلكلّ هيئة مكانها واعضاءها، وكل مجموعة حرّة في اختيار اسلوب عملها وخطيبها وشاعرها وقارئ الرثاء، لكن علىٰ كل هيئة ان تقيم علاقة مع الهيئة المجاورة لها، وليتعاونوا في المشتركات، وليجلسوا لتنظيم الاصول المشتركة بينهم. فهذه الهيئات تأتلف في الامور المشتركة بينها مع حفظ كلّ منها لاستقلالها الداخليّ. ومن هنا وجد اسم «الهيئات المؤتلفة» الذي اتخذته مجموعة من الناس عنواناً لها. ولست أقصد الدفاع عن هذه الجماعة ولست بصدد البحث عن ألوان النقد الموجّه اليها، وانّما أردت القول بانّ هذا النموذج قد اقترحه الامامﷺ قائلاً لتأتلف الهيئات الدينيّة. وفي البداية كانت هناك اربع هيئات، احداها تحت اشراف آية اللّٰه الخامنئي، والاخرىٰ تحت اشراف الشيخ الرفسنجاني، والثالثة تحت اشراف الدكتور باهنر، وقد قمت بجانب من العمل مع هؤلاء الأعزّاء. ثمّ طلبت هذه الهيئات من الامامﷺ ان يعيّن ممثّلاً له فيها ينسّق شؤون ائتلافها، وقد استجاب الامامﷺ لهذا الطلب فعيّن المرحوم الدكتور بهشتي ممثّلاً له فيها.

واليوم ايضاً اذا أردنا العمل الجماعيّ فلابد ان ننظّم أنفسنا ونترابط ونتفاهم، ولا اقصد بذلك ان نقوم بتشكيل حزب، ولست احارب فكرة الحزب، ولكني اقول ان افضل نموذج ينسجم مع القيم الاسلاميّة هو ذلك النموذج الذي اقترحه الامامﷺ، فهناك اشكالات ترد علىٰ الحزب وهي غير واردة علىٰ هذا النموذج المقترح.

فالأحزاب يقوم بتشكيلها عدّة أشخاص، وهؤلاء هم الذين يسيّرونها، وفكرهم

هو المسيطر عليها. ويزعمون انّهم يهتمون بآراء الأعضاء ويجرون انتخابات، ولكنّ هذا هو ظاهر القضيّة، والحقيقة انّ المنهج يعيّنه هؤلاء الافراد ويسير الحزب علىٰ أساسه. فان كانت هناك زعامة فهي لهؤلاء الأشخاص، وهم الذين يقومون بالأدوار الرئيسيّة. ورؤساء الاحزاب هم الذين يستلمون الحكم عند انتصار احزابهم في الانتخابات، سواء أكانت انتخابات البرلمان أم انتخابات اخرىٰ، وتوجد دوافع قويّة تحملهم علىٰ ان ينتصر حزبهم بأيّ ثمن كان. وفي داخل الاطار الحزبي يبذلون غاية جهدهم ليصبحوا اعضاء في القيادة العليا للحزب، وهذا يعني انّ الدوافع المادية والدنيويّة مؤثّرة كثيراً في النشاطات الحزبيّة. ولعلّكم سمعتم بانّ بعض الاحزاب في الجمهورية الاسلاميّة قد استخدمت في الانتخابات الأموال العامّة العائدة للبلدية أو البنوك أو الجامعات أو وزارة التربية والتعليم ومؤسسات اخرىٰ كثيرة، ومع انّ هذا ممنوع بنصّ القانون ولكنّهم استخدموا هذه الأموال لتحقيق النصر في الانتخابات!

أمّا النموذج الذي اقترحه الامام‏ ﷺ فلاتأتي فيه مثل هذه الامور، فالدافع في الهيئة الدينيّة هو الدين، واذا انتخب شخص أو مجموعة أشخاص للقيام بدور أهمّ فانّ ذلك يعود لتشخيص المنتخبين أن هؤلاء قادرون علىٰ القيام بخدمة أكبر، وليس في ذلك أيّ هدف آخر. وفي الحزب يوجد مجال لسوء استخدام الامكانيّات الخارجيّة او للتبليغات السيئّة وغير ذلك، ولكنّ هذه الامور قليلة جدّاً في مجال الهيئات الدينية، ولا يمكن المقارنة بينهما. فالذين يساهمون في الهيئات الدينيّة يتمتّعون بالدافع الديني ويبذلون جهدهم ليتعرّفوا علىٰ حقيقة الامور. ولا توجد بينهم المنافسة السيّئة التي هي من أقبح سيّئات الاحزاب. فالأحزاب تقدّم مرشّحيها للانتخابات، واذا سألت اعضاء حزب معيّن عن مرشّح حزب آخر أليس هو أصلح للأمر من مرشّح حزبكم؟ أحياناً قد يعترفون بأنّه أصلح ولكنّهم يقولون بانّ حزبنا



قد اتّخذ قراراً بهذا الشأن! انّه يشاركنا في الاتّجاه السياسيّ! أو أنّه عضو في الجبهة التي ننتمي اليها! وقد وعدنا أن نكون أوفياء لقرارات هذه الجبهة!

إلاّ انّ هذه الامور لا تجري في الهيئات الدينية.

اذن نحن نؤكّد علىٰ أن تكون لنا تنظيمات دينيّة قوية، ولكن لا علىٰ أساس النموذج الغربي (الحزب)، فلا وجود لنموذج الحزب في الاسلام، وانّما هو مستورد من الغرب. وقد تكون له بعض الجهات الحسنة ولكن فيه عيوب كثيرة، فاذا وجدنا ما هو أفضل منه فلماذا لا نختار الأفضل؟ انّه اسلوبنا الاسلامي وهو الهيئات الدينيّة. ولنحاول بكل وسعنا ان تكون هناك علاقات بين هذه الهيئات الدينية.

إذنْ الأمر الأول هو أن نكافح فكرة التساهل والتسامح، وان نقوّي في الناس روح الغيرة والشعور الديني. الأمر الثاني هو أن نقاوم الاتّجاه الفرديّ والانطواء علىٰ الذات، وان نقوّي هذه الثقافة في أنفسنا وهي أنّنا بواسطة العمل الفرديّ لايمكننا مقاومة الشياطين الذين يهدّدون كياننا ونظامنا وديننا، بل لابدّ لنا من القيام بعمل جماعيّ منظّم، ولابدّ لنا من الترابط والانسجام، فان لم يكن هناك سبيل إلاّ الحزب فلامانع منه لانّ الامام الخمينيﷺ لم يحاربه ولكنّ رأيه في الأساس ـ وقد أكّد عليه في بداية النّهضة ـ هو ائتلاف الهيئات الدينيّة.

اذن ماذا يجب علينا أن نعمل؟

انّ اقتراحي هو أن يقوم كلّ واحد منّا في المحلّه التي يسكن فيها باختيار مسجد يكون جامعاً الىٰ حدّ ما ويتميّز بامكانيّات جيّدة ثمّ تتمّ الدعوة لأبناء تلك المحلّة للحضور في المسجد. وطرق الدعوة متنوّعة، والشباب أنفسهم يعرفون كيفيّة تأثير بعضهم علىٰ البعض الآخر بصورة طبيعيّة، مثلاً اذا كان هناك طالب ممتاز في الصفّ فانه يستطيع ان يجذب كل أبناء صفّه معه. والشباب الطيّبون المستقيمون يعرفون كيف يتصرّفون. ويجب علينا أن نشجّع الشباب علىٰ أن يصبحوا محوراً لاجتماع

أبناء محلّتهم. ماذا نفعل اذا كان الشاب معادياً للثورة؟ من الواضح أنّ أبناءنا ينحرفون في المسيرة المعادية للثورة نتيجةً لقلّة وعيهم، فاذا واجهنا مثل هذا المورد فعلينا الاتصال بهذا الشاب خارج نطاق الهيئة للتأثير عليه وهدايته. ولا يصبح عضواً رسمياً في الهيئة إلاّ بعد الاطمئنان باستقامته. وبعد تشكيل هذه الهيئات نحاول مااستطعنا ان يتولّىٰ الأعمالَ الأشخاصُ الذين هم أكثر نشاطاً لتحقيق الأهداف بشكل أفضل. ولتنبعث شورىٰ من أعماق هذه الهيئات وليعقدوا جلسات للتشاور وليضمّوا أفكار بعضهم لبعض بصدق وشعور بالمسؤوليّة، وليحاولوا أن يفكّروا هم وان يتّخذوا القرارات بأنفسهم. انّ مثل هذا النظام هو الذي سيكون شعبيّاً، وأمّا الشعبيّة التي يدّعيها الغربيّون فهي كاذبة. ان تسعين في المائة من الناس لا دور لهم فيها. والشعبيّة الحقيقيّة هي ان يجتمع أبناء المحلّة الواحدة ليتّخذوا القرارات بأنفسهم من دون إجبار أو خوف. ومايقومون به ناشئ من الشعور بالواجب والمسؤوليّة. هذه هي الشعبيّة الحقيقيّة وعلىٰ مثل هذا الأساس تقوم الحكومة الشعبيّة، لا ما يروّج له الإعلام الخدّاع لجذب الأفراد بواسطة التهديد والتطميع بالمال والمناصب. هل تعتقدون انّ لائحة الانتخابات التي تحتوي اسماء ثلاثين مرشّحا كان منهم عشرون معروفين عند من انتخبوهم؟ كونوا علىٰ ثقة بانّ تسعين في المائة ممّن اعطوا آراءهم لهذه اللائحة لم يكونوا قد سمعوا من قبلُ حتّىٰ بأسماء هؤلاء العشرين فضلاً عن ان يكونوا قد عرفوهم من قبل واحرزوا صلاحيتهم للقيام بهذه المهمّة ثمّ اعطوهم آراءهم عن بصيرة واحساس بالمسؤوليّة. هذه هي حقيقة الديمقراطيّة الغربيّة. امّا في الحكومة الشعبيّة الاسلاميّة فالانسان ينتخب شخصاً ـ شعوراً منه بالواجب الديني ـ ليتمكّن من تقديم خدمات أفضل للاسلام. وقد يسيئ استغلالَ الفرص شخص أو شخصان من بين كل مائة منتخب ولكنّ هذه النسبة المئوية الضئيلة يمكن تحملّها في مقابل هذا العدد الضخم من

المنتخبين المستقيمين. أمّا في الديمقراطيّة الغربيّة فالأصل والأساس قـائم عـلىٰ سوء الاستغلال والخداع والإعلام المضلّل لصالح الأغراض الشخصيّة.

فلنحاول ان نحكم اجتماعاتنا ولنبثّ فيها روح المحبّة والاخوّة، ولننظر بصدق واهتمام الىٰ ما اخبرنا به الاسلام حيث يـقول المـعصوم: «انّ المـؤمنين اذا التـقيا فتصافحا أنزل اللّٰه بين ابهاميهما مائة رحمة تسعة وتسعين لأشدّهما حبّاً»[١]

الىٰ أيّ حدّ حاول الاسلام أن يقرّب بين المؤمنين الذين يتميّزون بهدف واحد لتقوم بينهم علاقات صداقة مبنيّة علىٰ أسـاس الايـمان بـاللّٰه والتـعاون لتـحقيق الأهداف الالهيّة وليس تحقيق ماتقتضيه الأهواء، وفي سبيل ذلك يـتعاملون فـيما بينهم بمحبّة ويغضّ بعضهم النظر عن عيوب البعض الآخر. فقد نقل عن المعصومعليه السلام ما مضمونه انّ المؤمن اذا ذهب الىٰ باب دار مؤمن آخر ناوياً لقاءه فقط فان اللّـه سبحانه يبعث اليه ملَكاً ويكلّفه بسؤاله: لماذا جئت الىٰ باب دار هذا المؤمن؟ فيقول: جئت لألقىٰ صديقي. فيسأله: هل تطلب منه أموالاً؟ فيقول: كلاّ. فيعود لسؤاله: هل عندك حاجة اخرىٰ اليه؟ يقول: كلاّ. فيقول الملَك: اذن لماذا تريد ان تراه؟ فيقول: ضاق صدري له وأحببتُ أن أراه. فيقول اللّٰه تعالىٰ لذلك الملك قل لهذا المـؤمن: «ايّايّ زرت وثوابك عليّ، ولست أرضىٰ لك ثواباً دون الجنّة».[٢]

هذه نماذج من تعاليم الاسلام. فلنبذل كلّ جهدنا لتـقوم بـيننا عـلاقات مـودّة ومحبّة، ولنبعد عن أنفسنا ما يعكّر الصفو ويكدّر الخاطر حتّىٰ نكون من الممتثلين لقوله تعالىٰ «**وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعاً وَ لاٰ تَفَرَّقُوا**». أمّا اعـداء الاسـلام فـانّهم لايدّخرون وسعاً في اساءة استغلال هذه النقطة أيضاً فيصوّرون للناس انّ أيّ وحدة وبأيّ شكل حصلت فهي مطلوبة، وحتّىٰ اذا كان الحكم في أيدي غير المـؤهّلين

---

١. بحارالانوار، ج ٥، ص ٣٢٣، الباب ١٧، الرواية ١١.

٢. بحارالأنوار، ج ٧٤، ص ٣٤٥، الباب ٢١، الرواية ٤.

فانّهم يدعون الىٰ اتّباعهم لكي تتحقّق الوحدة.

وهنا نتساءل: اذا كانت الوحدة ـ كيفما كانت ـ مطلوبة فانّ أكثر الناس علىٰ وجه البسيطة كفّار ومشركون ولكي تتحقّق الوحدة فليصبح المسلمون كفّاراً؟!

ولعلّ تسعين في المائة من المسلمين هم غير شيعة، فهل من الصحيح ان نحثّ الشيعة ليصبحوا من السنّة حتّىٰ تتحقّق الوحدة؟!

وهل هذه الوحدة مطلوبة؟

كلاّ، انّ الوحدة مطلوبة اذا كانت تدور حول محور الحقّ، يقول تعالىٰ: «**أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لاٰ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**»[1] اتّخذوا الدين معياراً وليكن محور وحدتكم، لا أن تتّحدوا مع من لا دين لهم، فالوحدة مع الأعداء لا تثمر سوىٰ الهلاك والدمار، فلابدّ من الوحدة مع الاصدقاء.

أيّ معيار وملاك يجب أن نأخذه بعين الاعتبار لهذه الوحدة؟ هناك معياران يمكن طرحهما في هذا المجال وهما في الحقيقة يعودان الىٰ شيء واحد، فملاك الوحدة في مجال القوانين هو «أحكام الاسلام» وفي مجال التنفيذ هو «الوليّ الفقيه».

انّ هذين الملاكين مهمّان بالنسبة للذين يريدون ـ في الواقع ـ تطبيق الدين في المجتمع بيد مَن هو مأذون من قِبل الامام صاحب العصر والزمان عجل اللّٰه تعالىٰ فرجه الشريف. اذن معيار الوحدة هو تطبيق القوانين الاسلاميّة بيد الوليّ الفقيه.

انّ اختلاف الأذواق كبير ولن يرتفع اطلاقاً، وان الأساليب مختلفة، وان طرق التطبيق للأهداف لن تكون موحّدة، إلاّ انّ هذين الأمرين يمكن ان يصبحا معياراً لوحدة المجتمع: فالكلّ يريد أن يُطبّق الاسلام، والكلّ يريد تطبيق الاسلام بيد من هو: أوّلاً: يعرف الاسلام أفضل من غيره ولاسيّما في الشؤون الاجتماعيّة. ثانياً:

---

١. سورة الشورىٰ، الآية ١٣.



يكون مأذوناً من قبل اللّٰه تعالىٰ وأولياء الدين حتّىٰ لا يعدّ غاصباً. فـان تـمسّكنا بولاية الفقيه فانّ الاسلام حاصل بطبيعة الحال، لان الوليّ الفـقيه لا يـحكم بـغير الاسلام. اذن يمكننا القول بانّ الوحدة تتحقّق اذا ما أصبحت ولاية الفقيه هي المحور.

أمّا ألوان الوحدة الاخرىٰ مثل الوحدة القائمة علىٰ أساس الديمقراطيّة والقـيم الغربية والحريّة فانّها غير مطلوبة، لانّ الحرية التي ينادون بها قد لاحظتم نموذجها في مؤتمر برلين!

وقبل ذلك بفترة طويلة كنت قد أشرت في جامعة طهران الىٰ نوع الحريّة التي يبحث عنها هؤلاء، ولكنّه قد هاجمتني الصحف عند ذاك بشدّة واعـترضت عـليّ مجموعة من الشخصيّات الكبيرة في البلد.

والآن لاحِظوا ماذا يريدون، وأيّ وحدة وأيّ حريّة يطالب بها ممثّل تلك الفئة الطلابيّة وسائر الفئات، وبأية ذلّة وحقارة عقدوا ذلك المؤتمر! لقد سحقوا كرامتهم وكرامة بلدهم وكرامة شعبهم بهذه التصرّفات! ولكنّ كرامة الاسلام والمسلمين أرفع من أن نستطيع تدنيسها أمثالُ هؤلاء الساقطين، فاللّٰه سبحانه يؤكّد في كتابه الكريم:

«وَ لِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ»[١]

إلاّ ان هؤلاء قد لوّثوا كرامة المجتمع الاسلاميّ بمقدار ما لفظوه من نجاسة من أفواههم! وقد عرف الجميع نوع الحريّة التي يريدونها! فهل الوحدة القائمة علىٰ هذا الأساس يمكن أن تكون مطلوبة؟

وحتّىٰ لو فرضنا انّ جميع هذه الفئات قد اتحدّت في جبهة واحدة فهل هذا أمر مطلوب بالنسبة للاسلام؟

انّ مايريده الاسلام هو الوحدة القائمة علىٰ أساس الدين، ومثالها ورمزها هو الوليّ الفقيه.

---

١. سورة المنافقين، الآية ٨.

فاذا أردنا اختيار الأصدقاء ومن نتعاون ونفكّر معهم فلنجعل أمامنا هذا الأصل وهو أن ننظر هل انّهم يريدون تطبيق أحكام الاسلام أم لا وانّما هم يريدون التحلّل من أحكام الاسلام بهذه الذريعة وهي قولهم انّ هناك قراءة اخرىٰ للاسلام أيضاً؟! ولكي يفرّوا من حكم الاسلام يقولون: انّ هذا هو فهمكم للاسلام، فلاتحوّلوا فهمكم الىٰ شيء مطلق! انّ هناك ألواناً اخرىٰ من الفهم له أيضاً!

انّ هذا يعني «الانكار للدين». فعندما يُترك العمل بالأحكام الجزائية للاسلام وتصبح الأحكام الشرعيّة اعتباريات لاتتمتّع بأساس عقلاني وواقعي! فماذا سوف يبقىٰ من الدين حينئذ؟

انّنا نريد حقّاً تطبيق أحكام الدين ونعتقد بواقعيّة ما ورد في القرآن الكريم وسنّة النبي الأكرمﷺ ومانهض من أجله الامام الخمينيؒ، ولا نريد الاسلام الذي يقوم بتفسيره خرّيجوا جامعات لندن أو سائر الجامعات الغربية! وهم يحاولون ان يفرضوا علينا القراءات المتعدّدة! انّنا نريد قراءة اللّه وقراءة النبيﷺ وقراءة الأئمة الاثني عشرؑ وقراءة جميع العلماء طيلة الف واربعمائة عام. هذا هو الاسلام، وغير ذلك ليس باسلام. ليس هناك اسلامان: اسلام هذا واسلام ذاك. ان هذا مجاز في التعبير. والحقيقة ان الاسلام شيء واحد، وماعداه كفر وإلحاد قد أطلقوا عليه اسم قراءة اخرىٰ للاسلام!

يتعيّن علينا ان نحيي الجلسات الدينيّة وان نجعل المسجد هو المحور في الحركة وان نجذب اليه جميع أهل المحلّة من المؤمنين بالاسلام ويريدون تطبيق احكام الاسلام ويعترفون بولاية الفقيه، ولنتبادل المحبّة والمودّة ولنغضّ الطرف عن أخطاء بعضنا وأن لا نضخّم الأخطاء الصغيرة، ولنبذل كل جهدنا في مساعدة الآخرين. واذا كانت اليد خالية من حطام الدنيا ولا نستطيع تقديم المساعدة الماليّة للمحتاجين فعلىٰ أقلّ تقدير نعينهم بالكلمة الطيّبة. يقول اللّه تعالىٰ: «**وَ يُؤْثِرُونَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ**

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ»[١] ولنحي الروح التي كانت سائدة في اوائل الثورة وايام الحرب المفروضة حيث كان الناس يتنازلون عن طعام عوائلهم من أجل المصلحة العامّة، فانّ إحياء هذه الروح يؤدّي الىٰ ترابط أكبر فيغدو المسلمون بحكم الجسد الواحد.

وعندما يتحقّق هذا التشكّل فما هو الغذاء الفكريّ الذي يُقدّم فيه؟ لا شكّ أنّ المحور الأصليّ هو القرآن الكريم والأحاديث الواردة عن النبي الأكرمﷺ والأئمة الطاهرينعليهم السلام، ويتمّ توضيح ذلك بواسطة الأشخاص الذين أيّدت الشخصيّاتُ الاسلاميّة المعترفُ بهم صحّةَ تفكيرهم واتجاههم. فالامام الخمينيقدس سره قال: ان جميع كتب المرحوم الشهيد مطهريّ معتبرة، فعلينا ان نهتمّ بها ونتداولها، وان لا نذهب الىٰ الكتب المشكوكة أو معلومة الكذب أو معلومة الخطأ، بذريعة انّنا نريد شيئاً جديداً! فاذا كان هذا العذر صحيحاً فلنترك القرآن اذن ولنبحث عن شيء آخر بديل له! لأن القرآن يعود الىٰ ما قبل الف واربعمائة عام! فهل هناك قاعدة تقول كل ما هو قديم فهو سيّئٌ وكل ما هو جديد فهو حسن؟ انّ عكس هذا الادّعاء هو أقرب إلى الصحّة، فكل ما هو جديد في الدين فهو بدعة وضلالة، يقول الامام أميرالمؤمنين عليّعليه السلام: «و ما أُحدثت بدعة إلاّ تُرك بها سُنّة، فاتّقوا البدع، والزموا المَهْيَع (الطريق الواضح)، انّ عوازم الامور (ماتقادم منها) أفضلُها، وانّ محدثاتها شرارُها»[٢].

نعم قديكون هناك تفسير جديد لآية وهو صحيح، ولكنّ التجديد في الدين واختراع اشياءَ من النفس ونسبتها للدين هو بدعة وضلالة، وكل ضلالة فمصيرها الىٰ جهنّم.

أمّا استخدام الاسلوب الصحيح للتحقيق واستخراج مواضيع جديدة من الكتاب والسنّة فهو أمر يسلّم به الجميع وقد سار عليه جميع علمائنا علىٰ طول التاريخ، ولكنّ هذا قائم علىٰ اساس اسلوب معقول ومعتبر وبطريقة صحيحة واستدلاليّة، وليس بما يرضي الأهواء! أو يرضي الأمريكان! أو يرضي المعادين للثورة! أو يفرح الصهاينة!

---

١. سورة حشر، الآية ٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٥.

كلّ من يستخدم اسلوباً صحيحاً للتحقيق في الكـتاب والسـنّة ويـظفر بـنتائج جديدة فان ذلك مقبول ومطلوب.

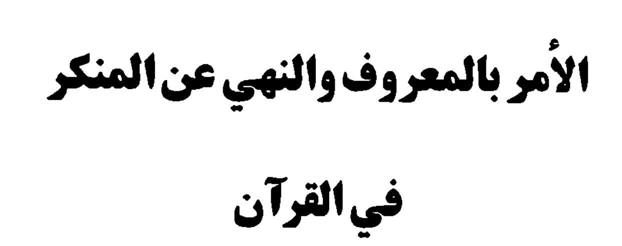
اذن ينبغي ان يكون هدفنا هو أن نفهم الكتاب والسنّة وروح الاسـلام بشكـل أفضل، وان نقف في وجه الشبهات التي توجّه للاسلام ونقدّم أجوبة شافية عليها، والىٰ جانب ذلك نحاول جهدنا أن نتعرّف علىٰ الامور الحديثة التي تتعلّق بـالعالم الاسلاميّ ـ سواء مايتعلّق ببلدنا ام ما يتعلق بالبلاد الاخرىٰ ـ وان نتمتّع بالتحليل السياسي الواعي والشامل. انّ هذا هو ما يجب علينا ان نقوم به.

مشكلتنا هي اننا نتصوّر انّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو دائماً عـمل فرديّ، واذا أردنا ان نقوم بخدمة للدين فالحدّ الأقصىٰ هو أن نساهم في المظاهرات وان نردّد الشعارات. انّ هذا التصوّر خطأ، ورفع الشعارات هو بدايـة العـمل. فـاذا انتهت العشرة الاولىٰ من المحرّم فان مجالس العزاء تقلّ تدريجيّاً وتـنتهي، وكـذا الحماس والحرارة والشوق الذي اكتسبناه من ذكر سـيّد الشـهداء عليه السلام. لكـنّ هـذه البرامج يجب ان تكون بداية للعمل الأصلي وان نستمرّ في هذا الخط وان نحفظ ما اكتسبناه من نور خلالَ إقامة العزاء علىٰ سيّد الشهداء عليه السلام وان نقوّي اُسس الوحـدة والتفاهم التي ظفرنا بها خلال هذه المناسبة، لا أن نجمّد ذلك حـتّىٰ تـحلّ عـلينا المناسبة مرّة اخرىٰ في العام القادم.

فلنتّخذ قرارنا منذ الآن ـ ولست اقصد اصدار الاوامـر لأحـد ولكـنّ الأسئلة المتكررة لي حول ماذا نفعل تدفعني لأقول هذا، واذا توصّلتم لسبيل أفضل فأرجو ان تدلونّي عليه حتّىٰ أعمل به ـ ولنجذب أبناء محلّتنا ليشكّلوا هيئة، ولعلّ الامور تكون متعسّرة في البداية ولكنّه بمرور الزمن وتدريجيّاً سوف ينسجم أبناء المحلّة في هيئة نظيفة لا غشّ فيها ولا خداع، لكي نفهم الدين بشكل أفضل، ولكي نستفيد من هذا التجمع في المواقع الضروريّة. وبمجرد ان تنتظم هذه الهيئة فإن علينا ان نقيم

علاقة التعاون والمحبّة مع الهيئة المجاورة لنا. فاذا كان في المدينة عشرون محلّة فليجمع عشرون ممثّلاً لها أو أكثر، من كل هيئةٍ شخصٌ أو أكثر، لكي يحقّقوا الانسجام بين أعمال هذه الهيئات. مثلاً يختارون شورىٰ لهم، يتبادلون بينهم المعلومات والأخبار، وعن طريق هؤلاء تصل تلك المعلومات في فترة قصيرة الىٰ جميع اعضاء الهيئة. ولنتذكّر أحداث اوائل الثورة عندما كان الامام الخمينيﷺ يصدر بياناً فانّه كان يتمّ توزيعه خلال ليلة واحدة، وكانت روح التعاون هي السائدة بين الناس، ولكنّه مع الأسف قد فقد أكثرنا هذه الروح، ونشكر اللّٰه تعالىٰ علىٰ انّ بعضنا لم يفقدها وانما ضعفت قليلاً، فلْنحيها من جديد، فان طريق النصر علىٰ أعداء الاسلام هو تقوية العلاقات الانسانيّة والاسلاميّة بين المسلمين المعتقدين بأحكام الاسلام وولاية الفقية. فان قمنا بترسيخ هذه العلاقة وتقويتها، فانّ امريكا بل وكلّ العالم لا يستطيع أن يُلحق بنا ضرراً.

وخلاصة القول انّ محور البحث في هذه الجلسات لابدّ ان يكون في البداية هو اكتساب المعارف الاسلاميّة والجواب علىٰ الشبهات والتعرّف علىٰ الشؤون السياسيّة للعالم الاسلامي من خلال التحليلات التي يقدّمها أشخاص يُطمئنّ بهم، وملح هذه الجلسات هو إقامة العزاء علىٰ سيّد الشهداءعليه السلام وفي الواقع انه روح هذه الجلسات، وأمّا اذا اقتصرنا علىٰ إقامة العزاء فانّ ذاك لا يحلّ مشكلتنا. انّ ذكر سيّد الشهداء يجمعنا، ولكن لأيّ هدف يجمعنا؟ لكي نفهم الاسلام أكثر ولكي نقاوم أعداء الاسلام بشكل أقوىٰ وأشمل. فالهدف ليس هو أن نقطع الوقت كلّه في العزاء، وانّما العزاء لابدّ ان يكون ملح اجتماعاتنا، ولا يصحّ أن نتّخذ الملح بدل الطعام. إنّ علينا أن نبذل قصارىٰ جهدنا لنتعلّم المعارف الدينيّة بشكل أفضل ولنتمكّن من الجواب علىٰ الشبهات، وأن نلمّ بالمسائل السياسيّة، وان نتعلّم بشكل أفضل طرق المقاومة لأعداء الاسلام.



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن

- المعنىٰ الاصطلاحيّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- الشعور بالمسؤوليّة بالنسبة للآخرين
- لماذا استعمل القرآن تعبير المنافقين في مقابل المؤمنين؟

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدّث بأشكال مختلفة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد وقع اختيارنا علىٰ آيتين كريمتين من سورة التوبة سوف نتبرك بذكرهما ثم نتحدّث عنهما بشكل مختصر يتناسب مع حجم هذا الكتاب.

يقول اللّٰه تعالىٰ:

«الْمُنٰافِقُونَ وَ الْمُنٰافِقٰاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللّٰهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنٰافِقِينَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ»[1].

ويقول عزّ وجلّ:

«وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنٰاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰاةَ وَ يُطِيعُونَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ أُولٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»[2].

المعنىٰ الاصطلاحيّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ما هو مفهوم «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»؟

ان معنىٰ عبارة «الأمر بالمعروف» واضح جدّاً بالنسبة الينا حسب الظاهر، فهي تعني الأمر بالأشياء الحسنة. وكذا الأمر بالنسبة الىٰ عبارة «النهي عن المنكر»، فهي تعني النهي عن الأشياء القبيحة.

---

١. سورة التوبة، الآية ٦٧.

٢. سورة التوبة، الآية ٧١.

ومن الواضح انّه خلال مسيرة التحوّل في الكلمات يحدث أحياناً توسّع في معنىٰ الكلمة، وأحياناً اخرىٰ يحدث تضييق في معناها. ففي بعض الموارد يؤدّي استعمال الكلمة الىٰ أن يصبح مفهومها أوسع من مقتضاها الأصليّ. وهذا هو ما حدث بالضبط في موضوع بحثنا. فالفقهاء عندما يبحثون موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقولون انّ معنىٰ العلوّ أو الاستعلاء مستتر في مفهوم كلمة الأمر، بمعنىٰ انّ من يأمر امّا ان يكون ارفع من المأمور وامّا ان يضع نفسه في مثل هذه المنزلة ويأمر من موضع أعلىٰ. فالرجاء ليس «امراً»، بمعنىٰ ان من يقول «أرجو ان تفعل كذا» فان هذا القول لايعتبر امراً. فمقتضىٰ كلمة الأمر هو ان يتمّ بصورة الاستعلاء. ويحتاط بعض الفقهاء فيقول: انّ تكليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتحقّق إلاّ اذا كان الآمر قد أمر «عن استعلاء».

درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عندما نتأمّل في حكمة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموارد استعمال ذلك في الآيات الكريمة والروايات الشريفة فانّنا نلاحظ لوناً من التوسّع في مفهوم ذلك.

وسوف نقوم ببيان بعض مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الروايات حتّىٰ يتبيّن التوسّع الحادث في مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١ ـ الشعور القلبي: عندما ندرس مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الروايات الشريفة نلاحظ ان أوّل مرتبة لهذا الواجب ـ ولاسيّما النهي عن المنكر ـ هي الإنكار بالقلب، بمعنىٰ ان الانسان حينما يشاهد حدوث المعصية والانحراف في المجتمع فانه يتعين عليه ان يشعر بالاشمئزاز منه في قلبه وان يتألّم منه. وهذه هي المرتبة الاولىٰ للنهي عن المنكر.

٢ ـ إظهار الرفض: حسب الروايات الواردة فانّ علىٰ الانسان ـ في المرتبة

اللاحقة ـ ان يظهر رفضه واشمئزازه علىٰ ملامح وجهه. فاذا واجه الانسان حدوث العمل القبيح في المجتمع فانّ عليه ـ بالاضافة الىٰ انكاره الباطني ـ ان يُظهر رفضه للمعصية بواسطة العبوس والتقطيب. وقد ورد في احدىٰ الروايات ان الانسان اذا واجه المعصية ولم يقطب جبهته اعتراضاً علىٰ ذلك فان تلك الجبهة سوف تحرق في نار جهنّم . فالمرتبة الثانية التي تأتي بعد الانكار بالقلب هي ان يظهر اثر ذلك الانكار القلبي علىٰ الوجه.

٣ ـ الإظهار باللسان: المرتبة الثالثة هي ان يحتجّ علىٰ حدوث المعصية بلسان. ولهذه المرتبة بالذات درجات ومراحل: ففي المرحلة الاولىٰ يبدأ بالتذكير بالمعروف والمنكر باللسان الطيّب الليّن اذا كانت الظروف مناسبة والأرضيّة معدّة للتأثير بهذه الطريقة. أمّا اذا لم ينفع التذكير بالكلمات الليّنة فان المرحلة اللاحقة هي الحيلولة دون وقوع المنكر بالكلام الشديد واللغة القاسية.

٤ ـ الردّ بواسطة اليد: اذا لم يؤثّر التذكير باللسان في الفرد العاصي فانّ المرحلة اللاحقة هي التعامل الفيزيائي والردّ باليد. ويجب القيام بهذه المرحلة اذا كانت الظروف مناسبة. واذا كانت هناك حكومة اسلامية تسيطر علىٰ المجتمع الاسلامي فانّ هذه المرحلة ـ وهي الردّ باليد ـ لابدّ ان يقوم بها مسؤول رسميّ أو شخص أُجيز له القيام بهذه المهمّة من الجهات الرسميّة المسؤولة.

٥ ـ الجهاد: انّ المراحل السابقة الذكر تتعلق جميعاً بالموارد المتعارفة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غير انّ هناك مرحلةً اخرىٰ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مذكورة في الروايات وهي شاملة للجهاد أيضاً. وبشكل عامّ فإن جميع انواع الجهاد تعتبر من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وحتّىٰ الجهاد الابتدائي ـ الذي هو جهاد للتنوير والهدف منه هو رفع الموانع التي تحول دون هداية الناس ـ فانّه في الواقع يعتبر لوناً من ألوان الأمر بالمعروف، لان الجهاد

الابتدائي يدفع المجتمع نحو الحقّ ويهديه الىٰ الصراط السويّ.

وكذا الجهاد الدفاعيّ فهو أيضاً لون من النهي عن المنكر، وذلك لان الجهاد الدفاعي هو من أجل بقاء الحقّ في المجتمع بحيث لا يسيطر عليه الكفر والانحراف والضلال.

وهناك قسم آخر من الجهاد وهو الجهاد مع أهل البغي أو جهاد البُغاة (و البُغاة هم المثيرون للاضطرابات في داخل البلد الاسلاميّ ويقتلون الناس عشوائيّاً، وهؤلاء لابدّ من قتالهم). وهذا هو أيضاً من مصاديق النهي عن المنكر، لأنّه يقاوم الفساد الناشئ من التصرّفات اللامسؤولة التي يقوم بها المخلّون بالأمن الاجتماعيّ ويحول دون استمراره.

وللجهاد مصاديق اخرىٰ خاصّة قد تقع أحياناً ولكنّها نادرة الحدوث، مثلاً قد يتعرّض أساس الاسلام للخطر في جهة من جهات العالم أثناء ظروف معيّنة، وفي هذه الحالة يجب علىٰ الحكومة الاسلاميّة وعلىٰ المسلمين أن يقفوا في وجه هذا الفساد وان يصدّوه.

في أيّ مورد يحقّ للناس الردّ باليد؟

اذا كانت الحكومة الاسلاميّة غير موجودة في عصر معيّن وفي بلد خاص أو كانت الحكومة الاسلامية ضعيفة وغير قادرة علىٰ التصدّي للمنكرات وشعر الناس بانّ الاسلام يتعرّض للخطر في هذا البلد ففي هذه الحالة يجب علىٰ الناس النهوض للنهي عن المنكر حتّىٰ تتمّ المحافظة علىٰ حقيقة الاسلام وأحكامه ويتمّ احياء القيم الاسلاميّة في المجتمع.

٦ ـ الحركة الاستشهاديّة: أحياناً قد لا تكون في المجتمع حكومة اسلاميّة قويّة بحيث تستطيع أن تحول دون وقوع الفساد، سواء أكان فساداً في العقيدة أم فساداً في العمل، فإمّا أن تكون الحكومة المسيطرة كافرة وإمّا ان يكون الذين يحكمون باسم الاسلام هم في الواقع من أهل النفاق، أو توجد بينهم عناصر منافقة بحيث

يفقد الجهاز الحاكم قدرته علىٰ القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون الأفراد المتصدّون في المجتمع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهدف إصلاح الامور والحيلولة دون الفساد لا يتمتّعون بتلك القدرة التي تؤهلّهم للأنتصار علىٰ الحكّام المتغطرسين من أجل تطبيق الحقّ، ففي هذه الحالة قد ينهض هؤلاء الأفراد بحركة ـ للقيام بهذه الفريضة ـ تنتهي باستشهادهم مظلومين، بحيث يؤدّي استشهادهم هذا الىٰ بقاء الاسلام.

والمصداق الأتمّ لهذا الأمر هو نهضة ابي عبدالله الحسين عليه السلام الذي أعلن الهدف لنهضته المباركة بصورة صريحة قائلاً:

«انّي لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالما وانّما خرجت لطلب الاصلاح في امّة جديّ صلى الله عليه وآله أُريد ان آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر»[١].

فهو عليه السلام يصرّح بانّ الهدف من نهضته هو اصلاح المجتمع بواسطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومثل هذه الحركة التي انتهت باستشهاد الامام الحسين عليه السلام تعتبر المصداق الأتمّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انّ هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقتصر علىٰ تعبيس الوجه ولا علىٰ الاعتراض باللسان ولا علىٰ الرد الفيزيائيّ المحدود، وانّما هو حركة ضخمة وعميقة بحيث أدّت الىٰ تحوّل تاريخي عظيم، ومادام المجتمع الانسانيّ باقياً فانّ آثارها سوف تبقىٰ.

ومن الواضح انّ مثل هذا المصداق ـ ولاسيّما في أرفع مستوياته مما تحقّق علىٰ يد سيّد الشهداء عليه السلام ـ لا يحدث إلاّ نادراً.

الشعور بالمسؤوليّة بالنسبة للآخرين:

و في هذا المجال توجد ملاحظة مهمّة وهي ان الناس في المجتمع لابدّ أن يشعروا

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩، الباب ٣٧، الرواية ٢.

بالمسؤوليّة بالنسبة للآخرين، ولابدّ ان يكون لكلّ منهم لون من الاشراف والرقابة علىٰ البعض الآخر. وهذه الظاهرة موجودة ـ بشكل أو بآخر ـ في المجتمعات الانسانيّة المتحضّرة مع اختلاف درجاتها في التحضّر. ولعلّه لا يمكن العثور علىٰ أيّ مجتمع يتمتّع بشيءٍ من الحضارة لكنّه لا يوجد مثل هذا الشعور بين أبنائه والمنتسبين اليه.

فالانسان لابدّ ان يكون له شعور بالمسؤوليّة بالنسبة لسلوك الآخرين، إلاّ انّ درجات مثل هذا الشعور بالمسؤوليّة تختلف في المجتمعات المتنوعة حسب النظام القيّمي السائد فيها. ولمّا كانت مصاديق الفعل الحسن والفعل القبيح تختلف في المجتمعات المتنوّعة حسب أنظمتها القيميّة فانّ درجة حساسيّة الناس بالنسبة لسلوك الآخرين تتوقّف علىٰ نوع رؤيتهم الكونيّة ونظرتهم للانسان والمجتمع الانسانيّ.

وهذا البحث طويل ومفصّل لكنّنا هنا نشير اليه بشكل مختصر:

النظام القيميّ الفرديّ والنظام القيميّ الاجتماعيّ:

إنّ الرؤية المسيطرة علىٰ المجتمعات بالنسبة للناس يمكن تقسيمها بشكل عامّ الىٰ طائفتين: المجتمعات الفرديّة والمجتمعات الاجتماعيّة. ولكلّ واحدة من هاتين الطائفتين توجد مراتبُ ودرجات مختلفة. فبعض الناس ـ في حياته ـ لايفكّر إلاّ بنفسه، فاذا أراد الراحة فانه يطلبها لنفسه، واذا أراد التقدّم فانه يريده لنفسه. ولا يختلف الأمر بالنسبة لهذه الفئة ان تكون الراحة ـ أو التقدّم ـ ماديّة أو معنويّة. انّ محور أفكار هؤلاء ونشاطهم هو نفي الضّرر أو كسب المنفعة لأنفسهم.

وفي الطرف المقابل يوجد أشخاص يعتبرون أنفسهم شركاء للآخرين ومرتبطين بهم في الحياة الاجتماعيّة. وتعتقد هذه الفئة ان المجتمع كلٌّ واحد منسجم ويرتبط

بعض أفراده بالبعض الآخر. ومن هنا فانّ كل عضو في هذا المجتمع لايفكّر بنفسه فقط. فانْ طلب الخير والبركة فانّه يطلبهما للجميع، وان أحبّ التقدّم فانه يحبّه للجميع. وحتّىٰ اذا أراد التقدّم المعنويّ والسعادة الاخرويّة فانه يتمنّاهما للجميع.

رؤية الاسلام للانسان:

انّ الأنبياء عليهم السلام عموماً ونبيّ الاسلام الأكرم صلى الله عليه وآله خصوصاً يقوّون جانب الرؤية الاجتماعيّة. فالدين الاسلاميّ الحنيف يحاول ان يربّي الانسان في جميع مراحل حياته بحيث يصبح مهتمّاً بجميع الناس ولاسيّما أعضاء المجتمع الاسلامي. فنحن نعلم ـ مثلاً ـ انّ الصلاة عبادة فرديّة، وكل انسان يظهر عبوديته للّه سبحانه بشكل من الأشكال، ونحن المسلمين نظهر عبوديتنا للّه عزّ وجلّ بصورة الصلاة، وفي الصلاة يقرأ المصلّي سورة الحمد، ولكنّه عندما يريد اظهار عبوديته للّه تعالىٰ فانه لا يخاطبه بقوله «اياك أعبد» وانّما يقول «ايّاك نعبد». فحتّىٰ اذا وقف الانسان وحده يصلّي في محراب العبادة في منتصف الليل فانّه يجب ان يقول: «ايّاك نعبد»، وحتّىٰ لوقطع المسلم الصحراء وحده ووقف للصلاة وليس معه أحد فانه لابدّ ان يقول: «ايّاك نعبد»، ولا يصحّ له اطلاقاً وفي أيّ حال من الأحوال ان يقول: «اياك أعبد»، بل لابدّ ان يقول «اياك نعبد واياك نستعين». وهذا يعني انّ المؤمن ينظر الىٰ سائر المؤمنين وهم معه. وكذا الأمر عندما يريد أن ينهي الصلاة فانّه يسلّم علىٰ النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة اللّه وبركاته» وذلك لماتتميّز به شخصيّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من عظمة لا يشاركه فيها أحد، إلاّ انّ الصلاة لا تنتهي بالسلام علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وانّما هي تتمّ بالقول: «السلام علينا وعلىٰ عباد اللّه الصالحين، السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته». فالمؤمن أثناءَ الصلاة كلّها يرىٰ المؤمنين دائماً الىٰ جانبه، وعندما ينتهي منها فانّه يسلّم علىٰ جميع المؤمنين. هذه هي التربية

الاسلاميّة. ففي جميع الأحكام الاسلاميّة ـ سواء أكانت عباداتٍ فرديّةً أم عبادات اجتماعيّة، وفي الشؤون الاقتصاديّة والاجتماعيّة والتربوية وحتّىٰ الجهاد والدفاع وغيرهما ـ لابدّ أن يعتبر المسلم نفسه شريكاً لسائر المؤمنين ومرتبطاً بهم. هكذا يربّي الاسلام أبناءه.

الرؤية الغربيّة للانسان:

أمّا التربية الغربيّة ـ ولاسيّما خلال القرنين الاخيرين ـ فهي ذات اتّجاه فرديّ. ولهذا يهتمّ الانسان في الرؤية العلمانيّة (فصل الدين عن الدولة) بمصلحته فحسب، وتسير العلاقات الانسانيّة والعاطفيّة فيها نحو الضعف، وينهار البناء العائليّ وينفصل الزوجان عن بعضهما ويهرب الأولاد عن الأبوين ولا يعرف الجار شيئاً عن جاره الملاصق لبيته. ويكون المحور الفكريّ للانسان ـ في هذه الرؤية ـ هو مصلحته ولذّاته الشخصيّة.

ضرورة إشراف المجتمع علىٰ أعمال الآخرين:

انّ هذا الاتّجاه الفرديّ مع كلّ مافيه من نقص وقبح ولكنّه في نفس الوقت لا يمكنه التخلّي تماماً عن المسؤوليّة التنفيذيّة والإشراف علىٰ أعمال الآخرين، وذلك لانّ مصالح الانسان ولذّاته وآلامه ترتبط عمليّاً ـ وفي العالم الخارجيّ ـ بالأفراد الآخرين. ومهما كان الانسان مهتمّاً بمصالحه الشخصيّة فإنه يدرك أنّ مصالحه الشخصيّة لا يتيسّر تأمينها إلاّ بواسطة تأمين مصالح الآخرين. فاذا أراد الانسان الظفر بلذّة في الحياة فانّه لا يستطيع ان ينالها وحده بل لابدّ من وجود شخص آخر معه حتّىٰ يتمكّن من الظفر بلذّته. وكذا اذا حاول الانسان ان يحرز تقدّماً في نشاطاته الاجتماعيّة ـ التجاريّة أو الصناعيّة ـ فانّه لا يستطيع أن يحقّق نجاحاً

وحده وانّما هو مرغم علىٰ التعاون مع الآخرين. واذا أحبّ الانسان ان يتمتّع بالخدمات الصحيّة وان تكون له بيئة سليمة فانه لا يمكن ان يتّخذ هذا القرار وحده. فالبيئة لا تكون سليمة إلاّ اذا أعان الآخرون علىٰ سلامتها. مثلاً نحن نعلم اليوم انّ أضرار التدخين في العالم قد اصبحت واضحة للانسان، ولهذا يمنع التدخين في الغرف المغلقة وفي الصالات العامّة. فاذا اراد الانسان ان يدخّن سيجارة فلابدّ ان يخرج من المبنىٰ ويدخّن في الفضاء المكشوف وبعد الانتهاء من التدخين يعود الىٰ داخل المبنىٰ، وذلك لانّه اذا سُمح بالتدخين في داخل الغرف والصالات فان الآخرين يُضطرّون لاستنشاق الدخان فيلحق بهم الضرر، ومن هنا فانّهم يُرغمون علىٰ مراعاة حال الآخرين. ويُطبّق هذا الأمر في ظلّ سيادة الاتّجاه الفرديّ.

وهناك مثال لطيف يُضرب في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو: ان مجموعة من الناس كانت تستقلّ سفينة تمخر مياه البحر، وفي هذه الأثناء لوحظ أحد ركّاب السفينة وهو يثقب جدار السفينة من مكان جلوسه. ولمّا اعترض الآخرون علىٰ فعله هذا أجاب قائلاً: انّ هذا المكان تحت تصرُّفي وأنا أثقب مكاني الجالس فيه ولا علاقة لكم به. وتدخّل ركّاب السفينة الآخرون ومنعوه من ثقب السفينة قائلين له: صحيح انك تثقب المكان الذي تجلس فيه أنت، ولكنّه عندما يدخل ماء البحر الىٰ داخل السفينة فانّه لا يميّز بيني وبينك وسوف يؤدّي بنا جميعاً الىٰ الغرق.

وكذا الحال في مجال الحياة الاجتماعيّة فالانسان لا يستطيع أن يهتمّ بمصلحته فحسب وأن يقصر التفاته الىٰ فعله وأن لا يتدخّل في أفعال الآخرين، فاذا رأىٰ الانسان شخصاً يُلحق الضّرر بالمجتمع فانّه لابدّ ان يكفّه عن ذلك وان ينهاه عن هذا العمل. وفي هذا المضمار لا يسمح المجتمع لهذا الشخص ان يقول: انّ المكان يتعلّق بي، فهو بيتي، أو محلّ عملي، أو هي مدينتي، وانّما اذا لاحظ المجتمع انّ الضرر

يلحق الجميع فمهما كان هذا المجتمع ذا اتّجاه فرديّ فانه يتدخّل في عمله ويمنعه من القيام به حتّىٰ بعنوان المحافظة علىٰ مصالحه الشخصيّة أيضاً.

اذن حتّىٰ في المجتمعات التي يسودها الاتّجاه الفرديّ نلاحظ وجود الإشراف العامّ للناس بشكل أو بآخر.

حدود إشراف المجتمع علىٰ أعمال الآخرين:

انّ حدود الاشراف في المجتمعات الغربيّة معروفة للجميع وتتمثّل في انّ اشرافهم علىٰ أعمال الآخرين اذا لم يتحقّق فانّ ضرر ذلك يعود عليهم أنفسهم، ولهذا فانّ المجتمع يبسط اشرافه في مثل هذه الحالات. وامّا اذا لم يتعلّق بهم عمل هذا الفرد ولم يهدّد بالخطر مصالحهم الماديّة فانّهم لا يعيرونه أهمّية. وهم يعتقدون انّ الفرد اذا قام بعمل قبيح فانّ ضرره يعود عليه ويخلّ بصحّته، وامّا الأفراد الآخرون في المجتمع فانّهم يقولون: لا علاقة لي بهذا! ولا علاقة لك به! ومثل هذا التعبير يدلّ علىٰ الاتّجاه الفرديّ. وفي المجال الذي يعود فيه الضرر علىٰ سائر الأفراد فانّهم يبدون فيه ردّ فعلهم. امّا اذا كان الضرر عائداً علىٰ الفرد نفسه فحسب فانّ المجتمع يقول: «لاعلاقة لي بهذا» دعه يُلحق الضرر بنفسه. وحتّىٰ اذا قيل له بانّ هذا الفعل يضرّ جسمك، لا تدخّن ـ مثلاً ـ لانّ هذا الفعل يمرض الانسان ويضرّ قلبه، فانه يجيب: ما علاقتك بهذا؟! ولماذا تتدخّل في شؤون الآخرين؟! انّها حرّيتي، فأنا احبّ ذلك!

رؤية الغرب بالنسبة للإشراف علىٰ الامور المعنويّة:

كان الحديث فيما مضىٰ عن الاتّجاه الفرديّ والاتّجاه الاجتماعي فيما يتعلّق بالشؤون الماديّة للانسان، ويأتي السؤال هنا عن موقف الغربيّين بالنسبة للشؤون

المعنويّة، فاذا كان سلوك الفرد مؤدّياً الىٰ الحاق ضرر معنويّ بالمجتمع فهل لابدّ من الإشراف عندئذ علىٰ أعمال الآخرين أم لا؟

لقد تحدّثنا عن الاتّجاه الفرديّ والاتّجاه الاجتماعيّ في الامور الماديّة، فمقتضىٰ الاتّجاه الفرديّ هو اطلاق سراح الفرد واعتباره حرّاً في كلّ مجال لا يعود فيه علىٰ المجتمع نفع أو ضرر عمله الفرديّ. وهذا هو الشيء السائد اليوم في العالم الغربيّ ويطلق عليه ـ اصطلاحاً ـ اسم المذهب الشخصيّ أو الفرديّ «Individualism».

أمّا أصحاب الاتّجاه الاجتماعيّ في الغرب فانّهم يرون من الصحيح الاشراف علىٰ أعمال الآخرين في مجال الامور الماديّة فحسب. وأمّا في المجال الذي تتعلّق فيه أعمال الأفراد بالشؤون المعنويّة، كالكفر والايمان والحقّ والباطل، فانّ أصحاب هذا الاتّجاه يؤكّدون علىٰ انّه لا علاقة للآخرين به! انّ هذا يعتبر تدخّلاً في شؤون الآخرين!

فالغرب ينظر الىٰ أعمال الأفراد المتعلّقة بالدين والأخلاق والمعنويّات علىٰ أساس أنّها حقّ الفرد بشكل تامّ ولا يحقّ لأيّ أحد أن يتدخّل فيها.

رؤية الاسلام بالنسبة الىٰ الإشراف علىٰ الشؤون المعنويّة:

انّ الاسلام يعارض الرؤيتين السابقتين ويحاول تربية الناس بشكل يهتمّون فيه بالآخرين. وحتّىٰ في الصلاة التي هي علاقة بين الفرد ومعبوده يجب ان يقول المسلم «نحن» ولا يقول «أنا». وفي الشؤون الاجتماعيّة ـ حيث يرتبط الأفراد بعضهم ببعض ـ لا يقتصر الاشراف الاجتماعيّ علىٰ الامور الماديّة، وانّما يمتدّ ليشمل الامور المعنويّة للأفراد أيضاً. فاذا قام شخص بفعل يؤدّي الىٰ فساد معنويّ في المجتمع فلابدّ من نهيه، بل انّ النهي عن المنكر في مجال الامور المعنويّة هو أوجب وأهمّ، وذلك لانّ الروح الانسانيّة والمعنويّات مفضّلة علىٰ البدن والماديّات،

فالماديّات فانية وسوف ينتهي أمدها، بينما الامور المعنويّة باقية الىٰ الأبد. فالذي يرتكب المعاصي فسوف يتورّط في العذاب الأبديّ. ولا يمكن تشبيه نـار جـهنّم بالنار الدنيويّة. ومن الواضح انّنا اذا شاهدنا انسانا يحاول ان يقذف نفسه في بـئر عميقة أو يلقي بنفسه من جسر شاهق ليغرق في ماء النهر أو يريد القاء نفسه في خضّم نار ملتهبة فان ضمائرنا لا تسمح لنا ان نتركه يفعل ما يشاء بذريعة انه قد أراد ذلك والأمر يتعلّق به شخصيّاً. اذن لا يمكننا أن نتركه يفعل ذلك في مـجال النـار الدنيويّة التي لايطول الاحتراق فيها سوىٰ سويعات من الألم والعذاب ثـمّ يـموت ويستريح. أمّا اذا كانت افعاله تؤدّي به الىٰ السقوط في جهنّم والنار الأبديّة: «**كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ**»[١]

فاللّٰه تعالىٰ يخبرنا بان الكافرين يُحرَقون في جهنم حتّىٰ تتحوّل جلودهم الىٰ رماد فيلبسهم اللّٰه سبحانه جلوداً اخرىٰ لتحرق من جديد وهكذا دواليك، ويستمرّ هذا الأمر بلاانقطاع. ماذا فعل هؤلاء ليستحقّوا مثل هذا العذاب؟ يقول اللّٰه تـعالىٰ انهم أعرضوا عن أوامره وارتكبوا المعاصي. فاذا شاهدنا من يـرتكب مـثل هـذه المعاصي التي تؤدّي به الىٰ ان يُلقىٰ في نار تفوق النار الدنيويّة بمئات المرّات ـ لانّ النار الدنيويّة قصير أمدها بينما العذاب الاخروي ونار جهنم مستمرّة مع الانسـان ابداً ـ فانّ ضمائرنا تقتضي أكثر ان نمنع هذا الفرد من القيام بهذه المعاصي حـتّىٰ نحميه من ذلك المصير المرعب.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الاسلام لا يـتعلّق بـالأضرار المـاديّة فحسب، وانّما يأمرنا الاسلام بالوقوف في وجه المعاصي حتّىٰ لا يتورّط المذنب بالعذاب الأبديّ في الآخرة.

---

١. سورة النساء، الآية ٥٦.



رؤية القرآن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هناك آيات قرآنيّة كثيرة تحدّثت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنّنا هنا قد اخترنا آيتين منها لأنّهما تتميّزان بخصائص مهمّة.

يقول اللّٰه تعالىٰ: «**وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنٰاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰاةَ وَ يُطِيعُونَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ أُولٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**»[١].

ويقول سبحانه: «**الْمُنٰافِقُونَ وَ الْمُنٰافِقٰاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللّٰهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنٰافِقِينَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ**»[٢].

فاللّٰه تعالىٰ يقول: ان بين المؤمنين ولايةً لبعضهم علىٰ البعض الآخر. وفي ظلّ هذه الولاية يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ومهما كان معنىٰ هذه الولاية ـ سواء أخذناها بمعنىٰ المحبّة أو بمعنىٰ لون من السلطة والقدرة القانونيّة أو بأيّ معنىٰ آخر ـ فانّها تحمل الانسان علىٰ أن يمنع الآخرين عن القيام بالفعل القبيح، فالانسان اذا أراد أن يبعد شخصاً عن المعصية في المجتمع فلابدّ ان يكون له لون من التسلّط والحقّ القانوني علىٰ ذلك الفرد حتّىٰ يستطيع القيام بهذا المنع.

انّ هذا الحقّ لا يُعطىٰ لأحد في الثقافة الغربيّة بحيث يستطيع منع أحد آخر من ارتكاب المعصية أو يستطيع التدخّل في الشؤون الدينيّة والمعنويّة لسائر الأفراد في المجتمع. واذا تطوّع أحد بالقيام بهذا العمل فانّه يُعدّ متطفّلاً ويقال له: ما علاقتك بهذا!

أمّا في الاسلام فانّ الأمر يختلف تماماً حيث يؤكّد الاسلام علىٰ انّ المجتمع هو بمنزلة الجسد الواحد، فكما انّ المؤمن يُبعد نفسه عن المعصية فهو مكلّف أيضاً بأن يبعد الآخرين عنها. فبالاضافة الىٰ ما يقتضيه الشعور الأخلاقيّ والعاطفة الانسانيّة

---

١. سورة التوبة، الآية ٧١.

٢. سورة التوبة، الآية ٦٧.

من إبعاد من نراه مشرفاً علىٰ الاحتراق نتيجةً للمعصية فانّ الاسلام يقول: انّ اللّٰه تعالىٰ قد أوجب علينا ان لا نتركه يحترق، ويعتبر هذا من أوجب الواجبات حسب الرواية القائلة: «انّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض»[1] فاذا اُهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانّ سائر الواجبات سوف تُترك أيضاً. انّ بقاء سائر الفرائض في المجتمع رهين للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فان جرىٰ العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع فسوف يجري العمل أيضاً بسائر الواجبات، وان تُرك الأمر بالمعروف فسوف تُترك بقيّة الواجبات أيضاً.

إذن لكي يتيسّر للآمر بالمعروف ان يأمر الآخر بالكلام أوّلاً واذا لم ينفع معه ذلك فانّه يقوم بمنعه عمليّاً ـ لكي يتيسّر له ذلك لابدّ ان يتمتّع بلون من الولاية عليه، ولعلّ المقصود من قوله تعالىٰ: «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» هو إعطاء مثل هذه الولاية للمسلمين حتّىٰ يتمكّنوا ـ فيما بينهم ـ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمعنىٰ الآخر للولاية هو «المحبّة». ومعنىٰ ذلك انّ المؤمنين والمؤمنات لمّا كانوا يشعرون بالمحبّة فيما بينهم فانّهم لا يريدون لمن يشترك معهم في هذه العلاقة ان يعمل عملاً وان يسلك طريقاً يؤدّي به الىٰ العذاب الأبديّ. فالمحبّة السائدة بين المؤمنين والمؤمنات تقتضي وجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساطهم.

ولعلّ كلاًّ من هذين المعنيين يمكن استفادته من الآية الكريمة.

إلاّ ان اللّٰه سبحانه عندما يتحدّث عن المنافقين في مقابل المؤمنين فهو يقول: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض» ولا يقول «بعضهم أولياء بعض»، وبدل «يأمرون بالمعروف» يقول: «يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف».

---

١. تهذيب الاصول، ج ٦، ص ١٨١، الرواية ٢١، الباب ٢٢.



وتطرح في هذا المجال أسئلة عديدة نحاول الإجابة علىٰ بعضها بمقدار وسعنا وبمقدار مايتناسب مع هذا الكتاب:

لماذا استعمل القرآن تعبير المنافقين في مقابل المؤمنين؟

نحن نواجه هذا السؤال وهو انّ اللّٰه تعالىٰ عندما ذكر المؤمنين والمؤمنات قائلاً: «و المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المـنكر» لماذا لم يستعمل في مقابلهم تعبير «الكافرون والكافرات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف»؟

يمكننا القول في الجواب علىٰ هذا السؤال: لانّ المنافقين أفـراد يـعيشون فـي المجتمع الاسلاميّ ويتظاهرون بالايمان وهم يعترفون ـ بحسب الظـاهر ـ بـجميع القيم الاسلاميّة، بينما هم في الواقع ليس لهم عقيدة قلبيّة بجميع المسلّمات الدينيّة. انّهم مع المسلمين في الظاهر ولكنّهم اعداء لهم في الخفاء والباطن، وفي أيّ وقت تسنح لهم الفرصة المناسبة فانّهم يوجّهون طعناتهم للمسلمين.

وهذا يختلف تماماً عن وضع الكافرين حيث انّهم لا يعيشون في داخل المجتمع الاسلامي، وحتّىٰ اذا كانوا يعيشون معهم فانّهم يتجاهرون في إعلان موقفهم ضـدّ القيم الاسلاميّة. ولهذا فانّ المسلمين يعرفونهم ويضعون الحدود الفاصلة بينهم وبين الكافرين. أمّا في مجتمع الكفر فان جميع الناس كفّار وهم ينكرون القيم الاسلاميّة بصورة علنيّة وليسوا بحاجة للتظاهر بالايمان.

وبناءً علىٰ هذا فالمنافقون يتغلغلون في أعماق المجتمع الاسلاميّ ويعترفون ـ باللسان ـ بالقيم الاسلاميّة ويتظاهرون بالايمان، إلاّ انهم يوجّهون سهامهم الىٰ دين الناس ويلجأون الىٰ كل حيلة وخداع لكي يبعدوا الناس عن دينهم، ولهذا يحذّر اللّٰه تعالىٰ منهم في القرآن الكريم فيقول: «المنافقون والمنافقات...» فهو سبحانه يُلفت

أنظار المؤمنين ليأخذوا حذرهم من وجود المنافقين في اعماق المجتمع الاسلامي لانّهم يأخذون علىٰ عاتقهم مهمّة الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

ولاية بعض المؤمنين علىٰ بعض:

تحدّث اللّٰه تعالىٰ عن المؤمنين بقوله:

«المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض»

ولكنه سبحانه يقول عن المنافقين:

«المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض»

لماذا يعتبر اللّٰه تعالىٰ الولاية لبعض المؤمنين علىٰ بعض بينما يعتبر المنافقين شيئاً واحداً؟

يمكننا دراسة هذا الموضوع من جهتين:

الأُولىٰ: اذا أخذنا الآية الكريمة «بعضهم أولياء بعض» بمعنىٰ الولاية فمعنىٰ ذلك انّ كل مؤمن يتمتّع بالولاية علىٰ المؤمن الآخر. فلكي يتمكّن المؤمنون من الأمر والنهي فيما بينهم لابدّ ان يتمتّعوا بمبرّر قانوني وسلطة قانونيّة، واللّٰه تعالىٰ هو وليّ الجميع ويجعل ولاية وقدرة قانونية للمؤمنين بعضهم علىٰ بعض ليتيسّر لهم الإشراف والتدخل في أعمال بعضهم البعض، فيقومون بالأمر والنهي كما ينبغي.

أمّا بالنسبة للمنافقين فهم يريدون الهجوم علىٰ الدين وتجريد الناس من دينهم بواسطة «الامر بالمنكر والنهي عن المعروف»، وهذا لا يحتاج الىٰ ولاية، لانّ الولاية حقّ قانونيّ، والقانون ـ في أيّ مجتمع ـ لا يجيز الأمر بالمنكر.

الثانية: اذا أخذنا «بعضهم أولياء بعض» بمعنىٰ المحبّة والمودّة فمعنىٰ ذلك انّ كل مؤمن يحبّ المؤمن الآخر ويشعر بالمودّة له. فاذا لاحظ المؤمن انّ ضرراً يلحق بأخيه المؤمن فهو يتألّم ويضطرب ويبذل قصارىٰ جهده لكي يلفت انتباهه لذلك



الضرر. فلأنّ المؤمنين يحب بعضهم بعضاً فهم يقومون بالأمر والنهي فيما بينهم. انّ المؤمنين لا يريدون ان يحترق أخوهم وأُختهم في الدين في نار جهنّم.

امّا المنافقون فهم ليسوا كالمؤمنين ـ يحترق قلب بعضهم لبعض ـ وانّما كل واحد منهم يفكّر في مصلحته فحسب، يقول اللّٰه تعالىٰ في كتابه الكريم:

«تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّىٰ»

فالانسان قد يلاحظ المنافقين مجتمعين في جبهة مشتركة ويعملون معاً وهناك فيما بينهم ـ حسب الظاهر ـ تعاون وانسجام، إلاّ ان قلوبهم ـ في الواقع ـ متفرّقة، فهم لا يحبّ بعضهم بعضاً، واذا لم تُؤمّن مصلحة فرد منهم فقد يقوم باغتيال من يعتقد انه حجر عثرة بالنسبة اليه، لانّ كل فرد منهم لا يفكّر إلاّ في مصلحته، وحتّىٰ اذا شكّلوا تجمّعاً أو قاموا بعمل مشترك فانّ ذلك من أجل ان يؤمّنوا مصالحهم الذاتيّة. واذا حصل تزاحم في هذا التجمّع وتعرّضت مصالحهم الشخصيّة للخطر فانّ كل شيء ينتهي ويفترس كل منهم الآخر.

وبناءً علىٰ ماذكرناه يمكننا ان نستنتج ان المنافقين لا يتمتّعون بالمحبّة فيما بينهم، ولا يملكون أيضاً القدرة القانونيّة علىٰ الأمر والنهي.

بينما المؤمنون يحب بعضهم بعضاً ولهذا يهتمّ بعضهم ببعض ويأمره وينهاه، لانّه لا يريد لأخيه وأُخته في الايمان أن يحترقا في جهنّم. وقد منحهم اللّٰه سبحانه هذه القدرة القانونيّة لكي يتيسّر لهم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبعضهم اولياء بعض.

الملاحظة الاخرىٰ في هذا المجال هي ان اللّٰه تعالىٰ يقول في المؤمنين: «و المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف» فالمؤمنون يحبّ بعضهم بعضاً وقد مُنحوا الولاية فيما بينهم، أمّا بالنسبة للمنافقين فان اللّٰه تعالىٰ لا يستعمل تعبير الأولياء بل يقول «بعضهم من بعض»، وهذا يعني ان بينهم ارتباطاً

وتعاوناً في مجال «الأمر بالمنكر» ولكنّ اجتماعهم واشتراكهم يكون علىٰ الباطل.

كيف يمكن القيام بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف في المجتمع الاسلامي؟

انه سؤال غامض عن كيفيّة قيام في المجتمع الاسلامي بالأمر بالمنكر والأعمال القبيحة؟ لان المنكر ـ في كل مجتمع ـ يعني الأعمال السيّئة والقبيحة، فكيف يتيسّر لأناس في المجتمع أن يقوموا بالأمر بالقبائح والامور السيئة؟ في المجتمع الاسلاميّ الكلّ معترف بالقيم الاسلامية والكلّ يتظاهر بالايمان، فكيف يمكن ان يظهر أفراد يأمرون بالمنكر؟ كيف يجرؤ أفراد علىٰ أن يأمروا الناس ـ في داخل المجتمع الاسلاميّ ـ بالأعمال القبيحة، ولابدّ أنهم يهدفون الىٰ غاية وانّهم مطمئنون الىٰ انّهم عندما يأمرون بهذه الأوامر فانّ هناك من يستمع اليهم، وإلاّ اذا كان من المقرّر أن يأمر هؤلاء بالأعمال القبيحة ويحثّوا الناس ـ مثلاً ـ علىٰ القيام بالسرقة والفسق والفجور ثمّ لا يستمع اليهم أحد فما الداعي لان يقوموا بـ «الأمر بالمنكر»؟ لابدّ انّ أمرهم ونهيهم يؤثّران في المجتمع ولهذا يبذلون كل هذه الجهود ويريدون للمنكر أن يتحقق في المجتمع. اذن فالسؤال الغامض هو: كيف يمكن ان يظهر أشخاص من وسط المجتمع الاسلاميّ يأمرون بالأعمال القبيحة بحيث تؤثّر أوامرهم فيه؟

لماذا يفعل هؤلاء هذا الفعل؟

ولماذا يقبل الناس منهم هذا الأمر؟

في هذا المجال لابدّ أن ندرس ماذا يمكن ان يكون المقصود من المعروف والمنكر؟ اذا كان المقصود من المنكر هو المنكر بالحمل الأوّلي ـ حسب الاصطلاح المنطقيّ ـ بمعنىٰ ان يقوم فرد في المجتمع بمخاطبة الناس قائلاً: تعالوا اعملوا الأعمال القبيحة ولا تقوموا بالأعمال الحسنة، فانّه من المستبعد جدّاً أن يقوم عاقل بمثل هذا العمل وأن يأمر الناس بالمنكر بهذه الصورة، وحتّىٰ اذا قام بمثل هذا العمل

فانّ احتمال تأثيره فيهم يقرب من الصفر، لانّ الناس يعترفون بالقيم ولا يسمحون لشخص أن يدعوهم صراحةً للقيام بالأعمال القبيحة بمفهوم الحمل الأوليّ الذاتيّ.
اذن يعرف من هذا ان مقصود القرآن من قوله ان المنافقين يأمرون بالمنكر ليس هو المنكر بالحمل الأولي الذاتي، وانّما مقصوده هو ان المنافقين يأمرون بمصاديق المنكر وينهون عن مصاديق المعروف، فهم يأمرون بمصداق المنكر وليس بمفهوم المنكر، اذ يدعون الناس الىٰ القيام بأعمال هي في الواقع من المنكرات، غاية الأمر انّهم يقدّمون هذه المصاديق من المنكر للناس بعنوان كونها من المعروف ومن الأعمال الحسنة.

فالمنافقون يأمرون بالمنكر عن طريق سوء استخدام المفاهيم وبالإعتماد علىٰ أساليب المغالطة والإعلام الشيطاني المضلّل. فهم في البداية يوفّرون الأرضيّة لتصوير مجموعة من الأعمال علىٰ أساس انها «حسنة»، فيتقبّلها الناس بهذا العنوان، ثمّ يحثّون الناس علىٰ القيام بهذه الأعمال الحسنة والتي هي في الواقع مصاديق للأعمال السيّئة والقبيحة. ومن ناحية اخرىٰ ينشط إعلامهم في مجال بعض الأعمال الحسنة ليصوّرها للناس علىٰ أساس أنّها أعمال قبيحة، ثمّ ينهون الناس عن القيام بهذه الأعمال القبيحة والتي هي في الواقع مصاديق للأعمال الحسنة. وإلاّ فمن الواضح انّ أيّ عاقل لا يأمر بالشيء القبيح بعنوان كونه قبيحاً، وأنّ أيّ عاقل لا يستمع الىٰ مثل هذا الأمر.

إذنْ هم يتناولون بعض مصاديق الأفعال المنكرة ويقدّمونها للناس بعنوان انّها حسنة ثمّ يأمرونهم بفعلها.

وعندئذ نواجه هذا السؤال: كيف يمكن تصوير المعروف بعنوان أنّه منكر وتصوير المنكر بعنوان أنّه معروف؟

الجواب: لا ينبغي أن يصيبنا العجب من ذلك فنحن نلاحظ ـ في مجتمعنا الذي نعيش فيه اليوم ـ وجود مصاديق كثيرة لهذا الأمر، لانّ جذور النفاق في هذا البلد

تمتدّ هنا وهناك فيظهر أشخاص يقومون بهذه الأعمال.

ولكي يتّضح البحث جيّداً أذكر بعض الأمثلة: في السابق كنّا نلاحظ النساء في مجتمعنا يتمتّعن بمفهوم قيميّ يُسمّىٰ «الحياء»، فنحن نعلم جيّداً ان من الصفات الحسنة للنساء هو «الحياء». ويعتبر الحياء حسناً حتىٰ للرجال ولكنّه بالنسبة للنساء يعتبر من أبرز ميزاتهنّ. والقرآن الكريم أيضاً يستخدم هذا المفهوم ويثني عليه. وقد ورد ذلك في قصّة ابنتي شعيب عليه السلام حيث أُرسلتا من قبل ابيهنّ لدعوة موسىٰ عليه السلام الىٰ بيتهم فيقول تعالىٰ:

«فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ...»[١]

فاللّٰه سبحانه يمدح هذه الصفة في المرأة وهي ان تتعامل مع الرجل الأجنبيّ عنها وهي تشعر بالحياء. فالحياء إذنْ يحتلّ مكانته الرفيعة في ثقافتنا وقيمنا. ولكنّ المنافقين اليوم يزعمون انّ الحياء هو نفسه الشعور بالخجل، والانسان الخجول لا يستطيع أن يقوم بأيّ عمل في هذا العالم الحديث. فالانسان الخجول يبقىٰ منطوياً علىٰ نفسه، ويؤكّد علم النفس علىٰ أنّ الشعور بالخجل أمر سيّئٌ، فاذا شعرت فتاة بالخجل من شابٍّ فهذا أمر سيّئٌ، لانّها تعجز عندئذ عن أن تبيّن له رغبتها وبالتالي تعجز عن أن تأخذ منه حقّها، اذن فالفتاة لا ينبغي لها أن تشعر بالخجل من الشاب. ومايقوله الناس من انّ الانسان لابدّ ان يتّصف بالحياء وان الفتاة لا ينبغي لها ان تنزع الحياء في مقابل الرجل الاجنبيّ عنها انّما هو قول لا أساس له من الصحّة ويعدّ من الأخطاء الخطيرة النتائج. فالفتاة لابدّ ان تكون جريئة حتىٰ تستطيع ان تقول ما تشاء في مقابل الآخرين وأن تفعل ما تريد وأن تدافع عن نفسها كما يحلولها. وفي بعض الأحيان يلجأ هؤلاء الىٰ ذكر بعض النماذج التاريخيّة من حياة أهل البيت عليهم السلام مثل حركة زينب عليها السلام. أجل، إنّ الفتاة لابدّ أن تدافع عن نفسها وأن

---

١. سورة القصص، الآية ٢٥.

تتمكّن من القيام بواجبها الشرعي وأن تتمكّن من الخطابة كما فعلت السيدة زينبعليها السلام وتعتبر هذه الامور نقاطا ايجابيّة في حياتها في الجوّ الاجتماعيّ بشكل عامّ. ولكنّ الفتاة التي لم تتزوّج بعد لابدّ ان تشعر بالحياء في مقابل الرجل الاجنبيّ عنها، ويعتبر هذا من جملة القيم الانسانيّة.

ويقوم المنافقون بالخلط بين هذين الأمرين فيقولون إن الحياء هو نفسه الشعور بالخجل، والشعور بالخجل يعني انعدام الشخصيّة. فلكي يخرج الانسان من حالة الخجل لابدّ ان ينزع الحياء ويتركه جانبا. ولكي تصبح الشجاعة ملكة للأولاد لابد ان يختلط الشباب والفتيات في المعاشرة وان تُلغىٰ الحدود في هذا الاختلاط، فيذهب الشباب والفتيات للرقص معاً في المناسبات الوطنيّة حتّىٰ لا ينشأوا علىٰ الشعور بالخجل.

فالمنافقون اذن يبدأون بتصوير الاختلاط بين الشباب والفتيات بصورة أمر ثقافي تقتضيه الحضارة، ويبثّون هذه الأفكار بين الناس ويؤكّدون ان الحياء والخجل يعني انعدام الشخصية ولابدّ من إزالته، والطريق الىٰ ذلك هو الاختلاط بين الشباب والفتيات، ثمّ يدعون الىٰ ترك الرجال والنساء أحراراً ليفعلوا مايحبّون.

في هذه الحالة يتحقق مصداق لقوله تعالىٰ: «يأمرون بالمنكر». ويبذل المنافقون قصارىٰ جهدهم ليتسلّلوا الىٰ داخل الأجهزة الحكوميّة وان يأمروا بالمنكر مستغلّين تلك الاجهزة فيحثّون الناس علىٰ إحياء الحفلات الراقصة ويدعمونها بأموال مأخوذة من الميزانية العامّة لبيت مال المسلمين.

ولا ينبغي ان يتصوّر أحد انّ المنافقين يقولون للناس افعلوا الأعمال القبيحة، وانّما هم يوفّرون الارضيّة اولاً ويصوّرون للناس ان هذا الفعل حسن ثم «يأمرون بالمنكر»، أو انّهم يوفرون الارضيّة الثقافيّة ويصوّرون للناس ان المعروف الكذائي قبيح ثم «ينهون عن المعروف». وهذا االأمر يحتاج الىٰ النفاق وليس الىٰ الكفر، لان

الكافر يقول صراحةً مايريد ان يفعله. فاللّٰه تعالىٰ قال «المنافقون والمنافقات» ولم يقل «الكافرون والكافرات» لانّ هذا الأمر يتمّ بواسطة النفاق، فلابدّ ان يظهروا انّنا نحبّ الاسلام أيضاً ونعتقد به ولابدّ من القيام بالأعمال الحسنة، إلاّ انّ الحياء ليس فعلاً حسناً لانه يجعل الانسان خجولاً، وهذا أمر قبيح ولابدّ من مقاومة الأفعال القبيحة. وبناءً علىٰ هذا لا يكون الحياء من الاسلام، أو علىٰ أقلّ تقدير فان قراءتنا للاسلام لا تتضمّن ان الحياء قيمة. بينما القراءة القديمة للدين كانت تقول ان الاسلام يحبّ الحياء ويحثّ عليه. والقراءة الحديثة للاسلام تصرّح بانّ الحياء امر سيّئٌ للغاية.

إذنْ ما لم تُمهّد الأرضية الثقافيّة فانّ الأمر بالمنكر لا يصبح ذا معنى. ومن ناحية اخرىٰ فانّهم يقومون بنشر المفاهيم والقيم التي لا تترك مجالاً للأمر بالمعروف. بمعنىٰ انّهم يكتبون المقالات في الصحف والمجلات ويخطبون في المناسبات المختلفة ويستغلّون سائر وسائل الإعلام ليلقّنوا الناس أنّ التدخّل في شؤون الآخرين العقائديّة والقيميّة والأخلاقيّة هو تطفّل واضح، والتطفّل أمر قبيح وسيّئٌ. ونتيجةً لهذا التلقين اذا قيل لأحد لماذا لا تصلّي؟ فانّه يجيب: هذا الأمر لا يتعلّق بك! ليس من حقّك ان تتطفّل وتتدخّل في شؤون الآخرين!

أو انّهم يذهبون الىٰ الحدائق العامة ويتناولون الخمره فيغلبهم السكر ويتشاجرون وقد يضرب بعضهم بعضاً بالقناني الفارغة، واذا اعترض عليهم احد قالو له: انّك متطفّل!

إذنْ هم في البداية يمهّدون الارضيّة الثقافيّة بان هذا العمل تطفّل، والتطفّل أمر قبيح ثم «ينهون عن المعروف»، ويصل الأمر الىٰ الحدّ الذي تترك فيه القيم مكانها لتحلّ محلّها المضادّات للقيم.

لعن اللّٰه الذين يسعون لإيجاد هذا الجوّ الملوّث في مجتمعنا وهم يحاولون باستمرار ان يوسّعوا مجاله وان يمحوا القيم الاسلاميّة الأصيلة من هذا المجتمع الاسلامي الوفيّ.